عبد الله سالم مليطان

التفكير الأسطوري في الإسرائيليات

قضايا وشخصيات

مداد
دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والانتاج الفني

إهـــــداء 2005

اللجنة الشعبية العامة للثقافة

الجماهيرية العربية الليبية

التفكير الأسطوري في الإسرائيليات -

عبدالله سالم مليطان

التفكير الأسطوري

في الإسرائيليات

[قضايا وشخصيات]

دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والانتاج الفني

التفكير الأسطوري في الإسرائيليات
(قضايا وشخصيات)

عبدا لله سالم مليطان

الطبعة الأولى - 1998م

دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والانتاج الفني - مصراته / الجماهيرية

رقم الايداع القانوني [3319] دار الكتب الوطنية - بنغازي

تصميم الغلاف للفنان : محمد رضا منصور

رسالة ماجستير قدمت تحت عنوان (الإسرائيليات) إلى قسم الدراسات العليا بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الفاتح بطرابلس وقد نوقشت واجيزت في 24 / 5 / 1998م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

طرابلس - ليبيا ☒ 81257 بريد شارع الزاوية

مصراته - ليبيا ☒ 17517

الإهداء

إلى التي رجعت إلى الله في رحابه الطاهرة

إلى روح والدتي (نورية)

المقدمة

المقدمة

الإسرائيليات من أخطر ما واجه الفكر العربي الإسلامي من "**غزو فكري**" ـ كما هو التعبير المستعمل حديثا ـ يأتيه من خارجه منذ فجر الإسلام ، عن طريق **تلك النماذج اليهودية** التي دخلته أو زعمت اتباعه في الظاهر ، بل اتخذت منه ستارا تدس من خلاله الخرافات والأساطير التوراتية .

ومع وضوح بغية هذه النماذج ومراميها منذ البداية ، فقد استطاعت ـ مع الأسف ـ أن تتغلغل في أفكار حتى بعض كبار الصحابة **(رضى الله عنهم)** ، الذين اشتهروا بعلمهم ، وروايتهم للحديث والتفسير ـ كما سنبينه فيما بعد ـ ثم انتقلت لنا أفكارها وصارت بتواترها مع مرور الزمن جزءا من تراث الإسلام ، بل أوشكت أن تكون من الدين نفسه الذي نصت آيات التنزيل الحكيم على اكتماله وتمامه بنزول قوله **تعالى** على رسوله محمد (ص) في سورة (المائدة) " **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** " (1)

وإذا كان بعض القدامى ـ من الصحابة ومن خلفهم من علماء

الإسلام ـ قد سلموا بصحة ما روى لهم من أخبار وما دس عليهم من خرافات إسرائيلية في عصر خلا من وسائل البحث ومقاييس النقد ، فإننا ملزمون ، من حيث الواجب الديني وبوازع الأمانة العلمية أن نستثمر ما وصل إليه عصرنا من ازدهار في وسائل البحث ، وطرق التقصي العلمي ، وما بلغه من تطور في مقاييس النقد فنتبين الغث من السمين مما روته مصنفات التفسير وكتب الحديث والسير والتاريخ من ذلك التراكم الكبير من **الإسرائيليات** التي لا يزال بعضها حتى الآن ، ورغم مرور أكثر من ألف وأربعمائة عام على دسها ، محاطاً بشيء من القداسة تقف حائلا دون النظر فيها ناهيك عن مناقشتها ونقدها .

وقبل أن أحاول ـ بوصفي باحثا يلتمس طريقه إسهاما في اظهار الحقيقة ـ تبيين تلك النماذج وإبراز دورها في تشويه معالم ثقافتنا العربية وفكرنا الإسلامي ، لا بد لي في البدء من التمهيد لذلك بالتعرف على هذه **الإسرائيليات** ، ومن ثم الكشف عن أبرز تلك النماذج التي روجت لها ، وذلك من خلال **القرن الأول ومطلع القرن الثاني الهجري**

ولهذا قسمت بحثي إلى **أربعة أبواب** ، أولها يعد تمهيدا للتعريف بموضوع الدراسة ، وذلك على النحو التالي :

الباب الأول ، قسمته إلى فصلين ، بينت في **الفصل الأول** منه ماهية الإسرائيليات واستعرضت الآراء التي قيلت حول مفهومها ، ثم تناولت أقسامها وحكم روايتها ، وخصصت **الفصل الثاني** للحديث عن

مصادرها ، وطرق انتشارها ، وتعرضت إلى كيفية تسرب الإسرائيليات إلى الثقافة العربية والفكر الإسلامي .

الباب الثاني ، خصصت به **كعب الأحبار** ، وقسمته إلى فصلين: تناولت في **الفصل الأول** مولده وإسلامه وثقافته وتكوينه ، ثم درست من خلال **الفصل الثاني** النشاط الذي قام به في الجانبين الثقافي والسياسي ؛ فدرست من خلال دوره الثقافي محاولاته إفساد العقيدة ، ودسه في مجالات التفسير القرآني والحديث النبوي ، والتاريخ العربي الإسلامي ، ثم محاولته إزاء تأليه **عمر بن الخطاب** ، وهو الدور نفسه الذي قام به **عبد الله بن سبأ** تجاه **علي بن أبي طالب** فيما بعد . وتناولت من خلال الدور السياسي الذي لعبه ، محاولته التقرب من الخليفة عمر ثم اشتراكه في التآمر عليه واغتياله ، وتنقله بين **علي وعثمان ومعاوية** من بعده ، وتوصلت من خلال دراسة كل ذلك إلى جملة من النتائج التي دونتها في نهاية الباب ، وصغت من خلالها خاتمة البحث ونتائجه ، شأني في كل هذه الأبواب .

والباب الثالث تناولت شخصية **عبد الله بن سبأ** من خلال فصلين تناولت من خلال **الفصل الأول** ، ابن سبأ بين الحقيقة والأسطورة ، مستعرضا مجموعة من الآراء التي عالجت هذه المسألة، وحددت فيه مرحلة ظهور **ابن سبأ** وفكرة السبئية على مسرح الأحداث كما تعرضت فيه إلى الدور الذي لعبه **ابن سبأ** في فتنة عثمان ، ثم

موقف مذهبه السبئية من **علي بن أبي طالب** ، وتناولت من خلال **الفصل الثاني** أفكار السبئية وآراءها التي تمثلت في مبدأ الوصية والرجعة وتأليه **علي** ، حيث كان هذا الأخير - **تأليه علي** - امتدادا لنفس الدور الذي قام به سلفه **كعب الأحبار** مع **عمر بن الخطاب** ، وثمة نتائج وخلاصات خرجت بها من بحث كل هذه المسائل .

وخصصت **الباب الرابع** لدراسة **وهب بن منبه** وشخصيته التي استطاعت أن تلعب دورا خطيرا في أسطرة التاريخ العربي والإسلامي وتزج بالعديد من الخرافات التوراتية في التفسير والتاريخ ، استغلها كثرة من المفسرين والمؤرخين في ثنايا مصنفاتهم فيما بعد حتى إنها غدت من كثرة تواترها بين أولئك المفسرين والمؤرخين مادة هامة ، وجزءا لا يمكن فصله عن تراثنا الثقافي إلا بعد جهد وعناء كبيرين ، وبذلك قسمت هذا الباب إلى فصلين ؛ تناولت من خلال **الفصل الأول** مولده ونشأته ثم تناولت تكوينه وثقافته ، ودرست من خلال **الفصل الثاني** اتجاهاته ، ثم سقت جانبا من آثاره ، في التفسير والتاريخ والسيرة .

وفي خاتمة هذه الدراسة عدت لصياغة الخلاصات والنتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لموضوع الرسالة ، وللنماذج الثلاثة التي تركزت حولها الدراسة ، واستنتجت منها ما قادني إليه بحثي لهذا الموضوع ، الذي لا أدعي أنني أو فيته حقه من البحث

والدراسة ، ولكنني حاولت بقدر ما أستطيع أن أكشف عن جانب من ذلك المخطط الذي استهدف به اليهود ثقافتنا العربية وتراثنا الإسلامي ، وبعضا من أولئك الأحبار الذين اندسوا وراء ستار الإسلام ، لمسخ الثقافة العربية وتدمير البناء السياسي والفكري للإسلام .

أما عن **المصادر** التي عدت إليها واستعنت بها ، والمراجع التي قرأتها واستأنست بها ، فهي كثيرة ومتنوعة ، منها كتب التاريخ والسير ، وكتب التفسير ومصنفات الحديث ، وكتب المذاهب والفرق ، والمؤلفات العلمية الحديثة التي تناولت هذا الموضوع على اختلاف اتجاهاتها ، إلى جانب بعض البحوث والدراسات ، التي لمست بعضا من جوانب هذا الموضوع ، من خلال الدوريات العربية التي طبعت بطابع الجدية .

ولايخفي على القارىء الكريم أن ثمة كتب حديثة قد خصت موضوع **الإسرائيليات** بالدراسة بل وسمت عناوينها بذلك ومن بين ما اطلعت عليه ودرسته كتاب **(الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير)** لمحمد أبوشهبة وكتاب **(الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير)** لرمزي نعناعة وكتاب **(الإسرائيليات في التفسير والحديث)** لمحمد حسين الذهبي وكتاب **(البدايات الأولى للإسرائيليات)** لحسني يوسف الأطير وكتاب **(الإسرائيليات في الغزو الفكري)** لعائشة عبدالرحمن وكتاب **(احذروا الإسرائيليات)** لمحمد حسن الشقرا وكتاب

(السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات) لفان فلوتن ، ولكل كتاب من هذه الكتب منهجه في تناول هذا الموضوع ولكنها تتفق في عمومها على إدانة **الإسرائيليات** والتحذير من رواجها في الفكر الإسلامي ومدى تأثيرها فيه .

وهدفي من هذه الدراسة هو محاولة كشف الدور الذي لعبه **كعب الأحبار وعبدالله بن سبأ ووهب بن منبه** في الدس على الإسلام والتأثير فيه من خلال الجانبين السياسي والثقافي ومدى ما غرسوه من أفكار في تراثنا الإسلامي ، حيث إنني لم أواجه صعوبة في الحصول على المصادر والمراجع التي استفدت منها في ذلك بالقدر الذي واجهت فيه صعوبة في التعامل مع النصوص والآثار التي وقعت بين يدي بخاصة تلك النصوص التي تعرضت لبيان تلك الصلة التي ربطت بين **كعب وابن سبأ ووهب** من ناحية وبين كبار علماء الصحابة من ناحية أخرى .

وأجد نفسي وأنا أقدم هذا العمل المتواضع مدينا بكل التقدير والعرفان لأستاذي الكبير الدكتور **علي فهمي خشيم** الذي كان وراء اختياري لهذا الموضوع حيث آثرني على نفسه به ، فقد كان يعد لدراسته وتطويرا لبحثه الذي كتبه منذ أكثر من خمسة عشر عاما حول موضوع هذه الرسالة وقدمه في أحد المؤتمرات العربية ثم نشره فيما بعد ، وقبل تولي الإشراف على سير هذه الدراسة وتحفيزي لإنجازها

علـى الرغـم مـن كـثرة مشـاغله ، وللأسـاتذة الأفـاضل الدكتـور **محمـد ياسين عريبـي** والدكتـورة **فوزيـة عمـار** والدكتـورة **سـالمة عبدالجبـار** اللذيـن تكرمـوا مشـكورين بمناقشـة خطتـي البحثيـة لهـذا الموضـوع ، وكذلك لأستاذي الجليل الأستاذ الدكتـور **عمـر التومـي الشـيباني** الـذي تشرفت بمناقشته لهذه الدراسة ولأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور **محمـد مصطفي بالحاج** الذي شجعني على مواصلة دراستي العليا عندمـا كـان أمينا لقسم اللغة العربية بجامعة الفاتح،وكان لي شرف مناقشته لرسـالتي هذه ، كما لا أنسى تحية الأستاذة الفاضلة الدكتورة **نجاح صلاح الدين القابسي** التي تولتني برعايتها واهتمامها طيلة دراستي الجامعية والعليـا وكذلـك الصديـق الأسـتاذ الدكتـور **الصيد أبوديب** الـذي شـجعني علـى اقتحام مجال الدراسة العليا عندما كان رئيسا لقسم الدراسات العليا بقسـم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكليـة التربيـة بجامعـة الفـاتح ، كمـا أنني مدين للأديب الكبير الأستاذ **علي مصطفي المصراتي** الـذي أمدنـي من مكتبته العامرة بكثير مـن الكتـب والدراسـات والمصـادر التي كـانت عونا لـي فـي رسـالتى هـذه ، إلـى جـانب تشـجيعه ودفعـه الدائـم لأجـل إنجازها ، وللباحث والأديب الدكتور **محمد أحمد وريث** الـذي لـم يبخـل علي بما احتوته مكتبتة القيمـة من دراسـات وأبحـاث عـن تـاريخ بـلاد اليمـن ، إلـى جـانب استفادتي مـن ملاحظاتـه حـول هـذه الدراسـة ، وللصديق العزيز والأديب الشاعر الأستاذ **محمد بشير السوكني** الذي

أخذ بيدي منذ أن كنت طالبا في المرحلة الإعدادية وقد أحاطني بتشجيعه ورعايته ، حتى أتممت الدراسة الجامعية ، ثم صار يدفعني إلى مواصلة الدراسة العليا ، وللأديب التونسي الكبير الأستاذ **أبوالقاسم كرو** الذي مكنني من الحصول على بعض المراجع المهمة حول موضوع رسالتي ، ولصديقي العزيز المهندس **صلاح إبراهيم عون** الذي سهر معي الليالي الطوال لتعليمي كيفية التعامل مع الحاسوب حتى تمكنت بعون الله وتوفيقه من كتابة هذه الرسالة بأكملها على الحاسوب، **ولزوجتي** التي تحملت عني أعباء كثيرة ، مضحية بكل وقتها حتى أتفرغ لهذه الدراسة ، تاركا عناء البيت والأولاد إليها وحدها .

والله هو الهادي إلى سواء السبيل وعليه التوكل دائما وما التوفيق إلا من عنده .

عبد الله سالم مليطان

طرابلس - في 3 / 9 / 1998 م

الباب الأول

الإسرائيليات

في **يثرب** (2) حيث حط الرسول **(ص)** رحال هجرته ، استقبل بالتكريم والترحاب من أولئك النفر القليل من القبائل العربية التي أسلمت أثناء لقائها به في مكة عندما أتت لتطوف بالكعبة ، حيث تدافعت عليه الأفواج معلنة إسلامها ، على حين ازداد من ناحية أخرى تنامي قوة ملاحقيه وتضخمها من **كفار قريش** الذين لم يقف بهم الحد عند إجباره على الخروج من مكة بل اتجهوا لتأليب **القبائل اليثربية** ضده .

ويثرب حينذاك كانت **موطنا لعدد من القبائل اليهودية** ، من أهمها وأشهرها **بنو قينقاع** (3) **وبنو قريظة** (4) **وبنو النضير**(5) وكانت ترى أن مجيء محمد **(ص)** إلى **يثرب** أمر يتهددها وقد يقضي عليها ، إذا لم تبادر بالقضاء عليه والحد من انتشار دعوته ومن ثم خططت لاستمالته في محاولة منها ليس لاحتوائه فحسب ، بل لافتتانه عن دينه ، بيد أن إيمان الرسول **(ص)** بصدق رسالته ودعواه كان أقوى من ذلك ، الأمر الذي جعلهم يدخلون في تحالفات معه لكن سرعان ما نقضوها وتحالفوا مع أعدائه من **مشركي يثرب** ، وبخاصة مع أولئك الذين ادعوا الإسلام تظاهرا مبطنين الكفر والعداء له ، من

أمثال عبد الله بن أبي بن سلول (6) الذي تزعم **حركة المنافقين** في **يثرب** ، تلك الحركة التي طرحت نفسها على الساحة السياسية حينها **كقوة ثالثة** في الصراع الإسلامي اليهودي ، وقد شكل **اليهود والمنافقون** قوة موحدة لضرب الرسول **(ص)** وأصحابه وإيقاف المد المتدفق للدين الجديد، حيث اشتبكوا في حرب ضارية معه أسفرت في نهايتها عن هزيمتهم الهزيمة الساحقة (7) ولم يكن أمامهم حينها غير الالتجاء إلى أسلوب الدس والكيد والتآمر، وهي الطباع التي جبلوا عليها وعرفوا بها عبر التاريخ .

شنوا أولا حملات إعلامية مسعورة هجوا من خلالها الرسول **(ص)** وسخروا منه وحرضوا أعداءه عليه ، ثم راحوا يشككون في نبوءته ورسالته ، وتجرأوا بكل وقاحة على الطعن في القرآن الكريم ، وكانوا كلما التقوا الرسول **(ص)** عمدوا إلى إثارته بأسئلة تافهة معجزة قصد إحراجه (8)

محاولتهم الثانية كانت أكثر خطرا وأبلغ أثرا ، لأنها لم تكن علنية يمكن مواجهتها والحد من استفحال خطرها، وذلك لتعلقها بالفكر، وهو ما مثلته محاولاتهم الالتفاف على الثقافة العربية والفكر الإسلامي، بقصد تحطيم كيان الأمة العربية ومحاربة الرسالة السماوية التي احتضنتها ، حيث اتخذ **العداء الفكري** أو لنقل بالأحرى **الغزو الفكري** أو **التسلل الثقافي** في مرحلة صدر الإسلام وما بعدها طابعا

آخر ، ظهر بشكل واضح في محاولتهم **ـ أي اليهود ـ** بث كثير من النصوص التوراتية ـ حسب زعمهم والمحرفة حقيقة ـ بين المسلمين الذين لم يكن لهم كتاب من قبل ، وكانوا يتشوقون إلى التعرف على تلك الأخبار وتفاصيلها خاصة وأن القرآن الكريم جاء مجملا في قصه لتلك الأخبار لأنه لا يرى أن ضرورة تدعو إلى الإسهاب والتفصيل فيها ، إذ كان منهجه العظة والعبرة وليس سرد الأحداث والتوسع في تفصيل جزئياتها ، ولهذا فقد استغل اليهود هذا الجانب ، بيد أن محاولاتهم لم تتوقف عند الدس في جانب القص عن الأمم الغابرة وأخبار الأنبياء السابقين ، بل تعدته إلى الزج بكثير من الأفكار والمعتقدات اليهودية حول **التناسخ والحلول والوصية والرجعة** وما إلى ذلك من الأفكار اليهودية ، إلى جانب غيرها من الأفكار التي تعود في أصولها إلى بيئات غير يهودية ، وقد راجت هذه الأفكار بطوابعها المختلفة في مصادر التراث الإسلامي ، وخلفت مع مرور الزمن ركاما هائلا من المرويات الخرافية والأسطورية ، عرفت وفق المصطلح الإسلامي فيما بعد **بالإسرائيليات** .مع سرد للآراء التي قيلت حولها، ونتعرض بشيء من التفصيل لموضوعاتها واتجاهاتها ، مع بيان أقسامها وحكم روايتها، ونلقي جانبا من الضوء على مصادرها والمنابع التي استقت منها والطرق التي انتشرت من خلالها ، في محاولة للتعرف على جذور الغزو الفكري اليهودي للثقافة العربية والفكر الإسلامي .

الفصل الأول

ماهيتها . أقسامها . حكم روايتها

(أ) ماهيتها :

الإسرائيليات جمع ، مفرده **إسرائيلية** ، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي ، والنسبة فيها إلى إسرائيل ، وهو يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم أبي الأسباط (9) الاثنى عشر(10)

وإسرائيل كلمة عبرانية مركبة من (اسرى) بمعنى عبد أو صفوة ومن (ايل) وهو الله ، فيكون معنى الكلمة : عبدالله وصفوته من خلقه (11) وهناك من يرى أنها اسم مركب من لفظتين ساميتين قديمتين هما (اسرى) بمعنى القوة والغلبة و(أل) أي الالّه أو الله ، فيكون معنى الكلمة قوة الله (12) وجاء في (قاموس الكتاب المقدس) أن " إسرائيل لقب يعقوب وهي تفيد معنى الأمير المجاهد مع الله ، ثم أطلق هذا اللقب على جميع ذرية يعقوب إلى حين انفصال العشرة أسباط عن بيت داود " (13) وقد ورد لفظ إسرائيل في القرآن الكريم في كثير من الآيات في سياق نسبة اليهود إلى أبيهم إسرائيل (14) وفي

الإصحاح **الثـــاني والثلاثين** من سفر **(التكوين)** يذكر **(الكتاب المقدس)** قصة خرافية عن سبب تسمية إسرائيل بذلك وهي لا ترقى إلى مســتوى الحقيقة التي تؤهلها للعرض والمناقشة (15)

ولفـظ **الإسرائيليات** من الألفاظ التي شاع استعمالها لـدى المشـتغلين بعلمي التفسير والحديث ، إذ نظراليها القدامـى علـى أنهـا مـن مرويـات أهل الكتاب الذيـن كـانوا علـى اطـلاع ودرايـة بكتـب اللـه السـابقة عـن القرآن الكريم ، حيث ذهبوا إلى تقسـيمها عـدة أقسـام ، واسـتنتجوا لكـل قسم حكمه دون أن يلتفتوا إلى مسألة المصطلح وتحديد المراد منه ، بيد أن المتأخرين أولوا عنايتهم لــه ــ **أي المصطلـح** ــ كمـا أولـوا عنـايتهم أيضا **للإسرائيليات** ونقدها بالقدر الذي فاق دراسة القدامـى ونقدهـم لهـا وذهبوا إزاء تحديد ماهيتها **عدة** آراء :

محمـد حسين الذهبي مثـلا... كـان مـن أوائـل المحدثيـن الذيـن تصدوا لبحث هذا الموضوع ونقده ودراسة آثاره ، يعرف **الإسـرائيليات** بأنها " **لفظ يدل بظاهره على اللون اليهودي للتفسير وما كان للثقافـة اليهودية من أثر ظاهر فيه** " وهو يزيد على ذلك معلقـا " **إلا أننـا نريـد به ما هو أوسع من ذالك وأشمل ، فنريد بـه مـا يعـم اللـون اليهـودي واللون النصراني للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهوديـة والنصرانية** " (16)

وفي كتاب**(احذروا الإسرائيليات)** يقول سيد حسن الشقرا " انـها

الأساطير والقصص الكاذبة التي دسها اليهود، ومن لف لفهم من الزنادقة والملاحدة " (17)

ويرى الدكتور سيد أحمد خليل أنها " كلمة يهودية الأصل ، وقد غلبت على كل ما نقل من اليهودية إلى الإسلام ، وما نقل عن الأديان الأخرى إليه أيضا ، ولكنها خصت بهذا الاسم ، لأن أغلب ما نقل عن اليهودية والأديان الأخرى ، كان طريقه أولئك الأسرائيلين"(18)

ويذهب المستشرق الفرنسي فان فلوتن (Van Vloten) إلى القول بأن " كلمة إسرائيليات ، يطلقها علماء المسلمين على جميع العقائد غير الإسلامية ، ولا سيما تلك العقائد والأساطير التي دسها اليهود والنصارى في الدين الإسلامي منذ القرن الأول الهجري " (19) أما الدكتور التهامي نقرة فإنه يرى أن الإسرائيليات "هي الثقافتان اليهودية والنصرانية وإنما أطلق عليها هذا الاسم من باب التغليب ، إذ إن الجانب الإسرائيلي هو الذي اشتهر وكثر النقل عنه " (20)

وفي دراسته حول (الإسرائيليات في التراث الإسلامي)،يذهب الدكتور مصطفي حسين إلى القول بأن الإسرائيليات " مصطلح في التراث الإسلامي أريد به نمط من الأفكار التفسيرات الحكايات بعضها من الثقافة اليهودية والآخرمن الثقافة المسيحية" (21)

وعلى الــرغم مــن الأثــر الكبيـر للمرويــات الإســرا ئيلـية فـي الفكـر الإسلامي - والتي سنعرض لها في حينها مــن هـذه الدراسـة ــ فـإن الدكتورة **عائشة عبدالرحمـن** تـرى أن هـذه **الإسـرائيليات** " **لاتعدو أن تكون إضافات وزوائد هامشية على سبيل الاستطراد والتزيد بما راج قديما في البيئة الإسلامية من أقوال أهل الكتاب** " (22)

وبالنظر إلى كل هذه التعريفات التي أوردناها ، فإننـا يمكـن أن نجمـل القـول بـأن **الإسـرائيليات** هـي : (**مجمـوع الأفـــكار والآراء والتـفسيرات والقـصص الخرافية والأساطيرالتي دست فـي التفسير والحديث والتاريخ ، بقصد تشويه التراث الإسلامي ومسخه سواء كان هـذا الـدس مصـدره يهوديـا أو نصرانيـا أو مـن خيـال القصــاص وأسـاطيرهم**) وهومـا يوافق إلـى حد مـا الـرأي الـذي اعتمـده **صــلاح الخالدي** في (إسرائيليات معـاصرة) مـن أنهـا " **مصطلـح خـاص أطلقـه السابقون على كل الخرافات والأساطير والأكاذيب والإشاعات والأخبار والروايات التـي لـم تصـح ولـم تثبت وبخاصـة فيمـا يتعلـق بقصــص السابقين وأخبار الماضين** " (23)

وحيـث إن أغلـب مـا وصـل الينـا من هـذه **الإسرائيليات** كــان مصـدره، فـإن أغــلب العلمـاء الذيـن عرضـوا لمشكلة هـذه الــمرويات نعتوهـا **بالإسـرائيليات** إلا أن الدكتـور **علـي فهمـي خشـيم** والمستشـرق الفرنسي **ريجي بلاشير**(**Blachere L . R ,**) (24) انفـردا فـي نعتهـا

بتسميات أخرى ، ففي دراسته عن **(الجذور التاريخية للغزو الفكري)** يشير إليها الدكتور **خشيم** بعملية " **الالتفاف الثقافي** " أو " **المسخ الفكري** " ، الذي استخدم ضمن خطة تتضمن التسرب الثقافي والتخريب العقائدي بينما يطلق عليها **بلاشير** " **أشكال الميول الشعبية** " وأحيانا " **القصص الشعبية** " وأحيانا أخرى " **التفسير الشعبي** " (25)

ولو تساءلنا عن سبب تغلب اللون اليهودي من هذه المرويات على غيرها من الألوان الثقافية المدسوسة من غير اليهود ، لوقفنا عند عدة أسباب يمكن أن نوجزها في **النقاط التالية :**

أولا - **إن معظم هذه المرويات المدسوسة في الفكر الإسلامي مصدرها اليهود بالدرجة الأولى ، وهم لاشك سبقوا غيرهم في اختلاق الأكاذيب والمزاعم الباطلة وإذاعتها ونشرها بين المسلمين .**

ثانيا – **حرص اليهود على تغييب العقل وتجهيل الأمم ، لتمرير مخططهم الذي يهدف إلي نشر تلك الأنماط من الأساطير والخرافات .**

ثالثا - **استيطان القبائل اليهودية في منطقة شبه الجزيرة العربية ، وخاصة في يثرب التي تجاوروا فيها مع القبائل العربية ، والتي بدأت فيها أولى صلات الجيرة الحقيقية ، حيث استهدفهم الرسول (ص) بدعوته إلي الإسلام وحاورهم حوارا مباشرا ، تناول عددا من المسائل المتعلقة بالغيبيات وأخبار الأمم الغابرة .**

ومن خلال ما سبق من سرد لتلك الآراء التي قيلت حول

ماهية الإسرائيليات وسر تغلبها على أنماط المرويات الأخرى التي جاءت من غير اليهود ، **تتضح أمامنا جملة من النقاط التي يمكن تحديدها على هذا النحو :**

1 ـ إن جملة التعريفات التي أوردناها مصطلحا **للإسرائيليات** ، لايبتعد بعضها كثيرا عن بعض **ولاتختلف** إلا من ناحية تحديد الشمول، باستثناء رأي الدكتورة **عائشة عبد الرحمن** الذي قلل من أثرها ، وعدها مجرد زيادات هامشية وإضافات من أهل الكتاب .

2 ـ إن مصطلح **الإسرائيليات** لم يتم تناوله من قبل المتقدمين بدلالاته عند الباحثين المحدثين ، وإن كان المتقدمون أوردوها في ثنايا مؤلفاتهم وتصنيفاتهم في التفسير والحديث والتاريخ ، وحذروا من روايتها ، إذ لم تكن **الإسرائيليات** عندهم إلامجرد روايات جاءت عن طريق أهل الكتاب ، **فما وافق** منها الشريعة أخذوه ، **وما خالفها** رفضوه . **ومنها ماسكتوا عنه** ، لعدم وجود ما يوافقه أويخالفه ، وهو ما سنوضحه عند الحديث عن حكمها .

3 ـ إنها لايمكن أن ينظر اليها إلا بكونها لونا من ألوان **الفلكلور الشعبي** (26) الذي جاء مزيجا من الأساطير والخرافات والمأثور الشفهي الذي زج به اليهود في **الفكر الإسلامي** مدعين أنه مما قرأوه في كتب الله السابقة التي لم يكن للعرب المسلمين علم بها . وإذا نظرنا إلى **ماهية الفلكلور** في التراث الإنساني وهي تعني **جميع ثقافة**

الشعوب ، مما لا يدخل في نطاق الدين الرسمي ولا التاريخ ، لتبين لنا أن الإسرائيليات لا تخرج عن كونها فلكلورا شعبيا أنتجته الثقافة اليهودية ، غير أن اليهود أدخلوه في نطاق الدين ، وجعلوا منه شريعة منزلة وأحكاما ملزمة التنفيذ ، وعدوا جانبا منه تاريخا مقدسا .

(ب) أقسامها :

أشرنا فيما سبق إلي أن الإسرائيليات مصطلح لم يظهر في كتابات القدامى بالمفهوم الذي رآه المحدثون ، وأنها مرويات خرافية لم تلق الاهتمام النقدي لدى القدامى بالقدر الذي لقيته من المحدثين الذين تنبهوا إليها وأدركوا أبعادها بالرغم من أن بعض القدامى قد عقدوا في ثنايا مؤلفاتهم مباحث وفصولا لنقدها . لكنهم لم يلتزموا عمليا بذلك ؛ فكثير من المفسرين انهمكوا في روايتها بلا حدود ، وبدون تحفظ ، وإن كان بعضهم كابن كثير مثلا قد نبه في مقدمة تفسيره إلي خطورة الإسرائيليات وأقسامها ، وبين حكمه فيها (27) ومع كل هذا لم يسلم تفسيره منها وهو التفسير الذي يعد من أكثر كتب التفسير تحفظا في رواية الإسرائيليات .

ويمكن أن نحدد بشكل عام الاتجاهات التي تسير فيها تلك المرويات الإسرائيلية في الفكر الإسلامي بعامة ، وفي كتب التفسير

والحديث والمصنفات التاريخية على وجه الخصوص ، وذلك وفق المسارات والوجوه التالية :

1 - القصص والأساطير والخرافات التي تناقلها القدامى عن مصادر يهودية ، والتي تشمل أصل الخليقة وحكايات الأمم الغابرة والأنبياء السابقين .

2 - ما نسب إلي الرسول (ص) من الرواية الخرافية واستغلت من ثم لتفسير بعض الآيات القرآنية التي جاءت مجملة .

3 - الحكايات والأخبار الكاذبة المتعلقة بأمور الدين والحياة ، وقد غلب عليها الطابع الوعظي الإرشادي ، وهي ما عرفت به المرويات الواردة عن النصارى .

4 - الشبهات والفتن والنزاعات الطائفية التي أثارها المغرضون والذين في قلوبهم زيغ ضد المسلمين ، والأكاذيب والافتراءات التي استهدفت الإسلام .

ونستنتج من جملة هذه النقاط أن الخطة التي رسمها اليهود ممثلة في **الإسرائيليات** ، كانت تهدف بشكل واضح إلي إدخال كل ما هو باطل وكاذب وأسطوري من قصص وخرافات وفي شتى المناحي للفكر الإسلامي ، بقصد تقويض بنيان الإسلام وهدمه على مختلف الوجوه وفي كل الاتجاهات .

فابن كثير الذي عرف بتفسيره **(تفسير القرآن العظيم)** تحدث

في مقدمته كما أشرنا عن رواية **الإسرائيليات** ، وقسمها إلي ثلاثة أقسام متفقا في ذلك مع شيخه **ابن تيمية** الذي سبقه إلي ذلك ، من خلال كتابه (**مقدمة في أصول التفسير**) وهذه الأقسام هي " **أحدها** ، ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذلك صحيح ، **والثاني** ماعلمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه ، **والثالث** ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ، ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته " **(28)**

والملاحظ أن تقسيم **ابن كثير** وشيخه **ابن تيمية** للإسرائيليات كان أول تقسيم لها بهذا النمط ، ولم نر أحدا غيرهما اعتنى بهذا الموضوع هذه العناية ، حتى إن المتأخرين الذين درسوا هذا الموضوع لم يخرجوا كثيرا عن هذه الأقسام ، وإن دققوا في تقسيمها بعناية أكثر من حيث النظر للسند والمتن ، أو ما عبروا عنه بالموضوع والخبر **(29)**

وبالنظر إلى كل تلك التقسيمات التي اعتمدها المتقدمون وجرى على نسقها المتأخرون ، من أمثال **محمد حسين الذهبي** في كتابه **(الإسرائيليات في التفسير والحديث)** و **محمد أبوشهبة** في كتابه **(الإسرائيليات والموضوعات)** ورمزي **نعناعة** في كتابه**(الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير)**رأينا أن نعتمد في تقسيمنا لها على النمط الذي بنيت عليه أحكام روايتها استنادا إلي العقل والمنطق ومدى مطابقتها

لنصوص القرآن الكريم ، وما صح من حديث الرسول **(ص)** وذلك إلي **ثلاثة أقسام :**

القسم الأول : روايات مقبولة

وهي الروايات التي **جاءت موافقة** لما جاء به القرآن الكريم ولماء جاء في صحيح السنة ، من أخبار وأحداث . وقد ذهب العلماء النقاد إلي البحث والتدقيق في مدى صحة سندها الذي جاءت عن طريقه كما بحثوا في موضوعها من حيث توافقه مع النص القرآني والحديث الصحيح ، ومن حيث منطقية موضوعها وعقلانيته .

ومثال ذلك ما أورده **البخاري** في **(كتاب التفسير)** من **(صحيحه)** قال : حدثنا **عبد الله بن مسلمة** حدثنا **عبد العزيز بن أبي سلمة** عن **هلال بن أبي هلال** عن **عطاء بن يسار** عن **عبد الله بن عمرو بن العاص** ـ رضى الله عنهما ـ أن الآية التي في القرآن " **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا** " **(30)** قال في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا"**(31)**

وبالمقارنة في المثل لانجد ثمة تعارضا بين **النص القرآني والنص التوراتي** الذي هو من تلك الروايات الإسرائيلية ، والذي أشرنا إليه سابقا مع الاختلاف في الصياغة وبلاغة النص القرآني ، كما أننا لانجد من يتقول في شخوص الرواة ، حتى يمكن رفض الرواية لضعف في سندها .

القسم الثاني : روايات مرفوضة

وهي الروايات التي توافر فيها العديد من **عوامل الرفض** التي اعتمدها الدارسون لنقد هذه الروايات ، ومن بينها معرفة رجال سند الرواية ومتنها ومقارنتها بالقرآن الكريم ، ولوتتبعنا هذه الروايات لوجدنا ثمة ما يقال في رواتها وأيضا في تناقض محتواها مع ما جاء به القرآن الكريم .

ومثال ذلك ما أورده **ابن جريرالطبري** في تفسيره **(جامع البيان)** قال : " حدثنا **القاسم** قال حدثنا **الحسين** قال حدثنا **حجاج عن ابن جريج** عن **وهب بن سليمان** عن **شعيب الجباني** قال : في كتاب الله الملائكة حملة العرش لكل ملك منهم وجه إنسان وثوروأسد فإذا حركوا أجنحتهم فهوالبرق " (32)

إن علة الضعف في هذه الرواية الإسرائيلية ، **شعيب الجبائى** الذي هو يماني معروف برواية أساطير أهل الكتاب ، وهو **أخبارى متروك**(33) ونص الرواية أيضا أو كما يعبر عنه بالمتن لا يمكن أن

يقبله عقل ، ومن ثم فإن القرآن الكريم لا يمكن أن يورد شيئا من هذا النمط الذي لايقبله العقل ولا يجيزه المنطق .

ومثال ذلك أيضا ما جاء في **تفسير ابن كثير** " قال : **عبدالرزاق** في تفسيره عن **الثوري** عن **موسى بن عقبة** عن **سالم** عن **ابن عمر** عن **كعب الأحبار** قال : ذكرت الملائكة أعمال ابن آدم وما يأتون من الذنوب ، فقيل لهم اختاروا منكم اثنين فاختاروا هاروت وماروت ، فقيل لهما : إني أرسل إلى بني آدم رسلا ، وليس بيني وبينكما رسول ، انزلا لاتشركا بي شيئا ، ولا تزنيا ، ولا تشربا الخمر ، قال كعب : فوالله ما أمسيا من يومها الذي أهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نهيا عنه " (34)

وعلة الضعف في هذا المثال بينة أيضا ، فمن حيث السند فإن **كعب الأحبار** مصدرها ومختلقها ، أما من حيث المتن فإن الرواية من الأمور التي لايقبلها عقل ولا منطق ، ولم يرد فيها أي نص قرآني ، ومن ثم فهي لاتعدو أن تكون فرية إسرائيلية من مفتريات كعب .

وقد ساق **ابن كثير** من هذا النمط قصة خرافية أدرجها حسب تقسيمه **للإسرائيليات** ضمن الروايات المتعلقة بالمواعظ وذلك في إطار حديثه عن **جريج العابد** حيث قال : " إن جريجا اتهمته امرأة بنفسها وادعت أن حملها منه ورفعت أمرها إلى ولي الأمر فأمر فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول : مالكم ؟ مالكم ؟ قالوا : يا عدو

الله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا ، فقال **جريج** : اصبروا . ثم أخذ ابنها وهو صغير جدا ثم قال : ياغلام من أبوك قال : أبي الراعي وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه ـ ولما رأي بنو اسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيما بليغا وقالوا : نعيد صومعتك من ذهب . قال : لا بل أعيدوها من طين كما كانت " (35)

وإذا تفحصنا هذه الرواية وأمعنا النظر فيها بدقة ، وجدنا أنها تخالف السائد والمألوف من الأمور بحوادثها التي لم تحصل من قبل إلا كمعجزة لنبي مرسل ، فلقد تكلم عيسى **(عليه السلام)** في المهد بنص القرآن (36) ولم يسجل لنا القرآن الكريم حادثا مماثلا حصل لأحد من قبله ولا بعده .

القسم الثالث : روايات مسكوت عنها

وهي الروايات التي لم يرد في القرآن الكريم **ما يؤيدها أو يعارضها** ، ومن ثم فهي متروكة للرأي والتحقيق ولذا وجب التوقف في الحكم عليها .

ومثال ذلك : ما أورده **ابن كثير** في **تفسيره** عن **السدي** عند تفسيره لقول الحق سبحانه " **وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** " (37) حيث قال : " كان رجل من بني إسرائيل مكثرا من المال فكانت له ابنة ، وكان له ابن أخ محتاج ، فخطب اليه ابن أخيه ابنته ، فأبى أن يزوجه ، فغضب الفتى ، وقال : والله لأقتلن

عمي ولآخذن ماله ، ولأنكحن ابنته ، ولآكلن ديته ، فأتاه الفتى وقد قدم تجار في بعض أسباط بني اسرائيل ، فقال ياعم انطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم لعلي أن أصيب منها ، فإنهم إن رأوك معي أعطوني ، فخرج العم مع الفتى ليلا ، فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه ، كأنه لا يدري أين هو ، فلم يجده ، فانطلق نحوه ، فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه فأخذهم ، وقال قتلتم عمي فأدوا إلي ديته ، فجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه وينادي : واعماه فرفعهم إلى موسى فقضى عليهم بالدية فقالوا له : يارسول الله ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه فيؤخذ صاحب القضية فوالله إن ديته علينا لهينة ، ولكن نستحي أن نعير به " (38)

فمثل هذا النوع من الروايات ليس فيه ما يدعو إلى إبداء الرأي أصلا ، لأنه لا فائدة من معرفته ولا ينبني على الجهل به أي شيء ، ولهذا فهي من الروايات **المسكوت عليها** ، وثمة أمثلة كثيرة من هذا النوع ـ المسكوت عنها ـ أوردها المفسرون في مصنفاتهم وكلها قابلة للقبول أو الرفض .

(ج) حكم روايتها :

أشرنا فيما سبق إلى أننا سنتناول تقسيم **الإسرائيليات** وفق ما

بنيت عليه أحكام روايتهـا حتـى يكـون مـن اليسـير التعـرف علـى حكـم رواية كل قسم منها .

فبالرغم من محاولة بعض العلماء إيجاد الأدلة **التي تبيح رواية الإسرائيليات** استنادا إلى بعض النصـوص ، التـي تشـير فـي ظاهرهـا إلى ذلك ـ إذا فسرت على غير حقيقتها ـ فإن **الأدلة التي تمنع** روايتهـا وتداولها هي من أوثق الأدلة ، إذ ثبت نسبة بعضهـا إلـى رسـول اللـه **(ص)** وهي منطقية بحكم تمشيها مع منهـج الرسـول **(ص)** فـي حياتـه ومواقفه ، كما أن مواقـف بعـض الصحابـة وآراء العلمـاء النقـاد مـن بعدهم ، جاءت هي الأخـرى معززة لهذا الـرأي ومتخـذة موقفهـا بكـل صلابـة ضـد تلـك الروايـات الإسـرائيلية التـي راجـت وانتشـرت بيـن المسلمين من خلال التفسير والحديث والتاريخ .

فمن أقوال الرسول الكريم **(ص)** نجد : " **لا تسألوا أهل الكتـاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا . وإنكـم إمـا أن تكذبـوا بحـق أو تصدقوا بباطل ، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل لـه إلا أن يتبعني** " **(39)** وذلك عندما نسخ **عمـر بـن الخطـاب** كتابـا مـن التـوراة بالعربية ، وجاء به إليه **(ص)** وقد تغير وجه الرسول لذلك .

وهناك نص آخر ينسـب إلـى رسـول اللـه **(ص)** وهـو قولـه : " **لاتصدقـوا أهـل الكتـاب ولا تكذبوهـم وقولـوا آمنـا باللـه ومـا أنـزل إلينا"(40)** وكان هذا القول ردا على أهل الكتاب الذين يقـرأون التـوراة

بالعبرانية ويفسرونها بالعربية للمسلمين ، وهو ما يشبه رده على **عمر ابن الخطاب** حين جاءه بالكتاب الذي نسخه من **التوراة المحرفة** . وقد روى عن **عمربن الخطاب** فيما بعد أنه نهى **كعب الأحبار** عن التحديث، وتوعده بالنفي إلى بلده اليمن وقال له : " **لتتركن الحديث عن الأول ، أو لألحقنك بأرض القردة** " **(41)** وقد كان **عمر** صارما في نهيه هذا مع **كعب الأحبار** الذي عرف بروايته **للإسرائيليات** .

وموقف **عمر** هذا إزاء **الإسرائيليات** استلهمه من نهي الرسول **(ص)** له عند كتابته نصا من التوراة بالعربية ، وهو ما أشرنا له آنفا. كما ورد عن **ابن عباس** قوله : " يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه أحدث الأخبار بالله ، تقرأونه لم يشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا : " **هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا** " **(42)** أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسائلهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم " **(43)**

فقول **ابن عباس** هذا يؤكد رفضه لرواية **الإسرائيليات** وتداولها ، وهو موقف متمش مع الموقف الذي اتخذه الرسول **(ص)** تجاه **الإسرائيليات** ، بيد أن **ابن عباس** لم يلبث أن انحرف عنه ، ليجلس فيما بعد إلى **كعب الأحبار** ويسمع منه ويروي عنه ، حتى عد من أشهر رواة **الإسرائيليات** رغم الموقف المعارض الذي كان قد اتخذه منها في

البداية .

وبالرجوع إلــى النصـوص الـواردة عـن الرسـول الكريـم (ص) والبينة في موقفها من تلك الروايات وكذلك رأيا **عمر بن الخطاب وابـن عباس** ـ بالرغم من انحـراف الثـاني فيمـا بعـد ـ نسـتخلص أن **روايـة الإسرائيليات** التي لم يرد في القرآن الكريم ما يوافقها موضوعا لاتجوز روايتها أو تداولها ، وقياسا على ذلك نرى جواز رواية ما وافق القـرآن الكريم من روايـات ، لأن النهـي المـراد مـن آثـار الرسـول **(ص)** التـي سقناها قصد منه أخذ الحيطة في أن تكون تلـك الروايـات ممـا تعـرض للتحريف والتزييف والتبديـل مـن قبـل اليهـود للتـوراة ، إذ إن تحـريفهم لكل ما جاء فيها أفقد الثقة في كل رواياتهم ، ومن ثم فإن المصدق لهـا عرضة **لتصديق الباطل** والمكذب لها عرضة **لتكذيب الحق** ، فالاحتياط أن لانصدقهم وألا نكذبهم ، إلا اذا رووا شيئا يصدقـه القـرآن أو يكذبـه فإننا نصدق ما صدقه ونكذب ما كذبه ، لأنـه مهيمـن علـى تلـك الكتـب وشـهيد عليهـا **(44)**. وعليـه فـإن روايـة القسـم الأول الـذي أشـرنا اليـه بروايات مقبولة **تجوز روايتها** لموافقتها نصوص القرآن الكريـم ، أمـا رواية القسم الثاني وهو روايات مرفوضة **فلاتجوز روايتها** ، أما ما لم يأت القرآن الكريم بتصديقه أوبتكذيبه ـ وهو ما صنف بالمسكوت عنه ـ فإن الأمر فيه **متروك لـلرأي** ، خاصـة أن هـذا النمـط مـن الروايـات لا يتعلق بمسائل ذات أهمية تستلزم التصديق أو التكذيب .

هوامش الإحالات :

(1) سورة المائدة الآية (3)

(2) يثرب (بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وكسر الراء ، وباء موحدة) سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفريق يثرب بن قانية وسماها الرسول (صلى الله عليه وسلم) طيبة وطابة كراهية للتثريب وسميت مدينة الرسول لنزوله بها (انظر : ياقوت الحموي ؛ معجم البلدان . دار صادر .ج5ص 431)

(3) بفتح القاف وتسكين الياء وضم النون وقد سكنوا في مكان يدعى (طحان) مما يلي (العالية) وهما ضاحيتان من ضواحي المدينة(انظر: محمد علي قطب ، معارك النبي مع اليهود . مكتبة مدبولى . ط1/ 1985م ص24)

(4) بضم القاف وفتح الراء وتسكين الياء وهم فخذ من جذام اخوة النضير حيث نزلوا بجبل يقال له قريضة فنسبوا إليه وقيل نزلوا في منطقة تسمى (مهزور) وهي تقع على بعد أميال من جنوب المدينة (انظر: تاريخ اليعقوبي ؛ دار بيروت للطباعة والنشر.ط/ 1970م ج2 ص52 و محمد سيد طنطاوى ؛ بنوا إسرائيل في القرآن والسنة . دار مكتبة الأندلس ط . 2/ 1973م ج1 ص 77)

(5) فخذ من جذام إلا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير فسموا به وقد اتخذوا موقع سكنهم بعوالي المدينة عند قباء (انظر: تاريخ اليعقوبي ، دار بيروت للطباعة والنشر. ط/ 1970م ج2 ص49 و محمد على قطب ؛ معارك النبي مع اليهود . مكتبة مدبولى . ط1/ 1985م ص24)

(6) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي ، أبوالحباب المشهور بابن سلول ، وسلول جدته لأبيه ، كان سيد الخزرج في أخر جاهليتهم ، وأظهر الإسلام بعد موقعة بدر ، تقية . ولما تهيأ النبي (صلى الله عليه وسلم) لموقعة أحد ، انعزل ابن أبي وكان معه ثلاثمائة رجل ، فعاد بهم إلى المدينة ، وفعل ذلك يوم التهيؤ لغزوة تبوك ، وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم وكلما سمع بسيئة نشرها ، وتوفي سنة (9هـ/ 630م) (انظر: ابن حبيب ؛ المحبر ، دار الآفاق الجديدة ص233 و خير الدين الزركلي ؛ الأعلام ، دار العلم للملايين 65/4)

(7) من المواقع التي اشتبك فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع اليهود غزوة بني قينقاع وغزوة بني النضير وغزوة بني قريظة وغزوة خيبر .

(8) انظر حول حوار اليهود مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) : حسنى يوسف الأطير ؛ على هامش الحوار بين القرآن واليهود . دار الأنصار .و محمدعبدالقادر أبوفارس ؛ الصراع مع اليهود . دار الفرقان . و محسن بن محمد ابن عبدالناظر ، حوار الرسول مع اليهود . دار الوفاء)

(9) جمع سبط وهو ولد الولد وقيل ولد البنت.والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب وهم يرجعون إلى أب واحد سمي سبطا ليفرق بين ولدإسماعيل وولد اسحاق(انظر : ابن منظور؛ لسان العرب. بيروت: دارصادر .ب.ت) ج7 ص310

(10) محمدحسين الذهبي ؛ الإسرائيليات في التفسيرو الحديث(دمشق: دارالايمان ط 1985/2م) ص19

(11) انظرمحمد فريد وجدي ؛ دائرة معارف القرن العشرين(القاهرة: مطبعة دائرة معارف القرن العشرين ط.بلا/1923م) ج.1 ص 280

(12) حسن ظاظا ؛ الشخصية الإسرائيلية (دمشق:دارالقلم، ط 1990/2م) ص16

(13) جورج بوست ؛ قاموس الكتاب المقدس (بيروت: المطبعة الأمريكانية.ط/1894م) المجلد الأول تحت كلمة (إسرائيل)

(14) انظر الآيات : البقرة (40/ 47 / 83 / 122/ 211/ 246) آل عمران 49/ 93 المائدة 12/32/70/ 72/78/110 الأعراف 105/ 134/137/138 يونس 90/93 الإسراء 2/4/101/104 مريم 58 طه 47/80/94 النمل 76 الشعراء17/22/59/197 السجدة 23 غافر 53 الزخرف 59 الدخان30الجاثية16الأحقاف10 الصف 14/6

(15) ورد في سبب تسمية إسرائيل بهذا الاسم ما نصه '' ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضه ببوق ، أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له ، فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأي أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك '' (سفر التكوين ، الإصحاح الثاني والثلاثون . 22)

(16) محمد حسين الذهبي ؛ التفسير والمفسرون (القاهرة : دار الكتب الحديثة، ط.1976/2م) ص165

(17) سيد حسن الشقرا؛ احذروا الإسرائيليات(القاهرة: مطبعة مصطفي تاج ، ط/بلا. ب.ت) ص 8

(18) السيد أحمد خليل ؛ نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن (مجهول الناشرط/ 1954م) ص37

(19) فان فلوتن ؛ السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، ترجمة / حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم (القاهرة: دار النهضة المصرية، ط 2/ 1993م)ص109

(20) التهامي نقرة ؛ سيكولوجية القصة في القرآن(تونس: الشركةالتونسية للتوزيع ، ط.1987/2م)ص277

(21) مصطفي حسين ؛ الإسرائيليات في التراث الإسلامي ـ دراسة ـ ضمن أعمال ندوة السيرة النبوية (طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية.ط1986/1م)ص77
(22) عائشة عبد الرحمن ؛ الإسرائيليات في الغزو الفكري (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية و دار غريب، ط/ 1975م) ص86
(23) صلاح الخالدي ؛ إسرائيليات معاصرة (عمان : دار عمار. ط/ 1991م) ص 5
(24) علي فهمي خشيم ؛ الجذور التاريخية للغزو الفكري في صدر الإسلام . دراسة بمجلة الثقافة العربية العدد (السادس) السنة (التاسعة) يونيو 1982م
(25) مصطفي حسين ؛ مرجع سابق . ص 125
(26) كلمة فلكلور كلمة ألمانية الأصل تتألف من كلمتين : (فولك) f olk وتنطق بالإنجليزية (فوك) وتعني (شعب) و(لور) lore وتعني (ثقافة أو معرفة أو حكمة أو سلوك) .
(27)انظر ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار المعرفة. ط/1980م)ج1ص4
(28) ابن تيميه ؛ مقدمة في أصول التفسير(الكويت، بيروت:دار القرآن الكريم.مؤسسة الرسالة،ط.2/ 1972م) ص 100
(29) من هذه التقسيمات (أولا) باعتبار السند ومنه صحيح من ناحية سنده ومتنه وضعيف من ناحية سنده أو متنه وموضوع (ثانيا) باعتبار موضوع الخبر الإسرائيلي ومنه ما يتعلق بالعقائد وما يتعلق بالأحكام وما يتعلق بالمواعظ (ثالثا) باعتبار الموافقة لما في شريعتنا والمخالفة لها ، ومنه موافق لما في شريعتنا ومخالف لما في شريعتنا ومسكوت عنه .
(30) سورة الفتح الآية (8)
(31) ابن حجر العسقلاني؛فتح البارى بشرح صحيح البخاري،تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي،محب الدين الخطيب ، قصي محب الدين الخطيب (القاهرة : دار الريان للتراث . ط .1/ 1987م) ج 8 ص 449
(32) الطبري ؛ جامع البيان عن تأويل أي القرآن(القاهرة : دار المعارف .ط / 1957م) ج.1 ص 344
(33) انظر ابن حجر ؛ لسان الميزان (بيروت:دار الفكر.ط/ 1993م) ج 3 . ص 150
(34) ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم . ج 1 ص 138
(35) ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم . ج 4 . ص 341
(36) انظر الآيات : آل عمران 46 والمائدة 110 ومريم 29
(37) سورة البقرة الآية (67)
(38) ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم . ج 1 ص 109
(39) ابن حجر العسقلاني؛ فتح البارى بشرح صحيح البخاري.ج.13 ص345
(40) ابن حجر العسقلاني؛ فتح البارى بشرح صحيح البخاري. ج 8 ص20
(41) ابن كثير؛البداية والنهاية(بيروت:مكتبة المعارف.ط.1982/4م) ج . 8 ص106

(42) سورة البقرة الآية (79)
(43) ابن حجر العسقلاني،فتح البارى بشرح صحيح البخاري.ج5 ص344
(44) انظر رشيد رضا ؛ تفسير المنار(القاهرة : مطبعة محمد علي صبيح. ط.3 ب.ت)ج.6 ص12

الفصل الثاني

مصادرها . طرق انتشارها . كيف تسربت إلى الفكر الإسلامي

(أ) مصادرها :

في تعريفنا لماهية **الإسرائيليات** أشرنا إلى **غلبة اللون اليهودي** على غيره من المرويات ، وبينا مدى الدور الذي لعبه اليهود في الدس على الإسلام حتى تغلب **لفظ الإسرائيليات** على جملة المرويات التي كانت قد دست على الإسلام من غيرهم ، وقد كان لهذه **الإسرائيليات** مجموعة من المصادر التي انطلقت منها باتجاه الفكر الإسلامي ، بعضها كما يدعي اليهود كتب الله القديمة التي أنزلها على أنبيائه السابقين والتي خالطها التشويه والتحريف على أيديهم ـ كما سنبين ـ وبعض هذه المصادر كان مما كتبه اليهود أنفسهم في سابق عهدهم وراج بين حاخاماتهم وأحبارهم ، بالإضافة إلى الخيال وما نسج عن الكون والحياة وغرائب الأحداث والأمور الغيبية ، وعلى هذا الأساس

يمكن أن نتناول هذه المصادر للوقوف على حقيقة الإسرائيليات ومنابعها ، والتي يمكن تحديدها على هذا النحو:

(1) التوراة

التوارة كلمة **عبرية** مستعارة من **الآرامية** وتعني **تورة أي الهدى والإرشاد** (1) وهي جزء من **العهد القديم** وقد أطلقت لفظة **التوراة** على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى (2)

وتعد **التوراة كتاب تاريخ وإنشاد** ، تشتمل على **التعاليم والأحكام الدينية** ، وعلى **قواعد السلوك بين الناس** ، وعلى مجموعة من **القوانين والعادات والتقاليد وأنماط الحياة عند اليهود** ، والتوراة في عرف القرآن ما أنزله الله **تعالى** من الوحي على موسى **(عليه السلام)** (3) وهي في أصلها التاريخي وحدة دينية تمثل ما أنزل الله **تعالى** على موسى **(عليه السلام)** ولاخلاف في هذا عند المسلمين (4)

وقد اعتمد اليهود **تسعة وثلاثين** سفرا أطلق عليها اسم **العهد القديم** ، للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التي أطلقوا عليها **العهد الجديد** .

وقد جرت العادة أن يطلق على أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد اسم **الكتاب المقدس** ويرى اليهود أن **التسعة والثلاثين** سفرا هذه

أسفار مقدسة أي موحى بها ويطلقون على **خمسة** منها إطلاقا حقيقيا اسم **التوراة** أو **كتب موسى** لأنها – في زعمهم – أنزلها الله على موسى **(عليه السلام)** وكتبها موسى بنفسه **(5)**

ويشتمل **العهد القديم** الذي اعتمده اليهود على **أربعة أقسام** ، **هي التوراة أو الأسفار الخمسة والأسفار التاريخية (6) وأسفار الأناشيد (7) وأسفار الأنبياء (8)**

وحيث أننا بصدد دراسة **مصادر الإسرائيليات** فإن الذي يعنينا من أقسام العهد القديم هو **التوراة** التي غدت احدى أهم مصادر هذه **الإسرائيليات** ، والتي تتكون من **خمسة** أسفار هي **(سفر التكوين و سفر الخروج وسفر التثنية وسفر اللاويين و سفر العدد) (9)**

ولكي نقف على حقيقة **الإسرائيليات** لابد لنا من التعرف بشكل مباشر على مشتملات هذه **الأسفار الخمسة** المكونة للتوراة ، حتى نقارن فيما بعد بين محتوى هذه الأسفار وبين مادعاه اليهود من أن مصدر معلوماتهم كتب الله القديمة .

أ ـ سفر التكوين :

سفر التكوين أو كما يسمونه سفر الخلق وقد سمي بذلك لأنه يقص خلق السموات والأرض ويحكي قصة آدم **(عليه السلام)** وأكله من الشجرة ونزوله إلى الأرض ، كما يحكي قصة نوح **(عليه السلام)** وقصة الطوفان وقصة إبراهيم **(عليه السلام)** وأولاده ، وينتهي هذا

السفر بالحديث عن قصة يوسف (عليه السلام) إلى أن مات (10) وهو يتكون من خمسين إصحاحا .

ب ـ سفر الخروج :

سمي بذلك لأنه يحكي تاريخ بني إسرائيل في مصر ، وكيف خرجوا منها وكيف عاشوا بعد ذلك، كما يحكي قصة تيههم وماجرى بينهم وبين موسى (عليه السلام) (11) وهو يتكون من أربعين إصحاحا

ج ـ سفر اللاويين :

يتناول هذا السفر قضايا العبادات وخاصة ما يتعلق منها بالأضاحي والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور (12) وقد سمي بـ(اللاوين) نسبة إلى أسرة تنتمي إلى (لاوى) أو(ليفي) أحد أبناء يعقوب (عليه السلام) (13) ويتكون من سبعة وعشرين إصحاحا

د ـ سفر العدد :

تدور معظم محتويات هذا السفر حول تقسيم بني إسرائيل وبيان تعداد أسباطهم وجيوشهم وأموالهم وذكورهم وإناثهم ، وبه بعض الأحكام التي تتعلق بالعبادات والمعاملات (14) ويتكون من ستة وثلاثين إصحاحا .

هـ ـ سفر التثنية :

وقد سمي بذلك لأنه يكرر ويعيد التعاليم التي أوحاها الله إلى

موسى(عليه السلام) ومعظمه يدورحول الشؤون التشريعية والاقتصادية والسياسية الخاصة ببني إسرائيل (15) وفيه عرض تاريخي سريع ونصائح أخلاقية وتشريعات ، وهو يتكون من أربعة وثلاثين إصحاحا .

ومما سبق نستنتج أن التوراة قد اشتملت ــ من خلال أسفارها الخمس التي عرضناها ـ على كثير من الأحداث المختلفة التي تناولت تاريخ اليهود وعقائدهم وتشريعاتهم والتي يعدونها توراة موسى أي أنها كلام الله تعالى ، بيد أن الحقيقة ليست كذلك ، فعصر موسى على الأرجح كان حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد ومعظم سفري التكوين والخروج ألفا حوالي القرن التاسع قبل الميلاد أي بعد موسى بنحو خمسة قرون أو ستة قرون ، وأن سفر التثنية ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد وأن سفري العدد واللاويين ألفا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد أي بعد النفي البابلي (وهو إجلاء بني إسرائيل إلى بابل سنة 587 قبل الميلاد) وأن جميعها مكتوبة بأقلام اليهود، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل (16)

ومعنى هذا أن الواقع التاريخي ينفي كون التوراة التي بأيدى اليهود هي من كتب الله القديمة ، التي نزلت على موسى . ذلك أنها

كتبت بعده بمراحل وعلى فترات مختلفة ، وجمعت من الخرافات والأساطير المختلفة ما لا حد له ، وهو ما لايدع مجالا للشك في كونها حقا من افتراءات اليهود على الله . ولو رجعنا إلى القرآن الكريم ، لوجدنا إشارات صريحة إلى **التوراة الحقيقية** التي حملت الهدى والنور إلى اليهود، قال **تعالى** : " **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور** " (17) كما نجد في ذات الوقت إشارة صريحة إلى التزييف والتحريف والتشويه الذي تعرضت له التوراة وفي أكثر من آية قال تعالى : " **فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به** " (18) وقال أيضا " **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** " (19)

واذا أمعنا النظر في **التوراة المتداولة** ، التي يزعم اليهود أنها **توراة موسى** ، لوجدنا بداخلها ما ينفي قطعا أن تكون هي التوراة الحقيقية ، إلى جانب التناقض الصارخ بين **أسفارها الخمس** التي كتبت **بضمير الغائب** ، ولو كان موسى **(عليه السلام)** كاتبها لكتبها **بصيغة المتكلم** ، وهو ما يؤكد أنها ليست **التوراة** التي أنزلت على **موسى** بحق وأملاها على قومه إذ إن مجمل أحداثها يدور حول شخصه (20) كما أن كثيرا من محتواها فيه تعظيم لشخص **موسى** وتمجيد له وهو ما لايمكن أن يصدر عنه **(عليه السلام)** ومثال ذلك : ماجاء في سفر العدد

" **أما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع النـاس الذين علـى وجه الأرض** " . (21)

ومن حيث التناقض ، فإننا نجد في سفر **التكوين** أن الطوفان دام " **أربعين يوما وأربعين ليلة** " (22) وفي نفس هذا الإصحاح من **التكوين** يعود فيقول : " **مائة وخمسين يوما** " (23)

ومن هنا نخلص إلى أن الروايات الأسطورية التي كان الأحبار يتداولونها بين المسلمين بل يعمدون إلى دسها في عمق الفكر الإسلامي ـ مدعين أنها من كتب الله القديمة ـ لم تكن سوى خزعبلات وأساطير ، اختلقها اليهود أنفسهم وادعوا أنها التوراة التي أنزلت على موسى (**عليه السلام**) .

(2) التلمود

التلمود هو جزء من أحكام الديانة اليهودية ، ومعناه **التعاليم أو الشرح أوالتفسير** وهو مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها الأحبار اليهود شرحا وتفسيرا للتوراة واستنباطا من أصولها (24)

وكلمة **تلمود** مشتقة من **لمد** بمعنى **علم** في اللغة اليهودية ، فهو من **الزاوية اللفظية والدينية** يعني **التعليم للتوراة** أي شرحها وتفصيلها وهي **التوراة الشفهية** التي دونها الحاخامات خوفا عليها(25) وهم يرون أن الله أعطى موسى **التوراة** على طور سيناء مدونة ،

ولكن أرسل على يده **التلمود** شفاها . ولايقنع بعض اليهود بهذه المكانـة للتلمود بل يضعون هذه الرواية الشفوية في منزلة أسمى من التـوراة ، ويرى بعضهم ألا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن **أقوال علماء التلمود** أفضل مما جاء في **شريعة موسى** ، ويعـدون **التوراة خبزا** ويرون أن الإنسان لايعيش بـالخبز فقـط ، وأن **الأدم هـو التلمود** ويصرحون بأن من يقرأ التوراة بغير **المشنا والجمارا** ليس لـه إله (26)

فالتلمود إذن هو شرح التوراة ـ **كما يزعم اليهود** ـ وهـو الكتـاب الذي لم يكن من عند الله **بنصه** ، بل تلقاه موسى **شفاهية** من عند اللـه، وهو يشمل **ثلاثة وستين** كتابا تعالج قضايا الديـن والشـريعة والتـأملات الميتافيزيقية والتاريخ والأدب والعلوم الطبيعيـة ، كمـا يتضمـن فصـولا في الزراعة والصناعـة والمهن والتجـارة والربـا والضرائـب وقوانيـن الملكيـة والديـن والـرق والمـيراث وأسـرار الأعـداد والفلـك والتنجيـم والقصص الشعبي ، تغطي كل جوانب الحياة لليهودي حتى أنها تتنـاول دقائق الأمور مثل إعداد الطعام وتناوله والعلاقات الخاصة بيـن الرجـل وزوجته ، ويتحدث عن فترة **ثمانية** قرون **ثلاثة** منها قبل ميلاد المسـيح **وخمسة** بعده ، وقد استغرق **تدوين التلمود** ما لايقل عن **ألف** عام مـن الزمن ، ويذكر المؤرخون أنـه أسـهم فـي كتابتـه عـدة آلاف مـن كهنـة اليهود (27)

وبالرغم من الأهمية التي يضطلع بها **التلمود** ـ لدى اليهود ـ وبالرغم من اشتماله على كل قضايا الحياة والدين لديهم ، فهو لم يذكر لا في **الإنجيل** ولا في **التوراة** من قبله ، ولافي **القرآن الكريم** ولا في **الحديث** الذي ينسب إلى رسول الإسلام محمد **(ص)** ، ولهذا فإن أغلب محتويات **التلمود** تشير إلى **كلام الربيين** الذين عاشوا بعد موسى **(عليه السلام)** بحوالي **سبعمائة سنة** واستمروا ينشئون التلمود فيما بين **زمن عزرا (400 ق.م)** حتى **(600 ب.م)** وهذه الفترة حوالي **الألف عام** هي التي كتب فيها **التلمود** على الأرجح علما أن فيه ماينسب إلى موسى **(عليه السلام)** أحيانا **(28)**

ويتكون **التلمود** من كتابين أساسيين ، **أحدهما** يعد شروحا للتوراة ، **والآخر** يعدونه حواشي وتعليقات وتفسيرات اضافية مهمة وهذان الكتابان **هما :**

أ ـ المشناه :

لفظة مشناة أو ميشنا معناها الشريعة المكررة أو الشريعة الثانية لأن الشريعة الأولى الواردة في **الكتب الموسوية** نسبة إلى **موسى** مكررة نوعا ما في **المشنا** والغاية من وضع **الميشنا** ايضاح البنود المبهمة من **الشريعة الموسوية** ، وكشف النقاب عن المعميات التي تكتنفها **(29)**

وتسمى **اللغة العبرية** التي ألفت بها أسفارالمشناة **باللغة الربانية**

لأن فقهاء اليهود الذين يطلق عليهم اسم **الربانيين** هم الذين اســتخدموها في تــأليف هــذه الأســفار، وهــي تختلــف اختلافــا غيــر يســير عــن **اللغــة العبرية** التي ألفت بها أسفار **العهد القديم** (30)

وهــي ـ **أي المشنــاة** ـ أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفســهم بعد **التوراة** (31) وأول من جمعها حاخام يهودي هو **يهــوذا هناســي** ، وفــي (**قصة الحضارة**) يشــير (**ول ديورانــت**) إلــى أن هنســيا " تــابع فــي قريــة صبورة بفلسطين عمــل **عقيبــا ومــائير وعدلــه** ، وأعــاد ترتيــب الشــريعة الشــفوية بأكملهــا ثــم دونهــا وزاد عليهــا إضافــات مــن عنــده ، فكــانت هــي مشــنا الحبــر يهــوذا ، وانتشــرت هــذه بيــن اليهــود انتشــارا أصبحت معه بعد زمن ما هي المشنا والصورة المعتمدة لشريعة اليهــود الشفويــة " (32) **وقد تضمنت مباحث أو أبوابا عديدة هي :**

1 ـ مبحث البذور :

يتعلق هذا المبحث بكل الأمور الزراعية والنباتات .

2 ـ مبحث الأيام المقررة :

ويتناول الأعياد والصوم والأيام المقدسة لدى اليهود .

3 ـ مبحث الأضرار :

وفيه القوانين المدنية والأعمال والحالات الجنائية .

4 ـ مبحث المرأة :

ويتعلق بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والنذور.

5 ـ مبحث الأشياء المقدسة :

وفي هذا المبحث كل مايتعلق بأمور الصلاة والدعاء .

6 ـ مبحث الطهارة :

ويتعلق بأمور الطهارة وكيفياتها والأشياء الطاهرة والأشياء النجسة (33)

ب ـ الجمارا

الجمارا (بكسر الجيم) معناها **الإكمال** (34) وهي تعني **التغير** وهو كتاب مخصص لشروح القوانين ومناقشتها وسرد القصص والأمثلة للتدليل على معانيها (35)

إذن **فالجمارا** هي شرح **للمشناة** ، الذي يفسر المتن ، وقد كتب معظمه **بالآرامية** وهومن وضع الربي **يهوذا** وولديه **(جامائيل)** و**(سيمون)** ثم تابع العمل الحاخام **آشي** وأكمله **(آبينوا و رابينا)** ووضعه في صورته الختامية الحاخام **جوسي** (36) وهو ينقسم إلى **قسمين** تدور في جملتها حول التلمود وشروحه **وهما :**

1 ـ جمارا أورشليم :

وهو سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين وبالأخص علماء **مدراس طبرية** لشرح أصول **المشناة** ويرجع تاريخ جمعه إلى عام **(400م)** (37)

2 ـ جمارا بابل :

وهو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم **المشناة** دونها علماء **بابل** اليهود وانتهوا من جمعه حوالي سنة **(500م)** **(38)**

وأما **التلمود** الشريعة الشفهية لليهود والذي يتكون من كتابين كما بينا المشنا والجمارا فليس **تلمودا واحدا** ، وإنما هو **تلمودان** أو بمعنى أدق قسمان :

القسم الأول : التلمود البابلي

وهو سجل للمناقشات حول تعاليم **المشناة** دونها علماء بابل من اليهود وانتهوا من جمعه سنة **(500م)** وهو يشتمل على **(2,5)** مليون كلمة منها القصص والأحكام **(39)**

القسم الثاني : التلمود الفلسطيني أو الأورشليمي

وهوسجل للمناقشات التي أجراها حاخامات طبرية في فلسطين، لشرح أصول المشناه ، ويرجع تاريخ جمعه إلى عام **(400م)** ويشتمل على **(750)** ألف كلمة منها قصص وحكايات يهودية ، هي أساس **الإسرائيليات** **(40)**

وجملة القول أن **التلمود** بكتابيه **المشناه** و **الجمارا** وبقسيمه **البابلي والفلسطيني الأورشليمي** هو مركب عجيب الآراء مليئ بالتناقضات ، وفيه من الكلام البذيء الذي يصل إلى حد الكفر والإلحاد**(41)** الأمر الذي يجعلنا ننفي تماما أن يكون من عند الله أي أن

موسى (**عليه السلام**) تلقاه عن ربه كما زعم اليهود ، ولو استعرضنا جانبا مما جاء في هذا **التلمود** فإننا بلا شك سنقف على تفاهة كاتبيه ، ونكشف زيف دعواهم بأنه من كلام الله المنزل على نبيه موسى (**عليه السلام**)

يورد **بولس حنا مسعد** في كتابه (**همجية التعاليم الصهيونية**) مجموعة من النصوص التلمودية الخرافية التي تتناقض مع العقل والمنطق ، والتي تمتزج فيها الأسطورة بالخيال ، وهي في جملتها تنصب في إطار المحاولات الرامية إلى الهيمنة والظهور بمظهر العظمة أمام بقية الشعوب ، من تلك النصوص :

" الشعب المختار وحده يستحق الحياة الأبدية أما الشعوب الباقية فمماثلة للحمير " (42)

" اليهودي أحب إلى الله من الملائكة فالذي يصفع اليهودي كمن يصفع العزة الإلهية " (43)

ويسجل **التلمود** حوارا حدث بين الله (**سبحانه وتعالى**) والقمر ، الذي أخطأ سبحانه ـ حسب زعمهم ـ في أن جعله أصغر من الشمس ، قال القمر لله : أخطأت حيث خلقتني أصغر من الشمس ، فأذعن الله واعترف بخطئه وقال : اذبحوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي لأني خلقت القمر أصغر من الشمس (44)

وإذا نظرنا إلى **نصوص التلمود** بعامة ، نجد أنها تتوزع بين

الخرافات والأساطير إلى أوهام العظمة والتميز، إلى أن تبلغ درجة التطاول على الله **تعالى** ووصفه بما لايجوز أن يوصف به

ويتضح لنا من خلال ما سبق ، أن السر الكامن وراء أفضلية **التلمود** على **التوراة** ـ لدى اليهود ـ هو اشتماله على هذا النمط من الخرافات والأساطير، التي تخدم مخططهم وتحقق هدفهم ، ولعلنا بتناول آثار أحبارهم فيما بعد من خلال ما بثوه في الفكر الإسلامي وهو ما اصطلح على تسميته **بالإسرائيليات** سنكشف إلى أي مدى بلغ تأثيرتلك النصوص على هذه الآثار ، التي يزعمون أنها من كتب الله القديمة .

(3) الأساطير

(الأساطير) جمع **أسطورة** (بضم الهمزة) **وإسطارة** (بكسرالهمزة) وفي **(لسان العرب)** يقول : **ابن منظور** اللغوي " **واحدتها إسطار ، وإسطارة ، بالكسر وأسطير، واسطيرة ، وأسطورة (بالضم)** " (45) والشائع والأشهر **أسطورة** (بضم الهمزة) .

وفي **القرآن الكريم** جاءت الأساطير على زنة (أفاعيل) **"أساطيرالأولين"** وفي **تسع آيات** (46) من ذلك قوله **تعالى** " **يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين**" (47) وقد أريد من ذلك ـ **على**

حد رأي الذين كفروا ـ أن الذي جاء به القرآن لايزيد عن كونه **أساطير وخرافات الأولين** ، وعلى هذا المعنى تتفق أغلب آراء المفسرين .

وعن الجذر الأصلي للفظ **(أساطير)** وهو مدلول الأساطير حسب النص القرآني ، قيل " **أساطير** : جمع الجمع لسطر وأسطر . **ومفرده سطر وهو الخط والكتابة** " (48) ومنه قوله تعالى : " **كان ذلك في الكتاب مسطورا** " (49) أي مكتوبا . فيكون المعنى أن القرآن في زعمهم مما كتبه الأولون .

والأساطير **(الأباطيل)** ـ كما يقول **ابن منظور** ـ وهي **أحاديث لا نظام لها** (50) أوهي **الحديث الذي لا أصل له** ، وعلى هذا الأساس فهي لاتخضع لنسيج فني معين أو كما يقال حديثا منهج معين ، كما هي العادة في الأنماط الإبداعية والفنية الأخرى .

وفي **(معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب)** نجد أن الأسطورة " قصة خرافية يسودها الخيال وتبرز فيها قوى الطبيعة في صور كائنات حية ذات شخصية ممتازة وينبني عليها الأدب الشعبي"(51)

وفي دراسته عن **(الأساطير والخرافات عند العرب)** يرى الدكتور **محمد عبد المعين خان** أنها " تفسير علاقة الإنسان بالكائنات ، فالأسطورة مصدر أفكار الأولين وهي فكرة بدوية صبغت بصبغة الإطناب والمغالاة لإظهار أهمية تلك الحادثة الحقيقية في جيل زال أثره

من ذهن النـاس ، والنـاس بـالطبع يكبرون الشـيء الصغير، لاظهـار عظمة الجيل السالف " (52)

ويرى (دي ريجمون) أن الأسطورة " قصة أو حكايـة رمزيـة بسيطة ومؤثرة تلخص عددا لاينتهي من المواقف المتشـابهة قليـلا أوكثيرا ، أو بالمعنى الضيق للكلمة تترجم الأسطورة قواعد السلوك عندالجماعة الاجتماعية أو الدينية بعينها، وتنتمـي بالتـالي إلـى العنصـر المقدس الـذي تكونـت حولـه هذه الجماعـة، والأسطورة لا مؤلف لها بعينه، ويتعين أن يكون أصلها غامضا،وأن يكون معناها نفسـه غامضـا إلى حد ما،ولعل أعمق سمات الأسطورة أنها تتمكن منا رغما عنا"(53)

ويذهب الباحث الفرنسي (إلياد) إلى القول بأن " الأسطورة تـروي قصة مقدسة وحدثا وقع في الزمـان الأول . زمن البدايـات الخرافـي ، يتم بفضل الكائنات الخارقة للطبيعة " (54) ولعل أكثر التعريفات اتفاقـا بين العلمـاء والباحثين ، هو أن الأسطورة " قصـة أو مـأثور يحمـل بالطبع والضرورة سمات العصور الأولى والقديمـة ، مفسرة معتقدات النـاس بـإزاء القـوى العليـا والسـماوية وآلهتهم وأنصـاف آلهتهـم ، وأبطالهم وخوارقهم ومعتقداتهم الدينية " (55)

وأصل **الأسطورة** خرافة اخترعها خيال الإنسان ، لتفسير العلاقة التي تربطه بالوجود ، وتعليل ما يجرى فيـه من بعض الظواهر التـي عجز عقله عن معرفة أسبابها الحقيقية فانساق مع الأوهام ، لذلك كانت

أكثر الأساطير مما يثير العجب والدهشة ، لأن الأحداث فيها لاتسير سيرها الطبيعي وفق سنن الكون ، ولكن تسيرها قوة جبارة خفية تصنع الخوارق وتهيء الظروف الملائمة لتمضي بها في المسلك الطبيعي ، بل في المسلك الذي رسمه القصاص إلى النهاية ، ويشبه **الأساطير** من بعض الوجوه ذلك القصص الديني الذي لم يقتصر فيه الرواة والمفسرون على ما أوردته الكتب المقدسة ، بل جعلوا منه على مرّالعصور مرتعا لتصوراتهم ومسرحا لتخيلاتهم **(56)**

إذن **فالأسطورة** هي من اختراع الإنسان وصنعه ، وقد اكتسبت مع الأيام قداسة خاصة ، وهي تنتقل من جيل إلى جيل بالرواية الشفهية ، مما يجعلها ذاكرة الجماعة التي تحفظ قيمها وعاداتها وطقوسها وحكمتها وتنقلها للأجيال المتعاقبة وتكسبها القوة المسيطرة على النفوس**(57)**

وحيث أن **الأساطير** مصدرمن المصادر الرئيسية **للإسرائيليات** في الفكر الإسلامي فإننا نجد أن كتب التاريخ قد غصت بنماذج أسطورية متعددة جاءت عن طريق أولئك الأحبار من اليهودالذين شغلوا بالتفسيروالتاريخ والسير ، وبعضهم قد ألف في ذلك كتبا **كوهب ابن منبه** **(58)** اليهودي اليماني الذي كان يزعم أنه قرأ من كتب الله تعالى **اثنين وسبعين** كتابا **(59)** وبذلك يريد القول أن الأخبار التي يرويها إنما هي مما كان في تلك الكتب ، بيدأنها في الواقع لا تعدو أن

تكون أساطير وخرافات توراتية وتلمودية عمل باتجاهه اليهودي على التوغل بها في الفكر الإسلامي ، وقد استطاع أن يتسلل من خلالها إلى المصنفات التاريخية بشكل كبير، حتى إنها غدت مصدرا ومرجعا يعود اليها كل من كتب عن تاريخ بدء الخليقة وأحوال الأمم الغابرة وقصص الأنبياء السابقين ، والغيبيات وغير ذلك من الأخبار التي لم يكن للمسلمين علم بها .

ولو سلمنا بصحة مرويات **وهب** التي زعم أن مصدرها **كتب الله القديمة** وأجرينا مقارنة بينها وبين بعض نصوص العهد القديم برغم ما خالطها من تبديل وتحريف، لوجدنا ثمة تناقضا كبيرا بينهما، وهو ما يجعلنا نجزم بأن أغلب مروياته إن لم تكن كلها ليست سوى أساطير استقاها من تلك البيئة التي عاش فيها ، وهي اليمن التي كانت مرتعا لكثيرمن الأساطير القديمة وموطنا من مواطن اليهودية والنصرانية ، إلى جانب ما أسبغه عليها من خياله الخصب ، والغني بالمأثور الأسطوري ، وهوما سنتعرض له عند حديثنا عن دوره وآثار إسرائيلياته في تشويه التاريخ والسيرة .

وجملة القول في مسألة **الأساطير** التي تعد مصدرا من مصادر **الإسرائيليات** أن كل تلك المرويات التي حاول **وهب** وأمثاله من الأخباريين والقصاص أن يجعلوها مادة للتأثير في الفكر الإسلامي ، ليست فيما أرى ـ على الرغم من الآثار التي خلفتها ـ إلا لونا من

ألوان (**الفولكلور الشعبي**) يمتزج فيه الخيال بالواقع والمأثور بالمعتقد، وهي مجرد مأثورات شفوية أريد بها التوغل والتأثير في أفكار المسلمين ومعتقداتهم .

(ب) طرق انتشارها :

بينا فيما سبق المصادر التي تعود إليها الروايات الإسرائيلية والتي كان في مقدمتها **التوراة** التي يزعم اليهود أنها الكتاب المنزل على موسى (**عليه السلام**) وهو في واقع الأمر مجرد أخبار وحكايات صاغها الحاخمات ونسبوها إلى **موسى** وقد أكدنا أن **التوراة** في الأساس كان كتابا منزلا من الله **تعالى** على **موسى** في **طور سيناء** ثم حرف وبدل بأيدي الحاخامات ثم عرضنا **للتلمود** مصدرا ثانيا **للأسرائيليات** ، وهو مجرد شروح الحاخامات وحواش وضعت على التوراة وعدت توضيحا له ، واكتسبت بذلك قداسة كبيرة ربما فاقت قداسة التوراة لدى بعض اليهود ، هذا إلى جانب **الأساطير** التي لم تكن سوى خرافات وأوهام اصطنعها الخيال اليهودي بدافع الدس على الإسلام , وبناء على ذلك أصبح واضحا لدينا أن هذه المصادركانت هي المنبع الرئيسي الذي انطلقت منه **الإسرائيليات** باتجاه الفكر الإسلامي .

ويمكن هنا أن نحدد تلك الطرق التي انتشرت بموجبها هذه الإسرائيليات والتي اختلف تأثيرها ، مثلما تباين حجم المرويات التي تحملها من طريق لآخر وهذه **الطرق هي** :

1 - يهود شبه الجزيرة العربية

يرى بعض المؤرخين أن الهجرة الكبرى لليهود إلى جزيرة العرب كانت في القرن **(الأول الميلادي)** بعد تنكيل الرومان بهم سنة **(70م) (60)**

وهذا بالطبع لا ينفي أن ثمة عددا من اليهود كانوا قد سبقوا هذا التاريخ في الهجرة إلى الجزيرة العربية ، كما يرى بعض المؤرخين أن اليهود في الحجاز كانوا قبائل عربية تهودت وليسوا من بني إسرائيل ، ويستدلون على ذلك بأن معظم أسمائهم وأسماء قبائلهم عربية مثل **رفاعة ووهب وكعب وزيد وعبدالله** ومثل **بني النضير وبنوعوف وبني ثعلبة (61)** وإن كان الاستدلال من دراسة الأسماء على أصول الناس لا يمكن أن يكون حجة للحكم على أصولهم وأجناسهم ، كما يرى الدكتور **جواد علي** الذي استدل على ذلك بأن "الفرس والروم والهنود وغيرهم ممن دخل الإسلام ، تسموا بأسماء عربية وبعضها أسماء عربية خالصة ،ولكنه لا تعني أن من تسمى بها كان عربي الأصل"**(62)**

وفي القرآن الكريم نجد إشارات إلى اليهود في كثير من آياته مقرونة **ببني إسرائيل** أوبعبارة **اليهود** أو **الذين هادوا** ، كما ربط في كثير من آياته بين أخلاق اليهود المعاصرين للنبي **(ص)** وبين أخلاق آبائهم من لدن **موسى وعيسى** وغيرهما من الأنبياء**(عليهم السلام)** مبينا ما كان عليه الجميع من كفر وتكذيب واعتداء على الرسل الذين بعثوا لهدايتهم (63)

وهذه النصوص القرآنية التي أشارت إلى ذلك ، تؤكد في جملتها أن يهود الحجاز هم في الأصل من بني إسرائيل وليسوا ممن تهود من العرب ، لأن توجيه الخطاب إليهم بهذه الصورة يفيد أنهم من نسل أولئك الآباء الذين **آذوا موسى وعيسى** وغيرهما من الرسل (64) وقد أشارت كثير من المصادر التاريخية إلى استيطان اليهود في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية شمالا وجنوبا واتخاذهم من **يثرب وفدك**(65) **وخيبر**(66) **ووادي القرى**(67) **وتيماء**(68) **واليمن**(69) منازل لهم ، حيث أقاموا في يثرب **(آطاما)** وهي حصون يلجؤن إليها وذلك نتيجة لما وجدوه فيها من وفرة المياه وكثرة الزرع ، فضلا عن موقعها الاستراتيجي الهام (70) وهم حينذاك مكونون من عدة قبائل منهم **بنو عكرمة وبنو ثعلبة وبنو محمر وبنو زعورا وبنو قينقاع وبنو زيدة وبنو النضير وبنو قريضة وبنوبهدل وبنوعوف وبنو القصيص وبنو ماسلة** (71) وتسابقت هذه القبائل اليهودية على اختيار

مواقع سكناها في يثرب حسب أهمية كل موقع منها ، فقد اتخذت أهم ثلاثة عشائر منهم وهم **بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريضة** أهم مواقع يثرب . فسكن **بنو قينقاع** (بفتح القاف وتسكين الياء وضم النون) في مكان يدعى **طحان** مما يلي **العالية** وهما ضاحيتان من ضواحي المدينة بينما اتخذ **بنوالنضير** موقع سكناهم **بعوالي المدينة** عند **قباء** واستولوا على أجود ما عرفت بساتين المدينة **العجوة واللبن**(72)

أما **بنو قريضة** (بضم القاف وفتح الراء وتسكين الياء) فقد نزلوا في ضاحية يثرب من جهة **الجنوب الشرقي** (73) وقيل في منطقة تسمى **مهزور** تقع على بعد أميال من **جنوب المدينة** (74)

وقد كان لهذه القبائل ـ من الناحية العقلية والدينية ـ وضع معين قبل بعثة النبي وهجرته إلى يثرب . فهم أهل كتاب استطاعوا بميراثهم الديني والثقافي أن يكتسبوا نوعا من الوجاهة الفكرية بين العرب ، بما لديهم من قصص الأنبياء والملوك الأقدمين ، وحكايات بدء الخليقة ، وبما لديهم أيضا من شريعة سماوية يباهون بها على الوثنية العربية آنئذ (75) وربما كان لهذه المزايا أثرها البين في مناصبة الرسول (ص) العداء ، إذ رأوا أن الإسلام الذي جاء به **محمد** يستهدف مجدهم الذي كانوا عليه ، وأن الوقوف أمامه والتصدي له هو الضمان الوحيد للاحتفاظ بتلك المزايا ، فنقضوا كل العهود التي أبرمها معهم الرسول (ص) في إطار احترامه لهم من حيث كونهم جيرانا وأصحاب كتاب

وحاربوه وهو الأمر الذي دفعه **(عليه السلام)** إلى إجلائهم عن المدينة نهائيا علي أساس أن لاعهد ولا أمان لهم ، إلى جانب كونهم يعملون في الخفاء على الكيد والدس والتآمر.

وفي مصادر التراث الإسلامي ثمة مواقف كثيرة برز فيها اليهود لمحاورة الرسول **(ص)** فقد روى **ابن هشام** : " أتى رهط من يهود إلى رسول الله **(ص)** فقالوا : يامحمد ! هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب رسول الله **(ص)** حتى امتقع لونه ثم ساورهم ـ أي باطشهم ـ غضبا لربه ، قال فجاءه جبريل **(عليه السلام)** فسكنه فقال : خفف عليك يا محمد ، وجاءه من الله **تعالى** بجواب ما سألوه عنه : **قل هو الله أحد . الله الصمد** " (76)

إن هذا النص يكشف عن بذور هامة **للإسرائيليات** أدلى اليهود بها على نحو سافر، كما يكشف عن دبيب الوثنية والشك في الربوبية الذي سرى إلى عقائدهم . كذلك كانت من مساءلاتهم للنبي عن طريق نفر من قريش سؤالهم عن رجل طواف في الأرض وعن فتية لا يدري ما صنعوا وعن الروح فنزلت سورة **(الكهف)** تجيب **بالمنهج القرآني** ، فيحكي القرآن قصة أهل الكهف دون تفاصيل ودون تهاويل أيضا، ويعمد إلى استخلاص مواضع العبرة بشكل مكثف ، ويحكي ـ بنفس المنهج ـ قصة **ذي القرنين** ثم يصرف النظر عن مسألة الروح وعن الجدل حولها لأنه مما لا يفيد (77)

ويتضح من هذه المحاورات التي أجراها اليهود مع الرسول **(ص)** أنهم كانوا يهدفون إلى سلخ العرب عن تراثهم وثقافتهم ، بما يحملون معهم من رصيد ثقافي ، وقد اتخذوا لهم من الجزيرة العربية مواضع عديدة لهذا الشأن عرفت بين الجاهليين **بالمدراس** كما نجد أن بعضا من مشركي قريش كانوا تلاميذ لليهود وللثقافة الإسرائيلية ، حتى إنهم هم الذين يسعون إليهم بالسؤال فيحرضهم اليهود على سؤال النبي، ومن بين هؤلاء التلاميذ **النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط** .

من هنا يمكننا القول أن **يهود شبه الجزيرة العربية** كانوا رافدا كبيرا من الروافد التي أسهمت في تمرير المخطط اليهودي الذي استهدف الثقافة العربية والفكر العربي قبل الإسلام وتعاظم مده إلى الفكر الإسلامي فيما بعد بالهزيمة الساحقة التي لحقت بهم وحدت من تمادي خطرهم واستفحال دسائسهم على يدي الرسول **(ص)** الذي أرسله الله لإنقاذ العقل الإنساني من الهيمنة والتضليل .

2 ـ المنافقون

ظهر لفظ **(المنافقون)** لأول مرة في الإسلام إذ لم يستعمل في الجاهلية من قبل بالمعنى الذي عرفَ به بعده ، ولهذا فهو **تسمية جديدة أدخلها الإسلام ليثرى اللغة العربية كالكفر والصلاة** (78) وقد أريد به **من يستر كفره ويظهر إيمانه** أو كما يراه **ابن منظور** " لغة ترادف مع

الرياء أو إظهار غير ما في الباطن " (79) وقد ورد في القرآن الكريم مذكرا (**المنافقون**) ومؤنثا (**المنافقات**) في **اثنين وثلاثين** موضعا (80) وبين وفضح مؤمراتهم ومكائدهم في أكثر من **ثلاثمائة** آية أخرى . حيث أخذ مدلولها في الإسلام يرتبط بتلك الفئة التي خرجت على الجماعة ، وكادت تؤدي إلى شق وحدتها طارحة نفسها **كقوة ثالثة** في الصراع الإسلامي اليهودي .

وقد بينا فيما سبق ، من خلال حديثنا عن يهود شبه الجزيرة العربية مدى الدورالخطير الذي لعبه اليهود في المدينة ضد الرسول (ص) والمسلمين ، وكيف استطاعوا التسلل إلى صفوف المسلمين متظاهرين بالإسلام تقية ، ثم بينا كيف أن الرسول فطن لمؤامراتهم وأجلاهم عن المدينة برغم العهود والمواثيق التي كانت بينه وبينهم، والتي نقضوها بتدبيرهم للمؤامرات التي أوشك بعضها أن يقضي على الرسول (ص) نفسه ، وأن يكيد المسلمين ، حيث كان لوجود اليهود في المدينة وتمتعهم فيها بقوة عسكرية واقتصادية وتنظيمية في أول العهد المدني، وكراهيتهم كذلك لظهور محمد (**عليه السلام**) ودينه وأتباعه كان وجود اليهود على هذا الوضع مشجعا للمنافقين ، وسرعان ما جمعتهم البغضاء والحقد فأخذوا في حبك المؤمرات ودس الدسائس فإن كان المسلمون في شدة ظهروا بعدائهم وجهروا ببغضائهم ، وإن كانوا في رخاء ، ظلت الدسائس سرية والمكائد في الظلام (81) ولأن اليهود

كانوا يرون أن الإسلام استهدفهم وقضى على نفوذهم ، فقد استطاعوا أن يجلبوا إلى صفهم المنافقين الذين كان ظهورهم في المدينة أمرا طبيعيا كحالة نفسية لابد منها في هذه البيئة التي غلب عليها الإسلام(82) وربما كان من أهم أسباب استمالة المنافقين إلى جانبهم ، وقوف الإسلام عقبة أمام زعيمهم **عبد الله بن أبي بن سلول** الذي كان يعد لتولي رئاسة المدينة قبل هجرة الرسول **(ص)** إليها ، حيث تعاظم **حزب المنافقين** بشكل كبير باجتذاب اليهود لهم ، مما جعلهم يشكلون جميعا قوة كبيرة عملت على مواجهة الرسول **(ص)** وصحابته في كثير من المواقع التي شهدت صداما مسلحا مع المنافقين ، واستطاع **ابن سلول** بتحالفه مع **بني قينقاع** أن يقوي شوكة **حزب المنافقين** وربما ساعده على ذلك **غنى بني قينقاع** وقوتهم التي كان لها شأن في المدينة.

واتخذ **المنافقون** مسجدا لهم في المدينة لتمويه الرسول **(ص)** وخداع أصحابه ، وسعوا إلى تمرير مخطط خداعهم باتفاق مع حلفائهم **اليهود** فدعوا الرسول **(ص)** إلى الصلاة فيه ليكتسب صفة الشرعية حيث أشار القرآن الكريم إشارة صريحة إلى هذا المسجد ، الذي سمي **بمسجد الضرار** (83) وعندما تنامي خطر **المنافقين** وامتد على عهد رسول الله ، برزت أسماء عديدة إلى جانب **عبد الله بن سلول** (84) كانت تتحد في هدفها ، وهو ضرب الإسلام من الداخل ، واثارة الفتن

والنزاع بين أتباعه ، وفي أواخر عهد الخليفة **عثمان بن عفان** ، ظهر **تيار المنافقين** بشكل أكثر وضوحا وذلك من خلال بروز **عبدالله بن سبأ** اليهودي اليماني الذي يعد من أبرز **مسلمة أهل الكتاب** والذي انضم إلى **حلف المنافقين** بحكم يهوديته وأجج نار الفتنة الكبرى ، وهو يزاور بين هنا وهناك ، ويجوب الأمصار الإسلامية لتأليب المسلمين على خليفتهم من ناحية ، ولنشر أفكاره اليهودية من ناحية أخرى .

ويمكن القول في هذا الجانب ، أن **حركة المنافقين** قد شهدت **بعبدالله بن سبأ** ـ الذي كان يدعي الإسلام ـ تناميا كبيرا ، وشكلت بتحالفها مع **اليهود** قوة استطاعت أن تنهل من المنابع اليهودية أفكارا ومبادىء عملت على تأكيدها من خلال تظاهرها العلني بالإسلام وتخفيها بين صفوف المسلمين ، فمثلت تلك الأفكار والمبادىء التي تلقاها **المنافقون** عن **اليهود** طريقا من أخطر الطرق التي روجت للاسرائيليات خلال **(القرن الأول الهجري)** والتي استهدفت بسعيها الدائب النيل من الإسلام وإحداث الفتن والقلاقل فيه ، ولو أمعنا النظر جيدا في تلك الأفكار التي عمل **منافقو المدينة** وفي طليعتهم **ابن سبأ** ، على ترويجها بين صفوف المسلمين ـ والتي سنتناولها في فصل لاحق ـ لتبين لنا بكل وضوح أنها بحق ذات منابع وأصول يهودية خالصة .

3 ـ مسلمة أهل الكتاب

يراد بمسلمة أهل الكتاب **اليهود والنصارى** الذين أسلموا أو تظاهروا بالإسلام وعاشوا في كنف الدولة الإسلامية ، فشكلوا بذلك خطرا بات يهدد الإسلام إذ كانوا يدعون العلم بكل الأمور ، مستغلين بذلك شغف المسلمين وشوقهم لمعرفة تفاصيل الأمور ودقائقها ، فعملوا على نشر كثير من الأفكار والمعتقدات في الفكر الإسلامي مدعين أنها من علوم الكتب السابقة ، وقد تنبه **ابن خلدون** إلى دورهم في نشر **الإسرائيليات** فقال : " **وقد جمع المتقدمون في ذلك وأدعوا الا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود**"(85) ثم رد **ابن خلدون** سبب أخذ المسلمين عنهم إلى أن العرب في تلك الفترة " **لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وقد غلبت عليهم البداوة والأمية ، ولهذا فإنهم عندما يشتاقون إلى معرفة أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنها أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى** " (86) وأهل الكتاب الذين كانوا يعيشون مع المسلمين في تلك الفترة ، كانوا أهل بداوة وأميين ، ولم يكن لهم الاطلاع الذي يؤهلهم لأن يفيدوا غيرهم حيث أشار **ابن خلدون** إلى أنهم " **لايعرفون من التوراة إلا ماتعرفه العامة من أهل الكتاب** ، وأن

معظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا يتعلق بالأحكام الشرعية ، التي يحتاجون لها مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم " (87)

ونلاحظ من خلال ما أورده **ابن خلدون** عن انتشار **الإسرائيليات** على أيدي مسلمة أهل الكتاب ، أن هذه الحركة تشبه ـ من بعض الوجوه ـ حركة انتشارها على أيدى اليهود في العصر الجاهلي ، من حيث ثقة العرب بما لديهم وتقديرهم لثقافتهم وتشوقهم النفسي والعقلي إلى المجهول من تاريخ البشرية مع خلاف مهم هو أن إسرائيليات **مسلمة أهل الكتاب** لا تتعلق بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها ، كما أن هذه **الإسرائيليات** ليس مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يحببها العمل (88) وأصحاب **الإسرائيليات** من مسلمة أهل الكتاب كانوا في أغلبهم **من يهود اليمن** ، الذين يبدو أنهم كانوا أصحاب عناية خاصة بأخبار الخليقة والأنبياء والملوك الأقدمين، وأن من أسلم منهم قد برزت لديه هذه العناية (89) وقد كان من أبرز **مسلمة أهل الكتاب** الذين أسهموا في اختلاق **الإسرائيليات** ونشرها في الفكر الإسلامي **عبد الله بن سلام (90) وكعب الأحبار وتميم الداري(91) ووهب بن منبه** وغيرهم إلا أن هذه الأسماء كانت الأكثر ترددا ـ بحكم كثرة روايتها ـ في مصنفات التفسير والتاريخ وخاصة في تفسير وتاريخ **محمد بن جرير الطبري** الذي

يروي عـادة القصـص والحكايـات الإسـرائيلية دون أن يهتـم كثـيرا بالتعقيب عليها ونقدها .

وبالرغم من الأثر الكبير الذي تركه **مسلمة أهل الكتـاب** فـي الفكـر الإسلامي ، فإن **ابن خلدون** الذي أفاض في هذا الموضوع لم يوجه لهم أدنى اتهام بسـوء النيـة ، مـع أن الكثيرين مـن باحثينـا المعـاصرين قـد اتهموهم وعدوهم دسيسة يهودية على الإسـلام ، ومـن هـؤلاء البـاحثين **جواد علي ورشيد رضا وأحمد امين ومحمود أبو رية (92)**

ومع هذا فهناك من المعاصرين من ذهب إلى القول بـأن الأعـم الأغلب مما أسـند إلـى مسلمة أهـل الكتـاب ـ **وبخاصـة كعب الأحبـار ووهـب بـن منبـه** ـ إنمـا زيـف عليهم ولفـق لهـم (93) ومهمـا كـانت المسوغات والقول بزيف بعض ما نسب لهم ، فـإن هـذا لا ينفـي مطلقـا إسهامهم في تمرير المخطط اليهودي الذي استهدف الفكر الإسلامي .

4 ـ بعض الصحابة

عـد علمـاء الجـرح والتعديـل **كـل الصحابـة عـدولا** ، ومعنـى العدالة لديهم هو تجنبهم الكذب في الرواية والانحراف فيها بارتكاب مـا يوجب عدم قبولها ، فينتج عن ذلك قبول جميع رواياتهم من غير تكلـف البحث عن عدالتهم ، ومن لابس الفتن منهم يحمل أمـره علـى الاجتهـاد المأجور فيه لكل منهم تحسينا للظن بهم (94)

واستند **علماء الجرح والتعديل** في تعديلهم للصحابة ، إلى النصوص القرآنية التي تزكيهم وتشيد بدورهم في الجهاد مع الرسول ضد أعداء الإسلام ، وقد اعتبر من ينقص أحدا منهم **زنديقا (95)**

ولكن الحقيقة التي يجب أن ننتبه إليها ، هي أن **القول بالعدالة لم يكن مطلقا** ، ذلك أنه **يجوز على الصحابة ما يجوز على غيرهم** من الغلط والنسيان والسهو بل والهوى ، وما هم إلا بشر يقع منهم ما يقع من غيرهم ، مما يرجع إلى الطبيعة البشرية **(96)** كما ثبت عن **عمر وعلي وعثمان وعائشة وغيرهم** أنهم كانوا يتصفحون على إخوانهم في الصحبة ، ويشكون في بعض ما يروونه عن الرسول **(ص)** ويردونه على أصحابه **(97)** مما يؤكد أن مسألة عدالتهم إجمالا ليست مطلقة ، فكل شيء جائز عليهم ، وقد كان رسول الله **(ص)** ذاته وهو الذي أرسله الله **تعالى** بالحق وزكاه في الكتاب العزيز يقول على نفسه " **إنما أنا بشر** " **(98)** بمعنى أنه **ليس معصوما عن الخطأ** ـ لأنه من البشر ـ وذلك في الأمور المتعلقة بالحياة وما ليس فيه وحي من الله تعالى ، فكيف يمكن لنا بعد هذا أن نؤمن بعدالة الصحابة العدالة المطلقة ، وقد عرفنا منهم ومن خلال آيات القرآن الكريم ووقائع التاريخ الكاذبين والمنافقين والمرتدين أيضا ، والذين كانت لهم مواقف واضحة بينة على عهد رسول الله **(ص)** وبعد وفاته ، غير أن الرسول نبه إلى إمكان حدوث ذلك بعد وفاته ، حيث قال في حجة الوداع " **لا ترجعوا**

بعدي كفارا يضرب بعضكم رقـاب بعض " (99) وقد أورد **البخـاري** ـ وهو من يقول بعدالة الصحابة ـ عن **ابن عباس** أن النبي **(ص)** قال : " **انكم تحشرون حفاة عراة وأن أناسا من أصحابي يؤخذ بهـم ذات الشمال فأقول : أصحابي أصحابي فيقول أنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم** " (100)

نخلص من هذا إلى القول ، **بعدم عدالة الصحابة في العمـوم** ، وهذا لا ينفي بلا شك عدالة أغلبهم ممن بقى على العهد وواصل مسيرة الدعوة إلى الحق والجهاد فـي سبيل اللـه من بعد وفـاة الرسول **(ص)** حتى مات .

وحيث إننا نتحدث عن دور بعض الصحابة في نقل **الإسرائيليات** وترويجها ، فإن الأمر بات واضحا لدينا ، هؤلاء الصحابة الذين لم تثبت عدالتهم كان لهم دور بارز في ترويج روايات أهل الكتاب ونقلها إلى الفكر الإسلامي بدعوى أنها تفصيل لبعض ما أجمل القرآن ولم يأت على تفصيله .

فقد جلس **ابن عباس وأبو هريرة** (101) **وعبد الله بن عمرو ابن العاص** (102) **وغيرهم** ، من كبار الصحابة ـ كما كانوا يدعون ـ إلى **أحبار اليهود** الذين تظاهروا بالإسلام ليتمكنوا من التسلل بأفكارهم اليهودية إلى الفكر الإسلامي، مستغلين عدم معرفة المسلمين بأخبار

الأمم الغابرة والأحداث الماضية التي كانوا يزعمون أن لهم معرفة بها من خلال الكتب القديمة .

وقد أخذ **أبوهريرة وابن عباس وابن عمرو بن العاص** عن كثيرمن الأحبارمن أمثال **عبدالله بن سلام** الذي كان من أبرز أحبار اليهود ، ثم ادعى الإسلام على يدي رسول الله **(ص)** وكذلك عن **كعب الأحبار** الذي كان يدعي معرفة كل شيء عن الأمم الماضية وأحوالهم وأخبارهم ، وتناقل هؤلاء الصحابة ما أخذوه عن **ابن سلام وكعب وغيرهما** نتيجة عدم معرفتهم بما لدى هؤلاء الأحبار من روايات حتى بلغ ببعضهم الخلط بين ما سمعوه من الأخبار وما تلقوه عن الرسول .

وبذلك نتبين أن هؤلاء الصحابة مثلوا **احدى الطرق** التي أسهمت في ترويج **الإسرائيليات** وإن كنا من باب التلطف معهم ، نقول إنهم خدعوا باسلام هؤلاء الأحبار حتى ظنوا أن كل ما تلقوه من روايات هو حقا من كلام الله في **التوراة** التي نزلت على موسى **(عليه السلام)** مع أنهم كانوا مع ذلك يعرفون مدى الخلط والتحريف الذي الحقه اليهود بالتوراة ويعلمون ما تلقوه من روايات عن هؤلاء اليهود .

5 ـ القصاصون

عرف رواة الحكايات الماضية والوعاظ **بالقصاصين أو القصاص** وهو **جمع قاص** والقاص **هو الذي يأتي بالقصة على وجهها**

كأن يتتبع معانيها وألفاظها (103) وهو أيضا **الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها** ، وهذا في الغالب هو من يروي أخبار الماضين **(104)** حيث استمال القصاص قلوب العامة واستهووهم بما يروونه لهم من غرائب وأعاجيب والنفس البشرية - إن لم يكن لها حصانة من علم صحيح وبصيرة تميز بها بين الحق والباطل - كثيرا ما ينطلي عليها تلك الأعاجيب وتسلم في بساطة ويسر للغرائب ولو كانت أكاذيب **(105)**

ولقد صور **ابن قتيبة** مبلغ تأثير هؤلاء القصاص على قلوب العامة ، وعدهم من عوامل دخول الشوب والفساد على الحديث ، بحيث كانوا " يميلون وجوه العوام إليهم ويستدرون ماعندهم بالمناكيروالغريب والأكاذيب من الأحاديث وكان من شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجيبا خارجا عن فطر العقول ، أو كان رقيقا يحزن القلوب ويستغرر العيون " **(106)** كما أن كثيرا من القصاص كانوا يعمدون إلى استجلاب الناس إليهم بهذه الطريقة ، ولهم في ذلك غايات ومقاصد وأهداف ، فمنهم من كان يبغي الدعاية والشهرة والجاه ، ومنهم من كان يقصد التعيش والارتزاق وكسب الأموال ، ومنهم من كان سيىء النية التجأ إلى ذلك بقصد إفساد الدين والدس فيه .

والإنسان بشكل عام تواق بطبعه إلى معرفة أخبار الماضين واستقصاء قصصهم سيما إذا كانت كأكثر قصص القرآن تتصل بحياة

الإنسان وسنن الكون وأسرار الوجود وفيها ما يفسح المجال للفكر والعاطفة ، فكان تطلع الصحابة إلى استقصاء أخبار القرآن والوقوف على تفاصيله مما دفعهم إلى استنطاح أهل الكتاب وبخاصة اليهود عما أجمله القرآن(107) .

أشرنا في حديثنا عن **مسلمة أهل الكتاب** إلى مقالة **ابن خلدون** حول مسألة التلقي عن **أهل التوراة** الذين كانوا في واقع الأمر لايعرفون من القصص إلا ما عرفه العامة من أهل الكتاب ، وقد خشي الرسول **(ص)** في المرحلة الأولى للدعوة الإسلامية أن تختلط على المسلمين مبادىء هذا الدين وأصوله بغيرها مما يتلقونه عن اليهود من ثقافتهم الدينية ، فنهى عن سؤالهم وذلك لما عرف عنهم من الكذب والتمويه على العوام بخاصة . وفي مرحلة لاحقة أباح الرسول **(ص)** الاستماع لهم والتحدث إليهم في الأمور التي جاءت موافقة لما في القرآن ـ وقد بينا ذلك بشيء من التفصيل أثناء حديثنا عن حكم رواية الإسرائيليات ـ ومع نهي الرسول **(ص)** عن ذلك ودعوته للتحوط من الرواية عن أهل الكتاب من القصاصين وعدم الخوض معهم فيما يزعمون ، خشية أن يرووا ما كان من الكتب القديمة صحيحا فيكذب أو كاذبا فيصدق ، فإننا نجد أن بعض الصحابة قد سمحوا لأنفسهم بالاستماع إلى أهل الكتاب والأخذ عنهم والتأثر بما يروون .

وفي عهد الخليفة **عثمان بن عفان** جلس في مسجد الرسول

(ص) القاص **تميم الداري** ليكون أول قاص في الإسلام ، وكان قد استأذن **عمر** أن يذكر الناس فأبى عليه ، لأنه يعرف ولعه بالقصص**(108)** "ويروى أن عليا مر برجل يقص على الناس فقال له : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال: لا فقال له : أتعرف المحكم من المتشابه ؟ قال : لا ، فأخذ علي بيده وقال : إن هذا يقول : اعرفوني"**(109)**

ومن خلال موقف الرسول **(ص)** إزاء الأخذ بقصص أهل الكتاب وتحذير الصحابيين **عمربن الخطاب وعلي بن أبي طالب** من بعده لمن تصدى لرواية القصص والحكايات الإسرائيلية ، يتضح أمامنا موقف الإسلام الصارم من القصاص ، وما يحاولون دسه من تلك الروايات الإسرائيلية بين المسلمين ، ومع ذلك فقد وجد من اهتم بالقصاص وجلس مجالسهم وقد أسهم هذا الاهتمام بالقصاص في رواج **الإسرائيليات** التي كانت قد انتقلت وراجت في الإسلام ، حتى اعتمدت مصدرا تاريخيا وتنوقلت بين المسلمين على أنها حقائق تاريخية وعلى الأخص في السيرة ، وقد كان اليهودي **وهب بن منبه** أول من وضع هيكلا لها ، فكتب من خياله القصصي ، عن تاريخ النبوة منذ بدء الخليقة حتى ظهور الإسلام كما لعبت القصص أيضا دورا كبيرا في تدوين سيرة الرسول **(ص)** حيث غدا **(عليه السلام)** بطلا لتلك السيرة ، فنسجت عنه الحكايات والقصص التي لاتختلف في سياقها عن قصص

أيام الجاهلية (110)

وقد برز إلى جانب **وهب** قصاص آخرون ، ساروا على نفس نهجه في رواية القصص الإسرائيلي الذي كان يعتمد على الخرافة الشعبية والخيال ، كما سبق **وهب** أيضا قصاص كثر كانوا قد وضعوا أساس هذا اللون من المرويات الإسرائيلية ، وكان من بين هؤلاء القصاص **تميم الداري** الذي أشرنا اليه آنفا ، وقد كان على آخر عهد عمر بن الخطاب **(رضى الله عنه)** وذكر **ابن الأثير** في **(أسد الغابة)** أنه " **كان أول من قص وأنه استأذن عمربن الخطاب في ذلك فأذن له**"(111) ومع أن غير **ابن الأثير** قد عزز هذه الرواية فإننا لا نرى أن صحابيا له موقفه الواضح والشديد من الإسرائيليات **كعمربن الخطاب** يأذن لقاص أن يحدث المسلمين ويقص عليهم من قصصه التي لا شك أنها من المرويات الأسطورية المختلقة التي لا تمت للحقيقة بصلة ، والتي لا يمكن أن ننظر إليها أو نتعامل معها إلا كلون من الألوان الأسطورية .

وأيا كانت دوافع القصاص ، فإن إجمال القرآن الكريم وعدم استغراقه في شرح أوتفصيل كثير من الأحداث والقضايا التي أثارها كان عاملا مشجعا على انتشار القصص والقصاص ، كما أسهم في تنامي ذلك أيضا اتخاذه أداة سياسية بين **علي ومعاوية** يستعين بها كل منهما على ترويج حزبه والدعوة له ، حيث يروى أن **عليا** قنت فدعا

على قوم من أهل حزبه ، فلما بلغ ذلك **معاوية** أمر رجلا يقص بعد الصبح وبعد المغرب يدعو له ولأهل الشام **(112)**

وتشير **المصادر التاريخية** إلى أن كثيرا من أولئك القصاص ، قد جلسوا **في المساجد** وراحوا يقذفون بخرافاتهم في قلوب العامة ويتسللون بشكل سريع وواسع إلى الأفئده وببراعة كبيرة حتى إن الإقبال على سماعهم فاق التوقع والخيال ، إلى درجة أنه أفقد العوام الثقة في كثير من العلماء ، فقد ذكر **ابن الجوزي** " أن أم **أبي حنيفة** أرادت أن تستفتي في شيء فأفتاها **أبو حنيفة** فلم تقبل , وقالت : لاأقبل إلا ما يقول **زرعة القاص** " **(113)** أي أن **زرعة القصاص** بالنسبة إليها كان أوثق علما من ولدها ـ **أبي حنيفة** ــ المعروف بفكره واجتهاده ، وما ذلك إلا لتأثير هؤلاء القصاص وسيطرتهم على الناس .

ولو رجعنا إلى **مصادرالتراث** ، من كتب التفسير والتاريخ ، لوجدناها **تغص بكثير من القصص والخرافات الأسطورية** ، التي روج لها هؤلاء القصاص وخاصة ما يتصل منها بالسمعيات ، ومن ذلك أن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت ، لا تروث ولا تبول ، ذوات أجنحة ، فيجلس عليها اولياء الله فتطير بهم حيث شاؤوا وهم بهذا يشدون المسلم بعيدا عن الحدود التي رسمها القرآن الكريم للجنة والنار، وهي حدود تبلغ مداها في إثارة نوازع الترغيب والترهيب لدى الفرد المسلم**(114)**

وفي كتاب **الفتن وأشراط الساعة** من **(صحيح مسلم)** **(115)** تبرز **قصة الجساسة** احدى القصص الخرافية الشهيرة التي دسها القصاص في تراثنا الإسلامي ، وهي قصة لايمكن لعاقل أن يقبلها ، كما أنها تتنافي مع العقيدة الإسلامية ، اذ لم يرد في **القرآن الكريم** أي ذكر لها كما لاتوجد أي إماءة أو إشارة لها في أي من آياته وإذا رجعنا إلى كتاب **الثعلبي (116)** المسمى بـ**(العرائس في قصص الأنبياء)** الذي اتخذه القصاصون مادة لمجالس وعظهم وجدنا أنه " في ظاهره تمجيد لعظمة الخالق ، ولكنه في الحقيقة صورة شائنة لفكر وثني يتخذ من الخرافة ، ومن التشبيه والتجسيم وسيلة لإضعاف فكرة الألوهية التي غرسها الإسلام في نفس المسلم على أساس التنزيه المطلق لذاته عز وجل ، وكان اليهود ـ حتى في زمن النبي ـ يثيرون أفكارا تحمل هذا الطابع ، إلى جانب ما تمارسه هذه **الإسرائيليات** من محاولة لإعادة تشكيل العقل الإسلامي الذي صاغه الإسلام صياغة محكمة ، أساسها التفكير والتأمل واتخاذ ذلك أساسا لتعميق الإيمان بوجود الخالق عز وجل" **(117)**

ونخلص من ذلك إلى أن **القصاص** قد أسهموا بدرجة كبيرة جدا في الترويج للأساطير والخرافات الإسرائيلية ، سواء تلك التي رجعوا في مصادرها إلى **التوراة والتلمود أو ما اختلقوه من خرافات** بخيالهم الخصب ، الذي راج مع الأسف في أمهات المصادر الإسلامية

وصار مع الزمن من التراث الإسلامي ، مع أنه دخيل ومتنافٍ تماما مع منهج القرآن الكريم في القصص التي اعتمدت جانب العبرة والعظة أساسا لها .

ومن خلال كل ما سبق من عرض **لماهية الإسرائيليات وأقسامها وحكم روايتها ومصادرها وطرق انتشارها** ، يمكن القول بأن **مصطلح الإسرائيليات** قد شاع وانتشر للدلالة على المرويات الخرافية والأسطورية التي راجت في مصادر التراث الإسلامي من كتب التفسير والحديث إلى التاريخ والسير مستمدة من **التوراة** التي خالطها التبديل والتحريف والتزييف وعلى أيدي اليهود أنفسهم ، وكذلك من **التلمود** الذي جاء كالشروح والتفسيرات الشفوية للتوراة ، إلى جانب **الأساطير** التي استمدها القصاص من البيئة اليهودية التي عاشوا فيها .

وإن **حكم روايتها** قد بيناه على **أقسامها الثلاثة** التي عرضنا لها ، كما أن هناك عدة وسائل وطرق اشتركت في انتشارها وتسللها إلى الفكر الإسلامي ، ومن بينها **يهود شبه الجزيرة العربية والمنافقون ومسلمة أهل الكتاب والقصاص** ، وكل هذه الوسائل مجتمعة كانت وراءها أيد يهودية تحركها وتقود سهامها نحو الهدف المقصود .

ففي **التفسير والحديث** ، كان لشخصية **كعب الأحبار** اليهودي اليماني دورها البارز في الزج بكثير من الأخبار والحوادث المتصلة

بالغيبيات ، والدس على الرسول **(ص)** حتى أن الصحابة الذين جلسوا إليه وأخذوا عنه كانوا يخلطون بين أحاديث الرسول وما سمعوه منه ، كما سنبين ذلك عند حديثنا عن دسه **للإسرائيليات في** التفسير والحديث والتاريخ .

وفي مجال **الفكر السياسي** من حبك للمؤامرات وإشاعة الفتن ، كان سعي **عبدالله بن سبأ** اليهودي اليماني أيضا ، على درجة كبيرة من الخطورة ، وهو لم يكتف بإيقاد نار الثورة على **عثمان** وتأليب الأمصار الإسلامية ضده بل راح يدعو **لعلي** ثم ألهه وأشاع كثيرا من المعتقات اليهودية التي دخلت فيما بعد إلى الفكر الإسلامي حتى غدت مع الأيام مذاهب وفرق أسهمت إلى حد كبير في خلق الانقسامات بين المسلمين .

وفي **التاريخ والسير** كان **لوهب بن منبه** اليهودي اليماني هو الآخر ، كثير من **الأخبار والقصص** التي تحكي عن بدء الخليقة وتقص أخبار الأمم الغابرة والأنبياء السابقين وما كان عليه الأولون ، حتى راجت في كتب التفسير وهي في مجملها قصص خرافية لا أصل لها في الحقيقة ، بل هي من صنع الخيال وأساطير البيئة اليهودية التي عاش فيها .

وسوف نتناول باذن الله **تعالى** دراسة كل شخصية من هذه الشخصيات ، على أساس أنها **الأصول الأولى للإسرائيليات** ، مع بيان

أدوار حياتها ومساهمتها في تسريب الأفكار والمعتقدات اليهودية إلى الفكر الإسلامي ، والاستشهاد بنماذج من تلك الأفكار ودراستها ونقدها، كما سنتعرف أيضا على المساهمين في تروجيها من الصحابة الذين أخذوا عنهم ونقلوا رواياتهم حتى غدت من التراث الديني في فكرنا الإسلامي .

(ج) كيف تسربت إلى الفكر الإسلامي

يمكن القول أن المجال لم يكن مواتيا أمام أحبار اليهود لتنفيذ مخططهم ازاء الفكر الإسلامي نتيجة وجود الرسول **(ص)** حيا بين المسلمين يعلمهم الكتاب ويوضح لهم ما غمض عليهم من آياته ، ويفسر لهم ما كان صعب عليهم فهمه ، الأمر الذي يؤكد أن **تيار الإسرائيليات** لم يأخذ مداه كما خطط له من قبل اليهود إلا بعد وفاة الرسول **(ص)** وتعاقب أصحابه من بعده على سدة الحكم ، وعندما قبض **(عليه الصلاة السلام)** وصارت الأمور **لأبي بكر** ثم **عمربن الخطاب** من بعده ، برز على مسرح الحياة الفكرية والسياسية **كعب الأحبار** الذي تظاهر بادعاء الإسلام ثم حدثت الفتنة بتسلل **ابن سبأ** إلى الإسلام أيضا وتعاظم من ثم مد **الإسرائيليات** واتسعت دائرة خطرها بشكل كبير على **عصر التابعين** الذي شهد مرحلة التطور الكبير لخطر **الإسرائيليات** حيث دخلت التفسير والحديث ثم التاريخ الذي عمد **وهب**

ابن منبه إلى ملئــه بــأحداث المــاضين وبــدء الخليقــة وأخبــار القصــاص والوعاظ التي لا صلة لها بحقائق التاريخ .

ونستنتج من **نص ابن خلدون** الذي أشرنا اليه آنفا أن طبيعــة العرب في تلك المرحلة المتمثلة في غلبة البداوة عليهم وعدم معرقتهم لأسرار الوجود وبــدء الخليقــة وتشــوقهم إلــى معرفــة تفــاصيل كــل ذلــك كانت أهم أسباب تغلغل تلك **الإســرائيليات** إلــى التفسـير والحديـث إذ إن اليهود الذين أخذوا عنهم تلك المعارف ليسوا إلا بدوا مثلهم ولم يكن لهم الاطلاع الذي يؤهلهم لتقديم المعارف الصحيحة عن تلــك الأمــور التــي كانت أنفس العرب تتشوق اليها .

ويشير **ابن خلدون** في **(مقدمته)** أيضا إلى الأصول الأولى التي كانت الأساس في تــداول **الإســرائيليات** وترويجهــا بقولــه ـ عطفــا علــى النص الذي أشرنا اليه سابقا ـ " وهؤلاء مثــل **كعب الأحبــار ووهــب بــن منبه وعبدالله بن سلام (118)** وأمثالهم فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبارا موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلــى الأحكــام فيتحــرى فــي الصحــة التــي يجــب بهــا العمــل ، وتســاهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقــولات ، وأصلهــا كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليــه من المقامات في الدين والملة فلقيت بالقبول من يومئذ"**(119)**

ومن كل الذي سبق نخلص إلى أن **تيار الإسرائيليات** لم يجد المناخ الذي يساعد على تنامي مده وتفشي خطره على عهد رسول الله **(ص)** وذلك للأسباب التي أشرنا اليها آنفا بيد أن المناخ تلاءم لها فيما بعد وعلى الأخص في **عصر التابعين** الذين نقلوا عن الصحابة وتوسعوا في الأخد من هنا وهناك بدافع التوسع في الوقوف عند معاني القرآن ومقاصد آياته البينات .

وفي هذا العصر ـ **عصر التابعين** ـ تنامى **تيار الإسرائيليات** بشكل كبير جدا وخاصة في التفسير ، وهذا راجع الى العديد من الظروف **ولعدد من الأسباب التي يمكن إيجازها وتركيزها في النقاط التالية :**

1 ـ إقامة كثير من القبائل اليهودية **كبني قينقاع وبني قريضة وبني النضير** في **المدينة** وماجاورها من مناطق **كخيبر وفدك وتيماء** إبان ظهور الإسلام وقبله ونقل اليهود للثقافات من كتبهم الدينية ومايتصل بها من شروح وما توارثوه جيلا بعد جيل من أنبيائهم وأحبارهم إلى المناطق الجديدة التي وفدوا اليها **(120)** وقد كان لهذا الإرث الثقافي تأثيره فيما دسوه على الفكرالإسلامي .

2 ـ الرحلات العربية التي كانت تنطلق في التجارة إلى **الشام واليمن** ، كانت تحدث لقاءات بين العرب وبين من كانوا يستوطنون هذه البلاد، ومن ثم فقد كانت عاملا من عوامل تسرب **الثقافة اليهودية**

إليهم ، بخاصة أن العرب ـ **بحكم بداوتهم وجاهليتهم** ـ كانوا محدودي الثقافة ، وأن اليهود الذين كانوا في تلك البلاد ونقلوا عنهم هم في غالبيتهم **بدو مثلهم** لايعرفون إلا ماتعرفه العامة من أهل الكتاب(121)

3 ـ دخول العديد من الأحبار إلى الإسلام من أمثال **عبدالله بن سلام وعبدالله بن صوريا** (122) **وكعب الأحبار** وغيرهم من الأحبار ممن كانت لهم ثقافة يهودية واسعة وعلى اطلاع كبير بكتب الله السابقة ـ حسب زعمهم ـ وكان لهم بين المسلمين مكانة مرموقة ومركز ملحوظ (123)

4 ـ تشوق الصحابة إلى **سماع التفاصيل** التي أجملها القرآن الكريم حول كثير من الأحداث التي اكتفي بالإشارة إليها للعبرة والعظة ولم ير ضرورة لتفصيلها بينما فصلتها الكتب القديمة وزاد الأحبار من خيالهم وأساطيرهم حولها كثير من الحكايات .

5 ـ إن العرب كانوا **أهل بداوة** ولم يكن لهم الاطلاع الكبيرعلى أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود وأنفسهم تتشوق إلى ما تشوق إليه النفوس البشرية من التعرف على تلك الأسباب والأسرار ومن ثم فقد كانوا يتحلقون حول الأحبار من أهل العلم الأول كما كانوا يصفونهم (124) ويسألون بكل لهفة وكانت فرصة مواتية للأحبار لأن يقذفوا بما لديهم من خرافات وأساطير وهي

تغري في كثير من الأحيان عواطف العامة أكثر مما ترضي عقول العلماء (125)

6 ـ إن العرب لم يكونوا يعرفون **العبرية لغة التوراة** وكان أحبار اليهود ـ **كما يروى عن أبي هريرة** ـ يقرأون **التوراة بالعبرية** ويفسرونها **بالعربية** لأهل الإسلام (126) لذلك لم تكن هناك وسيلة أمام المسلمين للتأكد من صدق اليهود ومن ثم راجت كثير من الأكاذيب التي كانت إما من **التوراة المحرفة** وإما من **التلمود المنشيء من خيالهم وأساطيرهم** .

7 ـ ترجمة التوراة على يدي **أحمد بن عبدالله بن سلام**(127) فإذا صح ذلك ، فإن هذه الترجمة تكون قد قدمت مادة جديدة خصبة من **الإسرائيليات** أسهمت في توسع كثير من المفسرين والمؤرخين في الاستعانة بها ، ولا يخفي على أحد مدى صعوبة **ترجمة التوراة** على شخص بمفرده (128) الأمر الذي يجعلنا لا نطمئن إلى كونها ترجمة دقيقة يمكن الرجوع إليها ، خاصة وأننا نعرف أن **التوراة** التي بأيدي اليهود في تلك الآونة لم تكن **التوراة الحقيقية** التي نزلت من عند الله **تعالى** .

8 ـ إن معلومات العرب الجاهليين عن **أسفار التوراة** معلومات مشوهة ، بل إن العربي الجاهلي ، كان ينظر إلى ما في أيدي الرهبان

والأحبار نظرة احترام تمنعه من أن يجادل فيها ، وهو ما يؤكد لنا أن حرص المسلمين على حرفية ما ينقلونه من **الأسفار القديمة** إلى اللغة العربية ليس بأقل من حرصهم على ما يرويه الأحبار وينقلونه حرفيا(**129**) بل لقد بلغ الأمر ببعضهم ومنهم **كعب الأحبار ووهب بن منبه** إلى أن ينسب إلى **التوراة** وغيرها من كتب الرسل ما ليس فيها شيء منه ولا حومت حوله (**130**)

9 - ما يروى من أن **عبدالله بن عمرو بن العاص** قد أصاب **يوم اليرموك** (131) (**15/هـ - 636/ م**) زاملتين من أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بعد ذلك بقدرما فهمه من حديث " **حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج** " (**132**) ولعل هذا كله هوالذي دفع الإمام **أحمد بن حنبل** إلى أن يقول كلمته المشهورة " **ثلاثة ليس لها أصل التفسير والملاحم والمغازي** ، " أي ليس لها إسناد لأن الغالب عليها المراسيل(**133**) وإلى أن يقول **ابن تيمية** : " **والموضوعات في كتب التفسيركثيرة** " (**134**)

وعرف **الحديث النبوي** هو الآخر الدس والوضع وذلك لعدة أسباب ربما كان أساسها رفض الرسول (**ص**) أن يدون حديثه إلى جانب القرآن خشية أن يختلط على المسلمين كلامه بالقرآن المنزل من ربه ، حيث حذر(**ص**) في بداية الدعوة من كتابة أحاديثه وتدوينها ومن

الكذب عليه في عدة مواضع من ذلك قوله : " **لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار** " (135) إلا أنه سمح فيما بعد بالتدوين والكتابة (136) ولا شك أن هذا **الحرص الشديد** من جانب الرسول (ص) قد أسهم في فتح الباب على مصراعيه لنشأة الوضع وذلك لصعوبة حصر ما قاله رسول الله (ص) أو قام به في مدة **ثلاثة وعشرين** عاما من بدء الوحي إلى الوفاة ، كما تسربت عن طريق **الفتوحات الإسلامية** بعض عمليات الوضع على رسول الله (ص) بما كان من انضمام ذوى الديانات والمعتقدات المختلفة إلى الإسلام ، وقاد **التشيع لآل البيت** إلى عملية الوضع والدس حيث أن تلك الدعوة لم تجد في القرآن الكريم أو في الحديث ما يؤيدها فلجأت إلى الكذب والخداع والدس بوضع الأحاديث التي نسبت زورا وبهتانا إلى الرسول (ص) حتى تضفي على دعواها ومبادئها صفة الشرعية فيكون لها القبول لدى العامة والبسطاء من المسلمين (137) إلى جانب أسباب وعوامل أخرى عديدة كان لها دورها في هذه العملية التي شجعت كثير من الوضاع على الوضع والدس في الحديث ، **من بينها :**

أ ـ الخصومة السياسية بين **علي وأبي بكر** ، وبين **علي ومعاوية** ، وبين **عبدالله بن الزبير وعبدالملك** ، ثم بين **الأمويين والعباسيين** كل هذه كانت سببا لوضع كثيرمن الحديث .

ب ـ الخلافات الكلامية والفقهية : فمثلا اختلف علماء الكلام في **القدر أوالجبر والاختيار** ، فأجاز قوم لأنفسهم أن يؤيدوا مذهبهم بأحاديث يضعونها ينصون فيها حتى على التفاصيل الدقيقة التي ليست من مسلك الرسول (ص) التعرض لها .

ج ـ متابعة بعض من يتسمون بسمة العلم لهوى الأمراء والخلفاء يضعون لهم مايعجبهم رغبة في عطاياهم .

د ـ تساهل بعضهم في باب الفضائل والترغيب والترهيب ونحو ذلك مما لا يترتب عليه تحليل حرام أوتحريم حلال واستباحتهم الوضع فيه.

هـ ـ عدم قبول العلم إلا فيما اتصل بالكتاب والسنة اتصالا وثيقا وما عدا ذلك ، فليس له قيمة كبيرة ، فأحكام الحلال والحرام اذا كانت مؤسسة على مجرد الاجتهاد لم يكن لها قيمة ما أسس على الحديث ولا ما يقرب منه .

ونخلص مما سبق إلى أن **كتب الحديث المتداولة الآن** قد ضمت كثيرمن تلك **الروايات الإسرائيلية** التي وضعت على الرسول (ص) ونسب بعضها إلى الصحابة ، وقد حوت ما حوت من أساطير وخرافات لا يمكن لعاقل أن يقبلها أو يصدق بشيء منها ، وهي بلا شك قد وضعت من ناحية **لخدمة أهداف محددة ومرسومة من قبل اليهود** ومن ناحية أخرى **لاستغلالها في تحقيق بعض الأهواء السياسية التي**

حملتها بعض تلك الفرق التي انشقت عن الإسلام .

والمتتبع **للتفسير والحديث** سيلاحظ بلا ريب كيف تأثرا إلى حد كبير بثقافات أهل الكتاب **الإسرائيليات** التي تقبلها العامة بشغف ظاهر ، وتناقلها بعض الخاصة في تساهل يصل أحيانا إلى حد التسليم بها على ما فيها من سخف بين وكذب صريح ، وهذا راجع بشكل كبير إلى الدورالخطير الذي لعبه الأحبار من أجل الاستحواد والسيطرة على عقول بعض الصحابة ، ومن ثم بث ما كانوا يعمدون إليه ، ولهذا نرى أن أكثر أسانيد هذه الروايات الإسرائيليات تنتهي **بكعب الأحبار ووهب بن منبه** وأضرابهما ، وقد ينتهي السند **بابن عباس** من طريق **ابن الكلبي عن أبي صالح**

وليس **كعب الأحبار ووهب بن منبه** وحدهما من انتهت إليه أمر تلك **الروايات الإسرائيلية** من اليهود أو بتعبير أدق مسلمة أهل الكتاب ولا **ابن عباس** وحده من الصحابة ولا **الكلبي** فحسب من الاخباريين ، بل اذا راجعنا الكم الكبير من المصنفات التراثية سواء من كتب التفسير والحديث أو من كتب التاريخ والسير سنجد كما كبيرا من الأسماء التي ساهمت في نقل وترويج **الإسرائيليات** في الفكر الإسلامي سواء من **مسلمة أهل الكتاب أو من الصحابة** الذين تتلمذوا عليهم أو الاخباريون الذين روجوا لها ـ **أي الإسرائيليات** ـ ولكن تظل هناك أسماء هي الأكثر انتشارا وترويجا لتلك الإسرائيليات من بين هذه الأسماء **كعب**

الأحبـار الـذي شـكل مـع عبداللـه بـن سـبأ ووهـب بـن منبـه ـ الثلاثــي الخطر- الذي كان له أثره الكبير في الفكر الإسلامي ثقافيا وسياسيا .

هوامش الإحالات :

(1) انظر أحمد سوسة ؛ العرب واليهود في التاريخ (دمشق: العربي للاعلان والنشر والطباعة والتوزيع.ط/ 6 . 'ب . ت') ص 306
(2) انظر أحمد شلبي ؛ اليهودية (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية.ط. 10/ 1992م) ص238
(3) انظر الآيات : آل عمران/93/65/50/48/3 المائدة /110/68/66/46/44/43 الأعراف/157 التوبة /111 الفتح/29 الصف/6 الجمعة /5 .
(4) انظر صابر طعيمة ؛ الأسفار المقدسة قبل الإسلام(بيروت: عالم الكتب.ط.1985/1م) ص 11
(5) انظر محمد سيد طنطاوي؛ بنو اسرائيل في القرآن والسنة(بنغازي: دار مكتبة الأندلس.ط.1973/2م)ج1 ص84
(6) وهي اثنا عشر سفرا(يوشع - القضاة - راعوث - صمونيل - الملوك - أخبار الأيام - عزرا - نحيما - أستير)
(7) وهي خمسة أسفار،(أيوب - مزامير داود - أمثال سليمان - الجامع من كلام سليمان - نشيد الانشاد)
(8) وهي سبعة عشر سفرا ، (أشعيا - أرمياء - مراثي أرمياء - حزقيال - دانيال - هوشع - يوئيل - عاموس - عوبديا - يونس - ميخا - ناحوم - حبقوق - صفنيا - حجي - زكريا - ملاخي)
(9) راجع الكتاب المقدس ، (العهد القديم)
(10) انظر محمد سيد طنطاوي ؛ مرجع سابق ج 1 ص 84
(11) انظر نفس المصدر ونفس الصفحة
(12) انظر علي عبدالواحد وافي ؛ اليهودية واليهود(القاهرة: دار نهضة مصر.ط/(ب . ت) ص11
(13) انظر رمزي نعناعة ؛ الإسرائيليات وأثرهافي كتب التفسير(دمشق، بيروت:دارالقلم ودارالضياء.ط1971/1م) ص35
(14) انظر محمد سيد طنطاوي ؛ مرجع سابق ج 1 ص 85
(15) انظر نفس المصدر والصفحة
(16) علي عبدالواحد وافي ؛ مرجع سابق . ص 14
(17) سورة المائدة الآية (44)
(18) سورة المائدة الآية (13)
(19) سورة البقرة الآية (75)
(20) محمد السعدي ؛ حول موثوقية الإنجيل والتوراة (طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية . ط.1986/1م)ص99
(21) الكتاب المقدس سفر العدد . الاصحاح الثاني عشر (3)

(22) الكتاب المقدس سفر التكوين . الإصحاح السابع (12)
(23) الكتاب المقدس سفر التكوين . الإصحاح السابع (24)
(24) انظر أحمد سوسة ؛ العرب واليهود في التاريخ . ص 337
(25) انظر صابر طعيمة ؛ الأسفار المقدسة قبل الإسلام . ص 42
(26) انظر أحمد شلبي ؛ اليهودية . ص 271
(27) انظر فوزي محمد حميد ؛ عالم الأديان بين الأسطورة والخيال (طرابلس : جمعية الدعوة الإسلامية.1991م) ص 367
(28) انظر صابر طعيمة ؛ الأسفار المقدسة قبل الإسلام . ص 42
(29) انظر بولس حنا مسعد؛همجيةالتعاليم الصهيونية(بيروت:المكتب الإسلامي.ط/بلا 'ب . ت' ص96
(30) انظر علي عبد الواحد وافي ؛ مرجع سابق . ص 20
(31) انظر ظفر الإسلام خان ؛ التلمود تاريخه وتعاليمه(بيروت:دار النفانس ط.1972/2م) ص 11
(32) ول ديورانت ؛ قصةالحضارة.ترجمة/محمد بدران . (القاهرة: جامعة الدول العربية.ط/. 'ب . ت') ج 3 م 4 ص 13
(33) انظر ظفر الإسلام خان ؛ مرجع سابق ص 16
(34) انظر المرجع السابق . نفس الصفحة
(35) انظر ظفر الإسلام خان ؛ المرجع السابق ص 14
(36) انظر فوزي محمد حميد ؛ مرجع سابق ص 364
(37) انظر المرجع السابق . ص 370
(38) انظر صابر طعيمة ؛ الأسفار المقدسة قبل الإسلام . ص 43
(39) انظر صابر طعيمة ؛ المرجع السابق . نفس الصفحة
(40) انظر فوزي محمد حميد ؛ مرجع سابق . ص 370
(41) انظر المرجع السابق . نفس الصفحة
(42) بولس حنا مسعد ؛ مرجع سابق ص 64
(43) المرجع السابق .ص 62
(44) انظر صابر طعيمة ؛ الأسفار المقدسة قبل الإسلام . ص 165 .
(45) انظر ابن منظور ؛ لسان العرب (بيروت:دار صادر.ط/ 'ب . ت')ج4 ص363
(46) انظر الآيات : الأنعام/25 الأنفال /31 النحل/24 المؤمنون/83 الفرقان/5 النمل /68 الأحقاف/17القلم/15المطففين/13 .
(47) سورة لأنعام الآية (25)
(48) الطاهر أحمد الزاوي ؛ ترتيب القاموس المحيط (طرابلس ، تونس: الدار العربية للكتاب،ط .1980/3م) ج 2 ص 560
(49) سورة الأحزاب الآية (6)

(50) ابن منظور ؛ مصدر سابق . ج 4 ص 363
(51) مجدي وهبه و كامل المهندس ؛ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (بيروت : مكتبة لبنان ط/.1979م) ص 21
(52) انظر محمد عبد المعيد خان ؛ الأساطير والخرافات عند العرب(بيروت: دار الحداثة،ط.1982/4م) ص20
(53) سامية أسعد ؛ الأسطورة في الأدب الفرنسي المعاصر ، عالم الفكر الكويتية المجلد 16 سنة1985م ، ص 109
(54) الياد ؛ جوانب من الأسطورة.نقلا عن عالم الفكر الكويتية ,المجلد 16 سنة 1985م ص110
(55) حسن الباش؛ الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي (دمشق : دار الجليل.ط1988/1م) ص 51
(56)محمد الغزالي ؛ ركائز الايمان بين العقل والقلب(بيروت:مجهول الناشر.ط/1967م) ص317
(57) انظرحسن نعمة ؛ ميثولوجياوأساطيرالشعوب القديمة (بيروت : دار الفكر اللبناني ط . بلا/1994م) ص25
(58) انظر وهب في : (معجم الأدباء 19: 259 طبقات ابن سعد 5: 359 حلية الأولياء 4: 23 تهذيب التهذيب 11: 166 مرآت الجنان 1: 248 ميزان الاعتدال 4: 352 تذكرة الحفاظ:100)
(59) انظر ابن قتيبة ؛ المعارف (القاهرة: دار المعارف.ط .6/ 1993م) ص 459
(60) انظر : تاريخ العرب في عصر الجاهلية (السيد عبد العزيز سالم ص 393) دراسات في تاريخ العرب القديم (محمد بيومي مهران ص 449) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (جواد علي ج 6 ص 10)التاريخ اليهودي العام (صابر طعيمة ج 2 ص 13) تاريخ اليهود في بلاد العرب (اسرائيل ولفنسون ص 9) المستوطنات اليهودية (أحمد علي المجدوب ص 38) الماسونية (سعيد الجزائري ص 113)
(61) انظر محمد سيد طنطاوي ؛ مرجع سابق . ج 1 ص 74
(62) جواد علي ؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت ، بغداد : دار العلم للملايين و مكتبة النهضة . ط .2/ 1978م) ج6 ص530
(63) انظر : على سبيل المثال الآيات سورة البقرة / 40/ 41/ 47/ 211/ 246 آل عمران / 49 النساء/160 المائدة/78/70/51/ الاسراء / 2 السجدة / 23 غافر / 53 الجاثية / 16 الصف /. 61
(64) انظر محمد سيد طنطاوي ؛ مرجع سابق . ج 1 .ص 75
(65) بالتحريك وآخره كاف قال ابن دريد فدكت القطن تدديكا اذا نفشته وفدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة أيام (انظر: معجم البلدان .

لياقوت الحموى بيروت دار صادرودار بيروت ط./1979م ج 4 ص 238)

(66) ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام وهي تشتمل على سبعة حصون ولفظ خيبر بلسان اليهود حصن (انظر : معجم البلدان . لياقوت الحموي بيروت دار صادرودار بيروت ط ./ 1979م ج 2 ص 409)

(67) واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى والنسبة اليه وادي ، وفتحها النبي (صلى الله عليه وسلم سنة سبع عنوة ثم صولحوا على الجزية (انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان . دارصادر ج 5 ص 345)

(68) بالفتح والمد : بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق والتيماء هي الأرض التي لا ماء فيها (انظر: معجم البلدان . لياقوت الحموى بيروت دار صادرودار بيروت ط ./1979م ج 2 ص67)

(69) اليمن (بالتحريك) سميت اليمن لتيامنهم اليها ، قال ابن عباس : تفرقت العرب فمن تيامن منهم سميت اليمن ويقال ان الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمت بنو يمن إلى اليمن وهي أيمن الأرض فسميت بذلك وقيل سميت بذلك لأنها تقع على يمين الكعبة (انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان . دار صادر.ج 5 ص 447)

(70) أحمد علي المجدوب؛المستوطنات اليهودية (القاهرة: الدارالمصريةاللبنانية.ط 1992/4م) ص50

(71) انظر جواد علي ؛ مصدر سابق .ج 6 ص 519

(72) انظر محمدعلي قطب؛ معارك النبي مع اليهود (القاهرة:مكتبة مدبولي ط.1985/1م) ص 24

(73) انظر صابر طعيمة ؛ التاريخ اليهودي العام(بيروت:دار الجيل ط.3/ 1991م) ج2 ص 15

(74) انظر محمد سيد طنطاوي ؛ مرجع سابق . ج 1 ص 77

(75) انظر مصطفي حسين ؛ الإسرائيليات في التراث الإسلامي ـ دراسة ـ ضمن أعمال ندوة السيرة النبوية (طرابلس : جمعية الدعوة الإسلامية . ط 1986/1م) ص 87

(76) ابن هشام ؛ السيرة النبوية ، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري (لبنان :دار الكتاب العربي.ط.1993/4م) ج 2 ص 213

(77) انظر مصطفي حسين ؛ مرجع سابق . ص 90

(78) انظر عبد الفتاح لاشين ؛ لغة المنافقين في القران (بيروت:دارالراندالعربي ط.1985/1م)ج1ص 12

(79) ابن منظور ؛ المصدر السابق . ج 10 ص359

(80) انظر على سبيل المثال الآيات: النساء /61/ 88/ 138/ 140/ 145/143 الأنفال/49 التوبة/ 68/76 العنكبوت/11 الأحزاب/73/60/48/24/12/1

الفتح/6 المنافقون/8/7/1 التحريم/9 الحديد/13

(81) انظر عبدالفتاح لاشين ؛ مرجع سابق . ص 12

(82) انظر محمد العيد الخطراوي ؛ المدينة في صدر الإسلام (المدينة المنورة ، دمشق/ بيروت : دارالتراث و مؤسسة علوم القرآن.ط.1/ 1984م) ص 25

(83) (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله) سورة التوبة الآية(107)

(84) من أشهر المنافقين في المدينة إلى جانب عبد الله بن سلول (وديعة بن ثابت ومخشي بن حمير والجلاس بن سويد بن الصامت وخدام بن خالد وثعلبة بن حاطب) وقد أشار إليهم ابن كثير في تفسيره.ج2 ص 371و372و388

(85) ابن خلدون؛المقدمة(بيروت : دار الكتاب اللبنــابي ومكتبة المدرسة. ط./بلا 1982م) ص 786

(86) انظر المصدر السابق . ص787

(87) انظر المصدر السابق . ص787

(88) انظر مصطفي حسين ؛ مرجع سابق . ص 96

(89) انظر المرجع السابق . ص 97

(90) عبدالله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي ، (أبويوسف) قيل إنه من نسل يوسف ابن يعقوب ، أسلم عند قدوم النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة وكان اسمه (الحصين) فسماه النبي (صلى الله عليه وسلم) عبدالله ، وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية ، وأقام بالمدينة إلى أن مات سنة (43هـ/ 663م) (انظر :خلاصة تذهيب الكمال 200 الاصابة.ت. 4725 الاستعاب 2: 382 الأعلام 4/ 90)

(91) تميم بن أوس بن خارجة الداري (أبورقية) صحابي نسبته إلى الدار بن هانيء من لخم أسلم سنة 9هـ وسكن المدينة وانتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان ، وتوفي عام (40هـ/ 660م) (انظر: تهذيب التهذيب 3: 344 صفة الصفوة1: 310 الأعلام87/2)

(92) انظر مصطفي حسين ؛ مرجع سابق . ص 96

(93) انظر المرجع السابق . ص 98

(94) انظر محمود الطحان ؛ تيسيرمصطلح الحديث (الرياض: دار مكتبةالمعارف ط.8/ 1987م) ص 199

(95) أبوبكر بن العربي ؛ العواصم من القواصم.تحقيق/ محب الدين الخطيب(بيروت: مكتبة أسامة بن زيد.ط/1979م) ص 34

(96) محمود أبورية ؛ أضواء على السنة المحمدية (القاهرة : دار المعارف . ط 1980/5.م) ص 327

(97) محمود أبورية ؛ المرجع السابق . ص 46

(98) ابن حجر العسقلاني؛ فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب ، قصي محب الدين الخطيب (القاهرة : دار الريان للتراث. ط .1/ 1987م) ج 12 ص 355
(99) المصدر السابق . ج . 13 ص 29
(100) المصدر السابق . ج .8 ص 135
(101) عبدالرحمن بن صخر الدوسي أسلم سنة 7 هـ ولزم الرسول صلى الله عليه وسلم وولي امرة المدينة وفي عهد عمر بن الخطاب تولى البحرين وتوفي بالمدينة سنة 59 هـ (انظر: تهذيب الأسماء واللغات2/ 270 الاصابة ت 1179 الجواهر المضية 2/ 418 صفة الصفوة 1/ 285 حلية الأولياء 1/ 376 ذيل المذيل 111)
(102) عبدالله بن عمرو بن العاص كان يكتب في الجاهلية ويحسن السريانية وأسلم قبل أبيه وحمل راية أبيه يوم اليرموك وشهد صفين مع معاوية وولاه معاوية الكوفة وتوفي عام 65/ هـ (انظر: الأعلام للزركلي 4/ 111 الاصابة ت 4838 حلية الأولياء 1/ 283 الجمع بين رجال الصحيحين 239 صفة الصفوة 1/ 270 البدء والتاريخ 5/ 107 المحبر 293)
(103) انظر ابن منظور ؛ مصدر سابق. ج 7 ص 74
(104) انظر ابن الجوزي ؛ القصاص والمذكرين. تحقيق/قاسم السامرائي(الرياض:دار أمية.ط.1/ 1983م)ص 66
(105) محمدحسين الذهبي؛الإسرائيليات في التفسير والحديث (دمشق:دارالايمان ط 1985/2م) ص 35
(106) انظر ابن قتيبه ؛ تأويل مختلف الحديث (بيروت : دار الكتاب العربي . ط (ب . ت)) ص 188
(107) التهامي نقرة ؛ سيكولوجية القصة في القرآن (تونس :الشركة التونسية للتوزيع ط.1987/2م) ص 275
(108) التهامي نقرة ؛ مرجع سابق . ص 278
(109) أبوطاهر إسماعيل النفوسي؛ قناطر الخيرات . تحقيق/ عمرو خليفة النامي (القاهرة:مكتبة وهبه.ط.1/ 1965م) ج .1 ص 233
(110) انظر حسين نصار؛ نشأة التدوين التاريخي عند العرب. (بيروت : داراقرأ .1980م) ص 90
(111) ابن الأثير ؛ أسد الغابة (القاهرة: دار الشعب .ط . / 1970م) ج .1 ص 256
(112) انظر أحمد أمين ؛ فجر الإسلام (بيروت : دار الكتاب العربي ط . 11/ 1979م) ص 160
(113) ابن الجوزي ؛ مصدر سابق . ص 159
(114) انظر مصطفي حسين ؛ مرجع سابق . ص 104

(115) مسلم؛ صحيح مسلم بشرح النووي(بيروت:دار الريان للتراث.ط/1987م)ج18 ص84

(116) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو اسحاق من نيسابور اشتغل بالتفسير والتاريخ وأكثر من رواية الإسرائيليات في كتبه توفي سنة (427 هـ/ 1035م) (انظر : الأعلام 1/ 320 وفيات الأعيان 1/ 21 الجواهر المضية 1/ 93 النجوم الزاهرة 5/ 24)

(117) انظر مصطفى حسين ؛ مرجع سابق . ص 103

(118) يكنى أبا يوسف وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليه السلام ، كان حليفا للأنصار وكان اسمه في الجاهلية (الحصين) فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم (عبدالله) ، وتوفي في المدينة في خلافة معاوية سنة 43هـ (انظر: ابن عبدالبر ، الاستعاب في معرفة الأصحاب . مطبعة نهضة مصر ط (ب. ت)ج3 ص921

(119) ابن خلدون ؛ مصدر سابق . ص 787

(120) هناك اختلاف بين المورخين في العصر الذي جاء فيه اليهود إلى بلاد العرب فمنهم من يرى أن ذلك حدث على أيام موسى في القرن (13 ق م) وهناك من يرى أن ذلك تم على أيام داود (1000 - 960 ق م) وهناك من يرى أن ذلك تم عقب استلاء سرجون الثاني على السامرة عام (722 ق م) وهناك من يرى أنه تم بعد استلاء نبوخذ نصر على أورشليم عام (586 ق م) وآخر تلك الآراء يقول بعد القضاء النهائي على اليهود في فلسطين أيام تيتوس عام (70م)

(121) ابن خلدون ؛ مصدر سابق . ص 787

(122) يقال له أيضا ابن صوري وهو عبدالله بن صوري الأعور الفطيوني ، ويرى بعض المؤرخين أنه أسلم ثم ارتد إلى يهوديته (انظر: ابن هشام ، سيرة النبي . دار الفكر ط/ ب ت تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ج 2 ص 176 و محمد حسين الذهبي ، الإسرائيليات في التفسير والحديث. دار الايمان .ط 1985/2م ص24)

(123) محمد السيد الذهبي ؛ الإسرائيليات في التفسير والحديث . ص24

(124) انظر ياقوت الحموي ؛معجم الأدباء (بيروت:دار احياء التراث العربي. ط 1988/1م)ج 18ص 8

(125) انظر محمد السيد الذهبي ؛ الإسرائيليات في التفسير والحديث. ص 107

(126) انظر ابن حجر العسقلاني ؛ فتح الباري بشرح صحيح البخاري . ج2 ص285

(127) يقول : ترجمت الصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء من لغة العبرانية واليونانية والصابية ، وهي لغة أهل كل كتاب إلى لغة العربية حرفا حرفا ولم أبتغ في ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه مخافة التحريف ولم أزد على ماوجدته

في الكتاب الذي نقلته ولم أنقص الا أن يكون في بعض ذلك من الكلام ما هو متقدم بلغة أهل ذلك الكتاب فلا يستقيم لفظه في النقل إلى العربية الا أن يؤخر ، ومنه ما هو مؤخر لا يستقيم الا أن يقدم ليستقيم ذلك بالعربية (انظر: الفهرست . النديم ص 33)

(128) انظر محمد بيومي مهران ؛ دراسات تاريخية من القرآن الكريم (بيروت : دار النهضة العربية.ط 1988/2م) ص 108

(129) انظر محمد بيومي مهران ؛ مرجع سابق . ج 1 ص 109

(130) انظر رشيد رضا ؛ تفسير المنار(بيروت:دارالمعرفة.ط/2 (ب. ت))ج1 ص9

(131) انظر عن معركة اليرموك: ابن الأثير 410/2 - 415 تاريخ الطبرى3/ 394 - 414 فتوح البلدان ص 137 فتوح الشام 2/ 120 - 124، 237 - 239)

(132) ابن حجر العسقلاني؛ فتح البارى بشرح صحيح البخاري.ج6 ص319 و320

(133) ابن تيمية ؛ مصدر سابق . ص 59

(134) المصدر السابق . ص 77

(135) مسلم ؛ صحيح مسلم بشرح النووي . ج 8 ص 229

(136) اشارة إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم (قيدوا العلم بالكتاب) (انظر جامع بيان العلم لابن عبدالبر 1/ 72 تقييد العلم 69)

(137) انظر أبوالعلا على أبوالعلا ؛ منهج المحدثين في الدفاع عن الحديث وبيان الدخيل (دراسة بمجلة كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية , جامعة قاريونس العدد 2/ 74- 75م ص 611

الباب الثاني

كعب الأحبار

لاشك أن **مسلمة أهل الكتاب** الذين أسلموا أو تظاهروا بالإسلام وكذلك **يهود شبه الجزيرة العربية** الذين حلوا بها على فترات مختلفة كانوا ـ كما أشرنا في الباب الأول ـ احدى الطرق المساعدة على انتشار **الإسرائيليات** ورواجها في الفكر الإسلامي ، وذلك من ناحيتين **الأولى** طرح يهود شبه الجزيرة لكثير من الآراء والأفكار التي يرجعون نسبتها إلى الكتب القديمة وبخاصة **التوراة** التي تعرضت للتحريف والتبديل على أيديهم **والثانية** تتلمذ كبار الصحابة على أيديهم وأخذها عنهم بدافع التزود من المعارف القديمة التي لم يكن لهم علم بها .

وكعب الأحبار أحد تلك الشخصيات التي ظهرت في هذا المجال فقد كان له دور بارز في ترويج **الإسرائيليات** وانتشارها في التفسير والحديث والتاريخ ، وقام بأدوار سياسية في عهد الخلافة الإسلامية أثناء عهد **عمر بن الخطاب** ثم **عثمان** من بعده حيث انحاز

لعثمان وحاول إثارة الفتن بين البيت الهاشمي والبيت الأموى وسعى إلى الترويج **لمعاوية** والدعاية له ثم الالتفاف من حوله فيما بعد .

وعلى الرغم من **تفطن كثير من الصحابة** ـ كما سنشير فيما بعد ـ إلى **كذب كعب** وافترائه وتحذيرهم من الأخذ عنه والرجوع إليه أوتصديقه فيما يحدث ، فإن بعضهم الآخر انبرى إلى تعديله والأخذ عنه (1) **ولو كلف هؤلاء الصحابة أنفسهم عناء التنقيب والبحث في رواياته أو الكشف عن أصولها ومنابعها لوجدوا أنها روايات إسرائيلية خالصة ترجع في أصلها ومصدرها إلى التوراة المحرفة وإلى التلمود المختلق والأساطير المبتدعة التي أريد بها التوغل في عمق الفكر الإسلامي والاستحواذ عليه والحد من مده المتدفق .**

الفصل الأول

مولده . إسلامه . ثقافته

(أ) مولده :

هو (**أبواسحاق**) كعب بن ماتع (2) بن عمرو بن قيس من آل (**ذي رعين**) (3) وقيل (**ذي الكلاع**) الحميري (4) وقيل هو ابن ماتع بن هينوع (**هيسوع**) (5) وقد عرف بين المسلمين **بكعب الأحبار** و(**بكعب الحبر**) (6) من باب التعظيم والتقدير لعلمه ، وقد أتاه اللقب من علمه بالشريعة وبكتب الأنبياء وبأخبار الماضين (7)

وهو **يهودي من يهود اليمن** وكان فيما يذكر **ابن سعد** على دين يهود فأسلم (8) وذكر أن والده كان **حبرا من أحبار اليهود** ، ولكنه سبق **كعبا** بإعلان إسلامه في عهد رسول الله **(ص)** وكان من أجلاء الصحابة (9) غيرأن **كعبا** أورد في قصة إسلامه ما يفند إسلام والده وذلك ردا على **العباس بن عبدالمطلب** حين سأله عن سبب عدم إسلامه على عهد رسول الله **(ص)** (10)

أما عن **مولد كعب** فإننا لم نعثر على مصدر أشار إليه ، غيرأننا نجد أن وفاته كانت سنة (**32هـ/652م**)أوسنة(**34هـ/654/م**)

وأنه عاش **مائة وأربع سنين** (11) أو **مائة وأربعين سنة** (12) ومن ذلك نستنتج أن مولده ربما يكون بين عامي (**72ق هـ/ 584م**) أو (**70ق هـ/ 550 م**) في حالة كونه عاش **مائة وأربع سنين** وبين عامي (**108ق هـ/ 512م**) أو (**106ق هـ/ 514م**) في حالة كونه عاش **مائة وأربعين سنة** ، إلا أن الثابت أنه قدم المدينة ثم خرج إلى **الشام** فسكن **حمص** حتى توفي بها (13)

وعن حياته قبل الإسلام وخاصة في **اليمن** موطن ولادته ، فإن المصادر التاريخية لم تسعفنا بشيء من ذلك ، أما بعد قدومه إلى **المدينة** وإعلان إسلامه ، فهناك عدد من المصادر التي أشارت إليه وعرضت لكثير من أدواره في الجانبين **الثقافي والسياسي** وهو ما سنتناوله في هذا الفصل .

(ب) إسلامه :

تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن **كعبا** أسلم على عهد **أبي بكر الصديق** (14) غير أنه قدم **المدينة** على عهد **عمر بن الخطاب**(15) وفي **(دائرة معارف القرن العشرين)** نجد أن **كعبا** كان أحد كبارأحبار اليهود في عصر النبي **(ص)** ثم أخذ يترددعليه فمال إلى الإسلام ولكنه أرجأ إسلامه رسميا حتى يتحقق من سائر العلامات التي

كان يجدها في كتب قومه ، ولما انتهى أمر الخلافة إلى **عثمان** أي أن تلك البشارات قد تحققت أعلن إسلامه **(16)**

وتزعم بعض المصادر أنه التقى **عليا** حين أرسله الرسول **(ص)** إلى **اليمن** فسأله عن صفة النبي ، فلما أنبأه **علي** بذلك ، قال إنه يجد صفة النبي في **التوراة** لكنه بقى على يهوديته في **اليمن (17)** بيد أن الراجح أنه أسلم على عهد عمر بن الخطاب **(رضى الله عنه) (18)** وأيا كان زمن إسلامه ، فإن نشاطه وبروزه على الساحة **ثقافيا وسياسيا** لم يكن إلا في عهد **عمربن الخطاب** حيث إننا لم نجد له أي نشاط أو أي أثر قبل ذلك ، وأنه عمر **(مائة وأربع سنين)** أو **(مائة وأربعين سنة)** على اختلاف الروايات ومات بين عامي **(32هـ/652م)** أو **(34هـ/654 م)** ـ كما هو معلوم ـ **بحمص (19)**

ومن خلال هذا السياق يتضح أن **إسلامه كان متأخرا جدا** ، وهو ما يجعلنا نشك في أن ثمة أسرارا يحملها تأخر إسلامه ، مع أنه فسر تأخره عن الدخول في الإسلام بما ادعاه إثر جوابه عن سؤال **العباس بن عبدالمطلب** عن سبب تأخره في الدخول إلى الإسلام من أن أباه كتب له **كتابا من التوراة** ودفعه إليه وقال اعمل بهذا **وختم على سائر كتبه** وأخذ عليه بحق الوالد على ولده ألا يفض الخاتم إلى أن رأى الإسلام يظهرفحدثته نفسه بأن يقرأ ما ختم عليه أباه فوجد **صفة محمد** وأمته في ذلك الكتاب فأسلم **(20)**

ويروى حول إسلامه أن رجلا من **أهل اليمن** جاءه فقال له : "إن فلانا الحبر اليهودي أرسلني إليك برسالة ، **فقال كعب** : هاتها ، **فقال له الرجل** : إنه يقول لك : ألم تكن سيدا شريفا مطاعا ! فما الذي أخرجك من دينك إلى أمة محمد ؟ **فقال له كعب** : أتراك راجعا إليه ؟ **قال** : نعم ، **قال** : فإن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه ، لئلا يفر منك ، **وقل له** : يقول لك : أسألك بالذي فلق البحر **لموسى** ، وأسألك بالذي ألقى الألواح إلى **موسى بن عمران** فيها علم كل شيء ! ألست تجد في كلمات الله **تعالى** : أن أمة **محمد** ثلاثة أثلاث ، فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة ، وثلث يدخلون الجنة بشفاعة أحمد ، فإنه سيقول لك : نعم ، فقل له : يقول لك **كعب** : اجعلني في أي الأثلاث شئت " **(21)**

وإذا سلمنا بصحة ماروى عن **إسلام والد كعب** قبله ، وهو الأمر الذي تفنده **إجابة كعب نفسه** عن سؤال **العباس** ، أن والده كان حبرا يهوديا وقد ختم الكتاب الذي يزعم **كعب** أنه وجد فيه صفة النبي وأمته ، **فلماذا يا ترى يحول هذا الوالد دون إسلام ولده كعب ؟ ويأخذ عليه بحق الوالد على ولده ألا يفض خاتم الكتاب الذي فيه صفة النبي ، ألا يدعو هذا إلى الريبة والشك في إسلامه وإسلام والده من قبله ؟**

ومما سبق نستنتج أن **إسلام كعب الأحبار** لم يكن إسلاما حقيقيا

وإنما **ادعاء وتظاهر بالإسلام** كي يكون مطية لتنفيذ ذلك المخطط التآمرى على الإسلام ، حيث كسب بإسلامه الظاهر ود كثير من المسلمين ، وثقة بعض أولى الأمر لديهم ، وهو ما شجعه على النفاذ لتحقيق غايته بسرعة مذهلة كما سنعرف فيما بعد .

(ج) ثقافته :

تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن **كعبا** كان من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب (22) وإذا كانت هذه المصادر قد أكدت سعة اطلاعه وعلمه الغزير فإننا لا نستطيع أن نحكم على مقدار بعده أو قربه من العلم الذي كان منتشرا بين أحبار ذلك العهد ما لم نقف على الأقوال الصحيحة التي صدرت عن ذلك الحبر اما هذا المروي عن **كعب** والمذكور في كتب من كان يعنى بجمع القصص ولا سيما قصص الرسل والأنبياء فليس في استطاعتنا التصديق بأن كله صادر من **كعب** نفسه إذ يجوز أن يكون من رواية أناس آخرين ثم حمل على **كعب** (23) ولكن بحكم تواترها عن **كعب** فإننا لا نملك إلا أن نحمله اياها ونعالجها على أساس كونها صادرة عنه ، وسواء أقالها أم لم يقلها فإننا أمام نصوص ينبغي أن نتناول بالدراسة والنقد على أساس أنها نصوص دخلت إلى مصادر تراثنا الإسلامي ، وصارت بحكم التواتر جزءا منه .

وإن كنا بالطبع **لا نبرئ كعبا** مما نسب إليه من أقوال وآراء ، فإننا ملزمون علميا بالتثبت من إسناد هذه الروايات إليه والوقوف عندها والنظر إلى مصادرها ومدى صحتها بالأساس فالمصادر تشير إلى أن كعبا **قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان**(24) وهذا يعني أنه قرأ هذه الكتب جميعها واستخرج من مجموعها علومه ومعارفه ، وهي إذا ما استثنينا القرآن لم تكن نفسها الكتب المنزلة ، فقد خالطها التحريف والتبديل والتزوير ، كما هو معلوم ، واعتماد **كعب** عليها دليل على عدم صحة مروياته ، وإذا كان في القرآن الكريم شيء مما يرويه فقد كان أولى بروايته الصحابة الذين كانوا يعرفون جيدا معاني القرآن ويفقهون ما فيه من قصص وأخبار ، كما أنهم لم يكونوا في حاجة إلى **كعب** كي يحدثهم بما في القرآن من معارف ، وقد ورد أن كعبا كان يجلس مجالسه في المسجد إلى الناس ويستعين بالتوراة أحيانا يقرأ منها عليهم ويفسر لهم (25)

ويذكر **الهمداني** أن **كعبا** كان قد كتب كتبا وأن أهل **صعدة**(26) كانوا قد توارثوا كتبه ورووا منها (27) بينما نجد من ينفي أن يكون أحد قد نسب **لكعب** مؤلفا وأن كل ما نسب إليه هو مما ورد عنه بالمشافهة والسماع ، وهو **بين صحيح** يمكن أن يكون قد صدر منه ، وبين **مشكوك في أمره** وضع عليه وفيه ما هو **إسرائيلي صحيح** ، أي أنه مما هو وارد في **التوراة** أو **في التلمود** أو **في الكتب الإسرائيلية**

الأخرى ، وفيه ما هو **قصص إسرائيلي ونصراني** وما هو محض افتعال وخلط (28)

ومن سياق هذا الرأي يتضح لنا أن **مرويات كعب** يكتنفها شيء من الخلط بين **صحيح لانعرف أين هو في رواياته** ، وبين **أمور اختلقها هو نفسه لا نعلمها** ، غير أن هناك من نسب إليه كتابا في **سيرة الإسكندر** ، وأن نسخة نفيسة من هذا الكتاب موجودة في **(استانبول)** ، وأخرى مصورة في **معهد المخطوطات بالقاهرة** ، وثالثة في **جامعة القاهرة (29)**

ولو رجعنا إلى كتب التراث الإسلامي في **التفسير والتاريخ**، لوجدنا أن ثمة كتابا ثقات قد ابتعدوا عن ذكر **مرويات كعب** وعدوها من الدسائس الاسرائيلية في الإسلام ، ومن هؤلاء **ابن قتيبة الدينوري** الذي لم يرو عنه أبدا (30) وفي المقابل فإن **مفسرين آخرين** صنفوا كتبهم معتمدين على **روايات كعب** إلى حد كبير **كابن جرير الطبري وابن كثير** ، كما لم تخل كتب المحدثين ممن تصدى للتفسير وكتابة التاريخ من **مرويات كعب** التي نقلوها عن المصادر الأولى المعنية **بروايات كعب** وأوردتها على علاتها دون نقد أوتمحيص ، بل وإنهم لم ينتبهوا إلى كونها **روايات إسرائيلية** أوردها **كعب** من **الكتب القديمة**، واختلق بعضها **من خياله** ليضرب المسلمين في عقيدتهم وتراثهم .

وإذا كان بعض القدامى من **علماء الجرح والتعديل** قد وثقوا

في **كعب ورواياته** بما بدا لهم من اهتمامه بالإسلام وملازمته لبعض كبار الصحابة من أمثال **ابن عباس وأبي هريرة** ، فإن هناك من الكتاب المعاصرين من تنبه إلى انخداع القدامى به ودقق في مروياته وافتراءاته وقدم الدلائل على ذلك .

ويبرز من بين هؤلاء المعاصرين **محمد رشيد رضا** الذي جزم بكذب **(كعب)** وعدم الثقة في إيمانه (31) ثم قال : " لننظر كيف تسلل انخداع الناس بروايات كعب الكذاب وجعلوا ذنبها على كتب اليهود وليس عليه ، وأكثرها لا ذكر لها في كتبهم وإنما هو الذي افتراها تشويها للإسلام " (32)

وقد استشهد **رشيد رضا** على هذا القول بما جاء في **صحيح البخاري** من رأي **معاوية** في **كعب** الذي قال : " **إنه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب** " (33) والظاهر هنا إن **معاوية** لم يقل مقالته هذه في **كعب الأحبار** إلا بعد أن اختبره في مروياته وآرائه ، فوجد بعضها لا يوافق الحق والصدق ، وأنه كان يذكر آراء وأقوالا ليست صحيحة وتحتاج إلى المراجعة والتثبت ، وليس أدل على هذا مما روى من أن **معاوية** قال **لكعب** أنت تقول : إن **(ذا القرنين)** كان يربط خيله بالثريا ؟! فقال له **كعب** : إن كنت قلت ذلك فإن الله قال : " **وآتيناه من كل شيء سببا**"(34) وهذا يدل على أنه كان يذكر آراء من عند نفسه وباجتهاده

في بعض الآيات وهي غير صحيحة ، والا فلو كان موجودا في **التوراة** أو في غيرها لكان الأقرب في الرد أن يقول : **وجدت ذلك في كتب الأولين** (35) ومن ثم وبهذا الاستشهاد يتضح الطعن الصريح في عدالته وفي عدالة جمهور **رواة الإسرائيليات** إذ أثبت كذب من يعد من أصدقهم .

وقد انبرى لتفنيد هذا الطعن في **كعب** عدد من الكتاب المحدثين الذين حاولوا الدفاع عن **كعب** ورواياته مؤكدين عدالته وصدق رواياته(36)

وبمعزل عن كل تلك الآراء التي ناقشها مفندو الطعن في **كعب** يمكن القول بأننا **لو سلمنا بصحة مروياته لفتحنا الباب على مصراعيه لغزو ثقافي إسرائيلي في غاية الخطورة** ذلك أن كل روايات **كعب** كانت مما يتصل بأمور أغفلها القرآن ولم يشأ ذكرها وهي أمور لم تكن من الضرورة معرفتها اذ لو كانت ثمة ضرورة لاهتم القرآن بذكرها وعدم إغفالها .

أما ما تواتر من رواياته حول أوصاف الرسول **(عليه السلام)** فإننا نرى فيها بعضا من **الخدع** التي حاول أن يوهم المسلمين بها مثلما أوهمهم بأن إيمانه جاء باقتناع منه ومصداقا لما روى من صفات الرسول **(ص)** في **التوراة** .

وقد تعلل **مفندو الطعن** في قول **كعب** حول هذه الأوصاف بما

ورد في القرآن الكريم من قوله **تعالى** : " **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل** " (37) والحق أننا لا ننكر ورود تلك الأوصاف في **التوراة** وإنما **التوراة** التي **نزلت من عند الله تعالى** وليست **التوراة المحرفة** .

هوامش الإحالات :

(1) كان ابن عباس وأبوهريرة وغيرهما من الصحابة يأخذون عنه ، وترجم له النووى في تهذيبه وقال :- اتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه وذكر أبوالدرداء كعبا فقال : إن عند ابن الحميرية لعلما كثيرا ، وأخرج له مسلم وأبوداود والترمذي والنسائي (انظر: محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ص 189ومحمد محمد أبوزهرة ، الحديث والمحدثون ص 180)

(2) بكسر التاء المثناه بعدها عين مهملة

(3) آل ذى رعين حي عظيم وإقليم واسع يشتمل على مخاليف ولا يسكن ذى رعين إلا آل ذى رعين ويقع جنوب مدينة يريم وشرقيها وينتهى بمخلاف حجر وبدر (انظر: الهمذاني ؛ الاكليل . ج2 ص 304)

(4) انظر ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر.ط 'ب . ت')ج 7 ص445

(5) جواد علي ؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت ، بغداد : دار العلم للملايين و مكتبة النهضة . ط .2/ 1978م) ج . 6 ص 564

(6) الحبر(بكسر الحاء وتفتح) المداد الذي يكتب به ويجمع على أحبار ولقب به العالم لكثرة كتابته وملازمته له، والحبر العالم ذميا كان أو مسلما بعد أن يكون من أهل الكتاب وقد عرف علماء اليهود ورجال دينهم الحبر بأنه جمع الأحبار ويذكرون أن من معانيها العالم والرجل الصالح وهي من الألفاظ المعربة عن العبرانية (انظر : ابن منظور ، لسان العرب . ج 4 ص 157 و جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 6 ص 551)

(7) انظر جواد علي ؛ مرجع سابق. ج 6 ص 565

(8) انظر ابن سعد ؛ مصدر سابق .ج 7 ص 445

(9) انظر محمد فريد وجدي ؛ دائرة معارف القرن العشرين(بيروت:دار الفكر ط/بلا "ب.ت") ج 8 ص160

(10) ابن سعد ؛ مصدر سابق .ج7 ص 445

(11) المصدر السابق . ج 7 ص 445

(12) شاكر مصطفي؛ التاريخ العربي والمؤرخون(بيروت:دار العلم للملايين ط1980/2م)ج2ص 310

(13) ابن سعد ؛ مصدر سابق . ج 7 ص 445

(14) الذهبي ؛ تذكرة الحفاظ (بيروت : دار إحياء التراث العربي . صححه / عبدالرحمن بن عيسى ط/ بلا "ب . ت") ج 1 ص 52

(15) الذهبي ؛ تذكرة الحفاظ . ج 1 ص 52

(16) انظر محمد فريد وجدي ؛ مرجع سابق . ج 8 ص 160

(17) انظر طه حسين ؛ الشيخان (القاهرة: دار المعارف. ط/ 8 'ب . ت') ص 233

(18) انظر ابن سعد ؛ مصدر سابق . ج 7 ص 445

(19) انظر المصدر السابق . ج 7 ص 445

(20) انظر ابن سعد ؛ مصدر سابق . ج 7 ص 445

(21) انظر الدميري ؛ حياة الحيوان (دمشق : دار طلاس ط.1/ 1989م)ج1ص 266

(22) انظر الذهبي ؛ تذكرة الحفاظ . ج 1 ص 52

(23) انظر جواد على ؛ مرجع سابق . ج 6 ص 565

(24) انظر الهمذاني ؛ الإكليل (بيروت: منشورات المدينة.ط .3/ 1986م) تحقيق/ محمد بن على الأكوع ج1 ص 55

(25) انظر ابن سعد ؛ مصدر سابق . ج 7 ص 97

(26) مخلافا ـ أي منطقة ـ باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخا وبينه وبين خيوان ستة عشر فرسخا وهي مدينة عامرة آهلة يقصدها التجار من كل بلد وبها مدابغ الأدم وجلود البقر (ياقوت الحموي ؛ معجم البلدان . دار صادر . بيروت ج 3 ص 406)

(27) انظر الهمذاني ؛ مصدر سابق . ج 1 ص 55

(28) انظر جواد على ؛ مرجع سابق . ج 6 ص 565

(29) انظر شاكر مصطفي ؛ مرجع سابق . ج 2 ص 310 .

(30) أحمد أمين ؛ فجر الإسلام (بيروت : دار الكتاب العربي ط 1979/11م) ص161

(31) مجلة المنار السنة (27) العدد 697

(32) المصدر السابق (27) العدد 701

(33) ابن حجر العسقلاني؛ فتح البارى بشرح صحيح البخاري. تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي، محب الدين الخطيب ، قصي محب الدين الخطيب (القاهرة : دار الريان للتراث . ط .1/ 1987م) ج 13 ص 259

(34) سورة الكهف الآية (84)

(35) انظر محمد أبوشهبة ؛ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (القاهرة : مكتبة السنة . ط . 4/ 1408هـ) ص 103

(36) من الذين جزموا بصدق كعب ودافعوا عنه محمد أبو زهرة في كتابه (الحديث والمحدثون) ومحمد السيد الذهبي في كتابيه (الإسرائيليات في التفسير والحديث) و (التفسير والمفسرون) ومحمد أبوشهبة في كتابه (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير)

(37) سورة الأعراف الآية (157)

الفصل الثاني

نشاطه الثقافي والسياسي

قبل الشروع في تناول الأدوار التي قام بها **كعب الأحبار** والتي كان لها آثارها في مضمار التفسير القرآني والحديث النبوي وفي مجال العمل السياسي نرى من دواعي البحث وضروراته أن نشير إلى نظرة الصحابة إليه وموقفهم من رواياته التي راجت في كتب التفسير والحديث .

فالصحابة إجمالا **كانوا يثقون به أول الأمر ويأخذون عنه دون حدود عليها** لكونه من الأحبار الذين يجمعون بين معرفة الأخبار الماضية وقصص السابقين وبين المعارف التي جاء بها القرآن الكريم ، **فلم يكن على رواياته أي غبار** ، ولكن ما لبث بعضهم أن فطن له بعد ما تبين كذبه وانكشف أمره **فنزعوا عنه ثوب الثقة وشكوا في أخباره بل كذبوه** ، وإن كان بعضهم أمثال **أبي هريرة** قد ظل على تصديقه والأخذ عنه حتى لقي ربه (1)

فعمر بن الخطاب الذي أتاح له في باديء الأمر فرصة الجلوس على مقربة منه **ينهاه عن التحديث** بعدما تبين له كذبه ويتوعده بالنفي إلى بلاده حيث قال له : " **لتتركن الحديث أو لألحقنك**

بأرض القردة " (2). وقيل للسيدة **عائشة** أن **كعب الأحبار** يقول إن اللـه قسم رؤيته وكلامه بين نبيين موسى **(عليه السلام)** الذي كلمه الله ومحمد **(ص)** الذي أذن له برؤية الله **قالت** : " معاذ الله لقد قف شعرى مما قلت ، من زعم أن **محمدا** رأي ربه فقد أعظم الفرية على الله"(3)

والغريب في الأمر أن **علماء الجرح والتعديل** الذين يرجع لهم في تعديل الرجال وتجريحهم ، قد **ذهبوا إلى توثيقه** دون أن يعيروا لرأي الصحابة الذين عاصروه والتقوا به أية أهمية ، كما لم يكلفوا أنفسهم أي عناء في الاطلاع على رواياته وتفحصها ونقدها واستجلاء مدى مطابقتها للنصوص الصحيحة ، وعلى الرغم من ترك كثير من الصحابة لرواياته وامتناعهم عن الأخذ عنه بعد تأكدهم من كذب رواياته وعدم مصداقيتها فإننا **لم نجد له أي ذكر في كتب الضعفاء والمتروكين** .

وإذا كان إسلامه **مجرد تظاهر** أمام المسلمين بقصد الوصول إلى تحقيق أهدافه وغاياته التي يطمح اليها واستقطاب الرجال إليه فإن **نشاطه التآمري** لم يقتصر على جانب واحد من جوانب الفكر ، وإنما توزع بين مجالين ، هما **الثقافة والسياسة ففي المجال الثقافي** يستغل سماحة الصحابة وتقديرهم له وحسن تعاملهم معه ، فينشر أفكاره اليهودية بينهم منتهزا حبهم وشوقهم لمعرفة أخبار الأمم الماضية التي يدعي معرفتها باطلاعه الغزير وقراءته **للتوراة** والكتب الأخرى التي

لم يكن للصحابة أي علم بها .

وفي **مضمار العمل السياسي** نجده يتظاهر بالتودد **لعمر بن الخطاب** ويحاول التقرب منــه بوسائل مختلفة ، حتى إنه أوشك على **تأليهه** مثلما فعل **ابن سبأ** من بعده مع **علي بن أبي طالب** ، ليصل بتقربه هذا إلى ماكان يسعى إليه في حق **عمر** ، إلى جانب وقوفه إلى صف **عثمان** وانحيازه فيما بعد إلى **معاوية** ومحاولاته الوقيعة بين **الهاشميين والأمويين** .

وسوف نوضح فيما يلي النشاطات التي لعبها **كعب الأحبار** في صفوف المسلمين لنقف على حقيقته ونكشف زيف مروياته التي ادعى أن مصدرها كتب الله القديمة ، مثلما نتبين الدور السياسي الخطير الذي خطط له ومارسه بسبب قربه من **عمر بن الخطاب** .

(أ) نشاطه الثقافي :

نتناول في هذا الإطار ، اتجاهات الدور الثقافي الذي قام به **كعب الأحبار** إزاء الفكر الإسلامي ، والآثار التي ترتبت عن ذلك الدور، من خلال دراستنا **للإسرائيليات** .

1 - في العقيدة

استهدف **مخطط كعب الأحبار** التآمرى على الإسلام في جانبه

الثقافي والفكرى **جانب العقيدة** ، وهو الأساس الذي يقوم عليه الإسلام ، حيث التوحيد الخالص لله ، ولهذا نراه قريبا من **عمر بن الخطاب** في **عام الرمادة** (4) حينما أجدبت الأرض وتوقف هطول الغيث اذ لم يدع كعب هذه الفرصة تفلت من غير أن يتخذ منها وسيلة ليرمي الإسلام طعنة من طعناته حيث **قال لعمر : إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء** (5)

وهنا خداع واضح من **كعب الأحبار لعمر بن الخطاب** ومحاولة بينة للزج به إلى **هوة التوسل** الذي هو الشرك بعينه ، حتى اذا هوى فيها **عمر** وأثرت عنه بالعمل اتخذت سنة من بعده وكان لها أثر بالغ لدى المسلمين جميعا في العقيدة الإسلامية على مر العصور فينهدم بذلك الأساس المتين للدين ، ولكن **عمر** وهو في الأفق من البصيرة بالدين والفقه فيه قد فطن لها ، ولم يقع في الفخ الذي نصبه له **كعب** ، فلم يستسق بأحد حتى بالنبي (ص) ولم يزد عن الإستغفار (6)

ومن ناحية أخرى نرى **كعب الأحبار** يحذر **عمر بن الخطاب** من الخروج إلى **العراق** مدعيا بأن بها تسعة أعشار السحر " **لا تخرج إليها يا أمير المؤمنين ! فإن بها تسعة أعشار السحر : فسقة الجن وبها الداء العضال** " (7) وفي هذا النص دليل آخر على مدى حرص **كعب** على هدم البنيان الأساسي للعقيدة الإسلامية التي تنبذ مثل هذه الأفكار.

وعندما دخل **عمر بن الخطاب** بيت المقدس سنة **(15هـ)** سأل **كعبا** فقال : " أين ترى أن نجعل المصلى؟ فقال : إلى الصخرة ، فقال له **عمر : ضاهيت والله اليهودية يا كعب** " (8) ففي إجابته هذه دليل آخر على محاولته لافتتان المسلمين عن دينهم والعودة بهم إلى الوثنية التي جاء الإسلام لمحاربتها .

ونستنتج من تلك المحاولات أن **كعب الأحبار** لم يدخل الإسلام عن اقتناع بل تظاهر به ليتخذه مطية للتسلل إلى الإسلام بعد أن أصبح على اقتناع بأن تنفيذ مخططه الرامي إلى تخريب الإسلام لا يمكن أن يتم إلا بالتظاهر بالإسلام والتودد إلى المسلمين الذين سارع بعضهم إلى التحلق حوله والإنصات إليه والرواية عنه ، حتى أصبحت الفرصة مواتية أمامه ليقذف بأساطيره وخرافاته في نفوسهم المتشوقة ـ كما علمنا ـ إلى تلقف التفاصيل التي كان يرويها عن قصص التنزيل مدعيا بورود بعضها في **التوراة** مطابقا لما جاء به القرآن الكريم مصبغا على بعضها الآخر طابع الحديث النبوي الذي ينسب إلى الرسول **(ص)** كذبا ودسا عليه .

ولم يكتف **كعب الأحبار** كما علمنا بما كان يرويه من أساطير وخرافات توراتية ـ فيما يدعي ـ بل صوب سهام هدفه إلى مسألة العقيدة التي تمثل أساس الدين وركيزته وحاول عن عمد العودة بالمسلمين إلى الوثنية بعد أن عرفوا طريقهم إلى الله واتخذوا الكعبة

قبلتهم في الصلاة ويؤيد ذلك مواقفه مع **عمر بن الخطاب** حين سأله في **بيت المقدس** عن وجهة الصلاة فدعاه **إلى الصخرة** ، أو عندما حاول في **عام الرمادة** أن يرمي به في هوة التوسل إلى جانب تحذيره له من السحر والجن عندما هم بفتح **العراق** ولنشر دعوة الحق في ربوعها .

2 ـ في التفسير

رجع **بعض الصحابة** في تفسير ما غمض عليهم من القرآن الكريم **إلى كعب** (9) الذي سخر فيما يبدو هذا الموقف لبث كثير من أفكاره وآرائه التي صارت فيما بعد من الدين ، وإذا تتبعنا مصادر التراث من كتب التفسير لوقفنا على كثير من تلك الروايات الخرافية التي روج لها **كعب** وتسلل من خلالها إلى التفسير حتى صارت مرجعا وحجة وهي في الحقيقة ليست سوى لون من ألوان **(الفولكلور الإسرائيلي)** الذي حمله **كعب** من **اليمن** تلك البيئة التي عاش فيها مدة فأسهمت في تكوين جانب من ثقافته .

ومن أبرز الصحابة الذين رجعوا إلى **كعب** الصحابيان **ابن عباس وابن عمر** ، فقد اختلفا على تفسير آية من القرآن في مجلس **معاوية** فأرسل **معاوية** إلى **كعب الأحبار** يسأله عن تفسيرها فأجابه وهو يقول : " **كذلك نجده في التوراة** " (10)

ولابد هنا من الإشارة إلى أن تلميذ **كعب** المباشر في نقل وترويج **الإسرائيليات** في التفسير هو **عبدالله بن عباس** واذا كان هناك الكثير مما يمكن قوله في **تفاسير ابن عباس وأقواله** فان ترجمته التي أثبتها **ابن سعد** مطولة في **(طبقاته)** وجاءت في مصادر أخرى كثيرة ، تظهر جوانب ينبغى على الدارس المحقق أن يقف عندها ويمحصها ، وأقل ما يقال هنا **إن ابن عباس متأثر تأثرا بالغا بكعب الأحبار** ، وهذا ما أدخل كثيرا من الخلط في تفسيره للقرآن الكريم ، **فقد كان ابن عباس أكثر الصحابة تفسيرا** ، من الجائز القول أن كثيرا من تفسيره نسب إليه ـ كما يذهب المعتذرون عنه ـ **تملقا للعباسيين وزلفى** وهناك طرق عديدة للرواية عنه غير مرضية (11) بيد أن هذا لا يمنع من القول بأن تفسير **(ابن عباس)** وبقية التفاسير الأخرى التي نحت نحوه مما يعرف باسم **(التفسير بالمأثور)** سواء أصحت نسبتها أم لم تصح ، تحتوى على قدر مهول من الخلط والخرافة شوهت صورة الفكر الإسلامي ، وانحرفت به عن مجراه العقلى المنطقى السليم ، ولا ريب أن مرجع الأمر يعود إلى ذلك المثقف اليهودي **كعب الأحبار** (12)

وإذا كان هناك بعض المفسرين الذين تفطنوا إلى خطورة مرويات **كعب** فأشاروا إليها في ثنايا مصنفاتهم التفسيرية وعقدوا فصولا للتحذير منها فإن نظرة فاحصة على كتب **(التفسير بالمأثور)** توقفنا على كثيرمن الروايات الخرافية الإسرائيلية الواردة دون نقد أوتمحيص

عن **ابن عباس** وغيره ممن اشتهروا بالتفسير وهي معزوه في الحقيقة إلى **كعب** وأمثاله من الأحبار .

ففي تفسير قوله تعالى " **قالوا يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة** " (13) يورد **ابن كثير** عن **كعب** أنه قال : " كان **يوسف** حسن الوجه جعد الشعر ضخم العنق مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين خميص البطن صغير السرة إذا ابتسم رأيت النور من ضواحكه ، وإذا تكلم رأيت في كلامه شعاع الشمس من ثناياه لا يستطيع أحد وصفه ، وكان حسنه كضوء النهار عند الليل ، وكان يشبه **آدم** يوم أن خلقه الله وصوره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية " (14)

وعند قوله **تعالى" إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض"**(15) **روى ابن كثير** أيضا عن **كعب** أنه قال : " هم نادرة ولد **آدم** وذلك أن **آدم** احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء **يأجوج ومأجوج** (16) فهم يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم "(17)

وفي تفسير قوله **تعالى " واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا** " (18) يذكر **ابن كثير** أن **كعبا** قال : " أما **إدريس** فإن الله أوحى إليه أنى أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم . فأحب أن أزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة فقال له إن

الله أوحى إلى كذا وكذا ، فكلم لـى ملـك المـوت فليؤخرنـي حتـى ازداد عملا فحمله بيـن جناحيـه حتـى صعـد بـه إلـى السـماء ، فلمـا كـان فـي السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرا فكلم ملـك المـوت فـي الـذي كلمه فيه **إدريس** فقال : فأين **إدريس** فقال : هوذا على ظهري قال ملـك الموت العجب بعثت وقيل لي أقبض روح **إدريس في** السماء الرابعـة فجعلت أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعـة وهـو فـي الأرض فقبض روحه هناك فذلك قول الله **ورفعناه مكانا عليا** " وقد علـق **ابـن كثير** على ذلك بقوله هذا من أخبار **كعب الأحبار** (19)

وفـي تفسير قولـه **تعالى** " **وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير** " (20) ورد عن **كعب** قوله : " **إن كعب** قـال: إن **(ورشان)** (21) صاح عند **سليمان** فقال أتدرون ما يقول ؟ قـالوا : لا، قـال : إنــه يقـول : لـدوا للمـوت وابنــوا للخـراب ، وصـــاحت **(فاختة)**(22) فقال : أتدرون ما تقول ، قالوا : لا . قـال : فإنهـا تقـول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا . وصاح **(طاووس)** فقال : أتـدرون مـا يقـول ، قالوا : لا . قال : فإنه يقول : **كما تدين تدان** " (23)

وفي تفسير قوله **تعالى** " **قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنـزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك** " (24) قال **كعب** نزلت المائدة تطير بهـا الملائكـة بين السماء والأرض عليهـا كل الطعام إلا اللحم (25)

فلو أمعنا النظر في جملة هذه النصوص التي سقناها من كتب التفسير باسنادها إلى **كعب الأحبار** ، لتبين لنا من خلالها مدى حرص **كعب** وأمثاله من أحبار اليهود على النفاذ بأفكارهم وآرائهم التي جاؤا بها من كتب الأقدمين ـ كما يدعون ـ إلى تفسير النص القرآني ، ومدى سيطرة الأسطورة على التفسير حتى يؤثروا في أعماق الفكر الإسلامي، كما يمكن أن نستنتج من هذه النصوص أمورا أخرى نسوقها كما يلى :

أ ـ ابتعاد هذه التفسيرات عن جوهر الهدف الأساسى الذي يسعى إليه النص القرآنى ، وهو تقديم المعرفة وسوق القصص للعبرة والعظة وتلك النصوص لا تتوافر على أي قدر من هذا الهدف.

ب ـ محاولة الدس على الرسول (ص) بنسبة بعض الأقوال الخرافية في تفسير القرآن الكريم إليه ، وهو الذي جاءت دعوته لنسف الخرافة والدعوة إلى استخدام العقل .

ج ـ إغراق هذه النصوص في الوصف الحسى لشخصيات الأنبياء والرسل مما لافائدة من معرفته ـ إن صح ـ كوصفه لشخصية **يوسف** وشبهه لآدم عليهما السلام . •

د ـ مخالفة هذه النصوص للناموس الطبيعي في نشأة **ياجوج ومأجوج** الذين نشأوا ـ على حد خرافته ـ من امتزاج نطف آدم (**عليه السلام**) بالتراب ، مما لا يقول به عاقل وإن كان من آيات الله

فإننا لم نر في القرآن ما يشير إليه .

هـ ـ الدس على النبي إدريس **(عليه السلام)** بأن طلب شفاعة أحد أصدقائه من الملائكة بأن يؤخره الله ليزداد عملا صالحا ، ثم ادعاؤه بأنه حمله إلى السماء ليلتقي بملك الموت الذي فوجيء بوجود **إدريس** في السماء الرابعة وقد أمر ليقبض روحه في الأرض .

و ـ ادعاء **كعب** معرفة المائدة التي أنزلها الله على عيسى **(عليه السلام)** ، وافتراؤه بأنها كانت تحمل كل الطعام إلا اللحم وأن الملائكة طارت بها بين السماء والأرض .

3 ـ في الحديث :

روى **كعب** عن رسول الله **(ص)** مرسلا وعن **عمر وصهيب وعائشة** ، وعنه روى عدد كبير من الصحابة الذين كانوا يستمعون إليه ويثقون في رواياته ومن بين هؤلاء الصحابة الذين رووا عنه ، **معاوية وأبوهريرة وابن عباس وعبدالله بن عمرو وعبدالله بن عمر وابن الزبير وأنس وعطاء بن أبي رباح** وغيرهم ، ومن بين الذين أخرجوا له **البخاري ومسلم وأبوداود والترمذي والنسائي** ، ويظهر أن أغلب آراء **كعب** وأساطيره قد نقلها **أبو هريرة** الذي تنسب إليه أحاديث نبوية كثيرة جدا يحتاج عدد كبير منها إلى إعادة نظر شاملة (26) **وقد شهد**

كعب على براعة **أبي هريرة** في معرفته لما في **التوراة** ـ التي اعتمدت عليها أغلب رواياته فيما يبدو ـ حيث قال : " **ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة** " **(27)**

وروى **ابن سعد** في **(طبقاته)** " **أن أبا هريرة** جاء إلى **كعب** يسأل عنه . **وكعب** في القوم ، فقال **كعب** ما تريد منه ؟ فقال : أما إني لا أعرف أحدا من أصحاب رسول الله أن يكون أحفظ لحديث رسول الله مني !! **فقال كعب** : أما إنك لم تجد طالب شيء إلا سيشبع منه يوما من الدهر إلا طالب علم ، أو طالب دنيا ! **فقال أبو هريرة** : أنت **كعب**؟ فقال : نعم فقال : لمثل هذا جئتك " **(28)**

ومن هذا النص يتضح أمامنا **أن كعبا قد وجد بغيته في أبي هريرة** ، الذي يزعم أنه أحفظ الناس لحديث رسول الله **وأنه نعم التلميذ النجيب الذي يحمل عنه ما يريد بثه مما يفسد عقائد المسلمين**، ومن ثم أصبح الدور الذي يتصدى له **كعب** سهلا وميسورا على اعتبار أنه وجد من يعينه على تأديته ومن المسلمين أنفسهم ، وقد بلغ من دهاء **كعب الأحبار** واستغلاله لسذاجة أبى هريرة وغفلته **أن** كان يلقنه ما يريد بثه في الدين الإسلامي من خرافات وأساطير حتى إذا رواها **أبو هريرة** ، عاد هو فصدق **أبا هريرة** ليؤكد هذه **الإسرائيليات** وليمكن لها في عقول المسلمين كأن الخبر قد رواه **أبو هريرة** عن النبي ، وهو في الحقيقة عن **كعب الأحبار (29)**

ومن الأمثله على تلك **الإسرائيليات** التي رواها **كعب** وتلميذه **أبو هريرة** ما روى عن **أبي هريرة** من أن رسول الله **(ص)** قال : " إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها " ولم يكد هذا الحديث يبلغ **كعبا** حتى أسرع فقال : " صدق والذي أنزل **التوراة** على **موسى** ! والفرقان على **محمد** لو أن رجلا ركب **(حقة)** (30) أو **(جذعة)** (31) ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ! إن الله **تعالى** غرسها بيده ، ونفخ فيها من روحه ، وإن أفنانها لمن وراء ستار الجنة ، وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل هذه الشجرة"(32)

وروى عن **أبي هريرة** عن رسول الله **(ص)** أنه قال : " **إن يأجوج ومأجوج** ليحفرون السد كل يوم ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون إليه كأشد ما كان ، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله فيستثني فيعودون إليه وهو كهيئة حين تركوه ....إلخ " ويعلق **ابن كثير** على الحديث بقوله : " **ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب فإنه كان كثيرا ما كان يجالسه ويحدثه فيحدث به أبوهريرة ، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه** " (33)

وأبو هريرة كما نلاحظ من خلال كتب الحديث **أكثر الصحابة**

رواية للأحاديث عن رسول الله **(ص)** حيث يذكر أنه روى **(5374)** حديثا **(34)** وكان لكثرة ما يحدث عن رسول الله **(ص)** محل تهكم وسخرية من قبل بعض من الصحابة فقد ذكر " **أن رجلا من قريش أتى أبا هريرة في حلة يتبختر فيها فقال : يا أبا هريرة ، إنك تكثر الحديث عن رسول الله فهل سمعته يقول في حلتى هذه شيئا ؟ كأن كل أمر كان يستخرج له حديثا فقال : سمعت أبا القاسم يقول : إن رجلا ممن كان قبلكم بينما كان يتبختر في حلة إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة فوالله ما أدرى لعله كان من قومك أو من رهطك** " (35)

ونستنتج من هذا الموقف **أن أبا هريرة** كان مكثارا للحديث عن الرسول **(ص)** وهو كثيرا ما كان يخلط بين ما سمعه من الرسول وبين ما تلقاه عن **كعب** من **إسرائيليات** الأمر الذي دعى كثير من النقاد إلى التحفظ من الرواية عنه والتحدث بما يقول ، فقد روى عن **بشر بن سعد** أنه قال : " **اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب وحديث كعب عن رسول الله وفي رواية يجعل ما قاله كعب عن رسول الله وما قاله رسول الله عن كعب فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث** " (36)

وروى عن **يزيد بن هارون** في هذا الصدد قوله : " **سمعت شعبة يقول أبوهريرة كان يدلس - أي يروى ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله (ص) - ولا يميز هذا من هذا** " (37)

ومن كل ذلك يتبين لنا كيف استطاع **كعب الأحبار** أن يتسلل من خلال الحديث عن رسول الله **(ص)** كذبا واختراعا عليه ، إلى صفوف الصحابة حتى جعلهم يخلطون بين ما سمعوه من رسول الله **(ص)** وبين ما كان يحدثهم به .

كما تبين لنا مدى انخداع بعض كبار الصحابة به من أمثال **أبي هريرة** الذي جلس إليه وتلقى منه وروى عنه وهو ممن يعرف أنه قد كشف أمره بعدما تبين كذبه وأن **عمر بن الخطاب** الذي أتاح له في بادىء الأمر فرصة الجلوس على مقربة منه قد نهاه عن الحديث وتوعده بالنفي .

4 - في التاريخ :

تتوفر مصادر التراث الإسلامي من كتب التاريخ على الكثير من الأخبار والحوادث المعزوة إلى **كعب الأحبار** والتي راجت عن طريقه حتى غدت من المصادر الأساسية للتاريخ ، وبخاصة تلك التي تتعلق ببدء الخلق وأسرار الوجود وأحوال الأمم السابقة والملاحم والفتن المنتظرة،وقد أسهم كثير من **الأخباريين والمؤرخين** في شيوعها

وانتشارها ، ومن بين هؤلاء **ابن جرير الطبرى** الذي قال في مقدمة تاريخه " ... **فما كان في كتابي هذا ، مما يستنكره قارئه أو سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا ، وإنما من قبل ناقليه إلينا ، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدي الينا " (38)**

ومعنى قول **ابن جرير** أن ما أورده من أخبار حول بدء الخلق وأسرار الوجود وأحوال الأمم السابقة والملاحم والفتن المنتظرة ليست محل نقد وتمحيص عنده ، وأن دوره يتمثل في إيرادها كما نقلت إليه ولذلك فإن قضية مصداقيتها من عدمها ليست من مسؤوليته ، وهذا يعني أن ما أورده **ابن جرير** في تاريخه معزوا إلى **كعب الأحبار** هو من الأخبار الإسرائيلية التي سعى **كعب** إلى بثها .

ولو تتبعنا مصادر التاريخ العربي الإسلامي بعامة وكتب السير وقصص الأنبياء ، بخاصة لوقفنا بلا شك على كثير من الأخبار والأحداث الخرافية التي يعود مصدرها إلى **كعب الأحبار** ، ومن أمثلة ذلك ما أورده **الثعلبي** في **(قصص الأنبياء)** عن أهل الكهف حيث ينسب **الثعلبي** إلى **كعب** قوله : " أنهم مروا بكلب فنبح فطردوه مرارا فقام الكلب على رجليه رافعا يديه إلى السماء كهيئة الداعي فنطق فقال : لا تخافوا مني أنا أحب أحباب الله فناموا حتى أحرسكم " **(39)**

وروى **ابن كثير** عن كعب " **أن معاوية** سأله عن صخرة بيت

المقدس فقال الصخرة علـى نخلـة والنخلـة علـى نهر مـن أنهـار الجنـة وتحت النخلة **مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم** ينظمان سموط أهل الجنة حتى تقوم الساعة " **(40)**

ويورد **الثعلبي** في **(قصص الأنبياء)** عن كعب قوله : " **إن هارون** كان أطول من **موسى** ، وكان على رأسه شامة سوداء ، وكان **موسى ابن عمران** رجلا آدم اللون جعد الشعر طويلا ، وكان بلسان **موسى** عقدة وثقل ، وكان أيضا على طرف لسانه شامة سوداء " **(41)**

ويروى عن **كعب** " **أن يحيى بن زكريا** كان حسن الوجه والصورة ، لين الجناح ، قليل الشعر ، قصير الأصابع ، طويل الأنف ، مقرون الحاجبين ، رقيق الصوت ، كثير الغيرة " **(42)**

وروى عن **كعب** كذلك " **أن زكريا** لما سمع بأن ابنه **يحيى** قتل وخسف بالقوم ، انطلق هاربا في الأرض حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الأشجار ، فنادته شجرة يا نبي الله إلى ههنا فلما أتاها انفتقت له الشجرة ودخل **زكريا** في وسطها فانطلق إبليس لعنه الله حتى أخذ بطرف ردائه ، فأخرجه من الشجرة ليصدقوه إذا أخبرهم ، فلذلك نصنع اليهود الخيوط في أطراف أرديتهم لايدرون لما أمروا بذلك ، وأخذ الملك وأهله يلتمسون **زكريا** فاستقبلهم **إبليس** لعنه الله **تعالى** فقال لهم : ما تلتمسون قالوا نلتمس **زكريا** فقال **إبليس** : إنه دخل في هذه الشجرة ، قالوا لا نصدقك ، قال إن أريتكم علامة تصدقونى بها ، قالوا

فأرنا اياها ، فأراهم طرف ردائه ، فأخذوا المناشير وضربوا الشجرة فنشروها نصفين ، فسلط الله عليهم أخبث أهل الأرض علجا مجوسيا ، فانتقم الله به من بني إسرائيل بدم **يحيي وزكريا** ، فقتل عظماء بني إسرائيل وسبي منهم مائة وسبعين ألفا " (43)

ومن خلال هذه النصوص نلاحظ مدى استغلال **كعب الأحبار** لمخزونه الخرافي والأسطوري الذي تكون لديه من خلال نشأته باليمن، وهي البيئة التي عاش فيها جانبا من حياته وكانت مرتعا لكثير من الخرافات والأساطير القديمة ، وقد وجد في تشوق المسلمين إلى معرفة التفاصيل التي لم يتناولها القرآن الكريم ، الفرصة المناسبة للنفاذ بهذا المخزون الخرافي إليهم من أجل تشويه الحقائق وتقديم بعض الصور الباهتة عن شخصيات الأنبياء والرسل السابقين ، الأمر الذي يمكن أن يعد تشويها للحقائق التاريخية التي جاء بها القرآن الكريم عن الأنبياء والرسل .

5 ـ تأليه عمر:

حاول **كعب** أن يقوم بالمهمة التي قام بها **ابن سبأ** من بعده، وذلك عن طريق **تقديس عمر** تقديسا يؤدي إلى تأليهه ، كما حدث مع **علي بن أبي طالب** ، بيد أن **شخصية عمر** ذاتها منعت حدوث مثل هذا الأمر (44) ولكن **كعبا** حاول أن ينفذ بدسائسه إلى هذه الشخصية القوية

من خلال بعض القصص الأسطورية التي يزعم كعادته أنها من كتب بني إسرائيل إذ يروى أنه كان يحدث بحديث ملك في بني إسرائيل " **إذا ذكرناه ذكرنا عمر، وإذا ذكرنا عمر ذكرناه** " وقد اخترع من خياله قصة عن هذا الملك مفادها أن الله أمهله ثلاثة أيام ليموت بعدها ، فدعا ربه أن يهبه طول العمر حتى يبلغ ابنه الرضيع سن الرشد فأمهله الله خمسة عشر عاما ليكبر ابنه ، وكان **كعب** يردد هذه **القصة** وخاصة قبيل **مقتل عمر** فلما طعن **عمر** قال **كعب** : " لئن سأل **عمر** ربه ليبقينه الله ! " فأخبر **عمر** بذلك فقال: " اللهم اقبضني إليك غير عاجز ولا ملوم " **(45)**

وجاء هذا الخبر برواية تختلف عن ذلك إذ قيل إنه لما طعن **عمر** جاء **كعب** فجعل يبكي بالباب ويقول " والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره ! " فدخل **ابن عباس** على **عمر** فقال : " يا أمير المؤمنين .. هذا **كعب** يقول كذا وكذا " قال **عمر** : " إذن .. والله لا أسأله " ثم قال : " ويل لي ولأمي ، إن لم يغفر الله لي "**(46)**

وتأسيسا على ما سبق يذهب الدكتور **علي فهمي خشيم** إلى أن " هذا الموقف هو بدايات التقديس التي شرع فيها **كعب الأحبار** بالنسبة **لعمر بن الخطاب** ، وهو يرى أن هذا الموقف الانتهازي من رجل مطعون يحاول أن يسبغ عليه في لحظاته الأخيرة القدرة على أن يطلب من الله أن يؤخره فيستجاب له ، وبذا يضرب عصفورين بحجر واحد،

إن مات **عمر** ظلت كلمته سارية كما حدث ، وإن حيي أحاطت به هالة القدسية وربما الألوهية " (47)

وبالنظر إلى النصين السابقين نلاحظ أن **كعبا** بمحاولة **تأليهه عمر بن الخطاب** قد قام بنفس الدور الذي قام به **ابن سبأ** ازاء **علي بن أبي طالب** وهو ـ **أي كعب** ـ قد حاول على الرغم من قوة شخصية **عمر ابن الخطاب** أن ينفذ إليه في محاولة منه إلى اضفاء جانب التقديس عليه وهو ما يؤكد أن ثمة خطة يهودية قد رسمت ودبرت للنيل من الإسلام والدس عليه متخذة سبيل تأليه الأشخاص وتقديسهم طريقا نحو ذلك الهدف ، كما أن مسألة الاتفاق بين ما زعمه **كعب إزاء عمر بن الخطاب** وما ادعاه **ابن سبأ لعلي بن أبي طالب** بعد ذلك لدليل على استمرار المخطط اليهودي في النهج نفسه .

(ب) نشاطه السياسي :

يشير **ابن جرير الطبرى** في تاريخه إلى أـ **كعبا** كان من ضمن الذين ساروا مع **عمر بن الخطاب** إلى بيت المقدس ، وقد سـأله " أين ترى أن نجعل المصلى؟ **فقال كعب** : إلى الصخرة ، **فقال له عمر: ضاهيت والله اليهودية يا كعب ، اذهب إليك فإننا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة** " (48)

يفهم من **إجابة كعب** هذه أنه كان على يهوديته في ذلك الوقت ، إذ لو كان مسلما صادقا في إسلامه لما خفي عليه توجه المسلمين في صلاتهم إلى المسجد الحرام كما أمرهم الله **تعالى** : " **فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** " **(49)** كما يفهم أيضا من ذلك أن **عمر بن الخطاب** كان يشك في إسلام **كعب** وما استشارته له إلا من قبيل اختباره ، وما تقريب **عمر** له واحتضانه إلا طمعا في إسلامه باعتباره شخصية ثقافية مهمة ، وذلك التسامح الذي اشتهر به المسلمون الأول في تعاملهم مع أهل الكتاب بصفة خاصة ، لكن هذا التسامح فيما يبدو أدى إلى نتائج وخيمة سياسية وفكرية ، فإن تمكن **كعب** من مجلس الخليفة الثاني جعله يحظى بنظرة تكريم خاصة أتاحت أن ينشر آراءه وأفكاره ـ كما بينا سابقا ـ وفي ميدان السياسة من الممكن الشك في دور قام به **كعب** في مقتل **عمر** ثم محاولة أداء الدور ذاته الذي أداه **ابن سبأ** بالنسبة **لعلي بن أبي طالب (50)**

ويمكن أن نقف هنا عند الأدوار والاتجاهات التي سارت فيها خطط **كعب** التآمرية على الإسلام والفكر الإسلامي لنبين حقيقة الدور الخطير الذي لعبه على المسرح السياسي في عهد **عمر بن الخطاب** ، ثم في عهد **عثمان ومعاوية بن أبي سفيان** من بعده .

1 ـ اغتيال عمر

كان **عمر بن الخطاب** لا يأذن لمشرك قد احتلم في دخول

المدينة حتى كتب إليه **المغيرة بن شعبة** وهو على **الكوفة** يذكر له غلاما من غير المسلمين عنده جملة صنائع ويستأذنه أن يدخل **المدينة** ويقول : إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس ، إنه حداد ونقاش ونجار ، فأذن له أن يرسله المدينة وضرب عليه **المغيرة** مائة درهم في الشهر ، فجاء إلى **عمر** يشتكي شدة الخراج ، فقال له ما خراجك بكثير، فانصرف ساخطا يتذمر ، فلبث **عمر** ليالي ثم دعاه فقال : **ألم أخبر انك تقول : لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح** ؟ فالتفت إلى **عمر**عابسا وقال : **لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها** فلما ولى قال **عمر** لأصحابه : **أوعدني العبد آنفا (51)**

إن هذا العبد الذي شكا **لعمر** خراجه والذي لا يتجاوز الدرهمين(52) ثم أوعده كما هو ظاهر من حديث **عمر** ، هو نفسه العبد الذي قام باغتياله في **مسجد المدينة** سنة **(23/ هـ ـ 644/ م)** ثم انتحر (53) أو قتل (54) وانتقم منه **ابن عمر** في **الهرمزان (55)** فضلا عن زوجته وابنتيه (56) **ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ماعلاقة هذا العبد بكعب الأحبار ؟ وما علاقة مقتل عمر بكعب ؟**

تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن هذا العبد الذي استأذن **المغيرة** في شأنه **عمر بن الخطاب** هو **أبولؤلؤة المجوسي (57)** وهو منفذ الجريمة **وأنه فارسي الأصل من نهاوند (58)** وهو لم يقدم على ارتكاب هذه الجريمة من تلقاء نفسه ، بل **كانت وراءه دون أدنى شك**

جمعية سرية كانت تمهد لقتل عمر ، إذ لو كانت محاولة فردية ناتجة عن رد فعل مرتكبها بعد تلك المحاورة مع **عمر** ، لما علم بها **كعب الأحبار** وهو الذي جاء إلى **عمر** غداة لقائه **بأبي لؤلؤة** وقال له : **يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام** ، قال ومايدريك؟ قال **أجده في كتاب الله عز وجل التوراة** ، قال عمر : **آلله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة** ؟ قال **اللهم لا ؛ ولكني أجد صفتك وحليتك ، وأنه قد فنى أجلك** قال : وعمر لايحس وجعا ولا ألما ، فلما كان من الغد جاءه كعب ، فقال : **يا أمير المؤمنين ، ذهب يوم وبقى يومان ؛** ثم جاءه من غد الغد ؛ فقال **ذهب يومان وبقي يوم وليلة ، وهي لك إلى صبيحتها (59)**

إن الناظر إلى هذه الحادثه التي رواها **الطبري** ووافقه عليها غيره من المؤرخين لا تدع مجالا للشك في أن **كعبا** كان له ضلع في مقتل **عمر بن الخطاب** ، وهو لم يقف عند التنبؤ بمقتل **عمر** ، بل جاءه بعد أن طعن وجعل يبكي بالباب ويقول : " والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره " فدخل **ابن عباس** على **عمر فقال** : " يا أمير المؤمنين هذا **كعب** يقول كذا وكذا " **قال عمر** : " إذن .. والله لا أسأله " **ثم قال** : "ويل لي ولأمي إن لم يغفر الله لي"**(60)**وهو بذلك يكون قد ضرب عصفورين بحجر واحد ، إن مات **عمر** ظلت كلمته سارية كما حدث،وإن حيى أحاطت به هالة القدسية وربما الألوهية**(61)**

وإذا كان هناك شبه اتفاق بين المؤرخين القدامى على أن **لكعب** دورا بارزا في التآمر على مقتل **عمر** ، فإن هناك من المحدثين من طعن في **الطبري** وغيره من المؤرخين واتهموهم بعدم التزام الصحة فيما ينقلون ويحكون ، وانبروا للدفاع عن **كعب** في هذا الجانب مسوغين ذلك بعدة أسباب من بينها :

أ ـ لو كانت النبوؤة بمقتل **عمر** في **التوراة** لما اختص بعلمها **كعب** وحده، ولكن كان يشاركه العلم بها أمثال **عبدالله بن سلام** ممن لهم علم **بالتوراة** .

ب ـ لو صحت الحادثة لكان المنتظر من **عمر** حينئذ ألا يكتفي بسماع قول **كعب** وإنما يحاول ـ على الأقل ـ أن يجمع طائفة ممن أسلم من أهل الكتاب وكانت لهم إحاطة **بالتوراة** ، ويسألهم عن هذه القصة ، والحق أن لو قام **عمر** بذلك لافتضح أمر **كعب** ، وظهر للناس كذبه ، ولتبين **لعمر** أنه وقع في مؤامرة دبرت لقتله ، وهو على علم بها .

ج ـ لو صحت لكان معناها أن **كعبا** له يد في المؤامرة ، وأنه يكشف عن نفسه بنفسه .

د ـ ثم ما **للتوراة** وتحديد أعمار الناس وتاريخ وفياتهم ، فالله إنما أنزل الكتب نورا وهدى للناس ، لا لمثل هذه الأخبار التي لا تعدو أصحابها(62)

وهناك من الباحثين المعاصرين من يرى أن مقتل **عمر بن**

الخطاب كان مؤامرة مدبرة ، اشترك فيها العجم واليهود وهم أشد الناس بغضا لعمر ، وحقدا على الإسلام والمسلمين **وقد ترجح هذا الرأي من وجوه :**

الأول : شهادة **عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق** فإنه قال غداة مقتل عمر: رأيت عشية أمس **الهرمزان وأبا لؤلؤة وجفينة (63)** وهم يتناجون ، فلما ثاروا سقط منهم الخنجر الذي ضرب به **عمر**، وفي رواية أن **عبدالرحمن** رآهم يدخلون في مكان يتشاورون وبينهم خنجر له رأسان مقبضه في وسطه ، فقتل **عمر** في صبيحة تلك الليلة ، فلما بلغ **عثمان** قول **عبدالرحمن** استدعاه وسأله ، فقال **عبدالرحمن** : انظروا إلى السكين ، فإن كانت ذات طرفين فلا أرى القوم إلا قد اجتمعوا على قتله ، فنظروا إليها فوجدوها كما وصف **عبدالرحمن(64)**

الثاني : حديث **كعب الأحبار** مع **عمر بن الخطاب** غداة توعده **أبولؤلؤة** بقوله : " لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب" فلما كان من الغد جاء **كعب الأحبار** إلى منزل **عمر** فقال له : " يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام " ، **قال عمر** : وما يدريك؟ قال : " أجده في كتاب الله **التوراة** " ، **قال عمر** : " آلله إنك لتجد **عمر بن الخطاب** في **التوراة** " قال **كعب** : " اللهم لا ولكن أجد صفتك وحيلتك وإنه قد فني عمرك " ، **وعمر** لا يحس وجعا ولا ألما ، فلما كان من الغد ، جاءه **كعب** فقال : " يا أمير

المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان " ثم جاءه من غد الغد فقال : " ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبيحتها " ، فلما كان الصبح خرج **عمر** إلى الصلاة فطعن **(65)**

الثالث : روى أن **أباهريرة** علم بهذا الائتمار والتدبير المبيت فأنذر به **عمر** ، فلم يعبأ به كما لم يعبأ من قبل بوعيد **أبي لؤلؤة** ، لما يعلمه من نفسه أنه قائم على الرعية بالحق والعدل وكانت سنة الراشدين ألا يأخذوا أحدا بشبهة أو ظن خصوصا فيما يتعلق بأشخاصهم **(66)**

الرابع : روى أن **عيينة بن حصن الفزاري** ـ وهو من المؤلفة قلوبهم الذين اشتد عليهم **عمر** بعد أن ظهر الإسلام وقويت شوكته ـ قال **لعمر** : احترس أو أخرج العجم من **المدينة** ، فإني لا أمن أن يطعنك رجل منهم في هذا الموضع ، ووضع يده في الموضع الذي طعنه فيه **أبولؤلؤة (67)**

وفي كتابه **(الشيخان)** وبعد الإشارة إلى ما دار من حوار بين **عمر بن الخطاب وكعب الأحبار** يقول الدكتور **طه حسين** : " وإذا كان كل ما روى عن **كعب** بشأن موت **عمر** صحيحا، فلست أشك في أنه كان على علم بما دبر **أبو لؤلؤة** أو بما دبر الذين اشتركوا مع **أبي لؤلؤة** في الإعداد لهذه الجريمة " **(68)**

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أنه ليس ثمة شك في أن **كعب الأحبار** كان مشاركا في مؤامرة **اغتيال عمر** ، وأن ما دار بينه وبين

عمر قبيل وفاته بثلاثة أيام لم يكن مجرد تكهن بل كان نوعا من الوقاية لنفسه ، فإن نجحت المؤامرة ـ وهو ما كان يتمناه ـ يكون قد برأ نفسه، ودفع التهمة عنه أو الشك فيه ، وإن فشلت المؤامرة يكون قد أخلى مسؤوليته ودفع عن نفسه أية تهمة قد تلحق به لأنه أحاط **عمر بن الخطاب** بما كان يدبر له اذ لو كان مشاركا فيها لما أخبر**عمر** بذلك .

ولو أحسنا الظن **بكعب** وافترضنا أنه كان على علم بتفاصيل المؤامرة وأراد تحذير الخليفة منها ، فلماذا لم يكشف له عن أسماء الضالعين فيها واكتفي بالتلميح دون التصريح (69) ولو افترضنا أيضا أن تحذيره **لعمر** كان من قبيل التكهن ، فلماذا لم يكن هذا التكهن قبل ذلك بشهر أو شهرين ، أو أسبوع أو أسبوعين ؟ ولماذا كان في الغد من وعيد **أبي لؤلؤة لعمر** ؟ ولماذا اختص **كعب** بهذا التكهن عن **التوراة** ، والتوراة ذائعة بين الناس ، وفي المسلمين يهود وغيرهم من قرائها وحفاظها وعلمائها ، وفيهم من هو أعلم وأوثق وأسبق إيمانا من **كعب**؟(70)

ولعل ما يؤيد قضية التآمر على اغتيال **عمر** أن **الهرمزان** نكث عهد المسلمين قبل أخذه أسيرا غير مرة واحتال للخلاص من القتل ، وأسلم والله أعلم بإسلامه فقد روى أنه بعد أن انهزم بهزيمة قومه وجنده عاهد المسلمين ودخل في ذمتهم ، ثم نكث عهده ، ثم عاهد فخان بالعهد ، فلما ظفروا به آخر الأمر وعلم أن لا مفر له طلب الأمان على

أن ينزل على حكم **عمر** فسيروه إلى **المدينة** موثقا ، فلما بلغها وأجلس بين يدي **عمر** قال له : ما عذرك ؟ وما حجتك في انتقاضك مرة بعد مرة ؟ فقال أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك ؟ **قال عمر** : لا تخف ذلك ، فاستسقى **الهرمزان** ماء وأظهر الجزع ، وقال : أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء **فقال عمر** : لا بأس عليك حتى تشربه ، فكفأ **الهرمزان** الإناء ، وقال : لا حاجة لي في الماء إنما أردت أن أستأمن به **فقال عمر** : خدعتني ، والله لا أنخدع إلا لمسلم فأسلم **الهرمزان** مكانه ، وهذا الإسلام لا يغني عن صاحبه في السلامة من النفاق شيئا ، وقد يعضد هذا أن **الهرمزان** لم يجهر بكلمة الإسلام إلا حينما رأي الموت يكتنفه من جوانبه ويحيط به من أقطاره ومن ثم نفذت حيله وخبائثه وأيقن أن لا منفذ له إلا من طريق النفاق الخبيث (71)

ونخلص إذن إلى القول بأن مقتل عمر لم يكن مجرد محاولة فردية انتقامية من رجل ساءه موقف من عمر ، بل هو مؤامرة مخططة تخطيطا ذكيا ومدروسا اشترك فيها الدخلاء على الإسلام من اليهود والعجم وعهد بتنفيذها إلى أبي لؤلؤة المجوسي ونرى أن كعبا كان من أبرز مخططيها ، ولا سيما محاولاته الخفية لمعرفة أحوال **عمر** وكيفية دخول الناس عليه حيث ورد أنه عندما جاء إلى **المدينة** نزل على رجل يقال له مالك ـ وكان جارا **لعمر بن الخطاب** ـ وقال له:كيف الدخول على أمير المؤمنين؟ فقال له الرجل : ليس عليه باب

ولا حجاب يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء (72)

وفي هذا النص مثال على طريقة هذا اليهودي في جمع المعلومات عن الخليفة قبل أن يدخل عليه ويتقرب منه تمهيدا لتنفيذ ما جاء من أجله بأسلوب خفي وخطة مدروسة على نحو ما علمنا (73) وفي النص ما يؤكد قولنا ويدين **كعبا** بأنه ممن أسهموا في مؤامرة الاغتيال التي استهدفت أقوى شخصيات الخلافة الراشدة .

2 ـ من عثمان إلى علي و معاوية

بعد أن قتل **عمربن الخطاب** وصار الأمر من بعده **لعثمان بن عفان** ، اتجهت أنظار **(كعب)** إلى **(عثمان)** ، وأصبحت لديه مهمة أخرى ـ فيما يبدو ـ بعد تلك التحركات المريبة التي برزت بشكل واضح باشتراكه في التآمر على **الخليفة عمر** فبدا منحازا إلى **عثمان** بخاصة عندما اشتد نزاعه مع **أبي ذر** حول كنز الأموال ، فقد صار **كعب** إلى جانب **عثمان** يؤيده ، ويأتي له بما يدعم رأيه ضد **أبي ذر** مما اضطر **أبا ذر** إلى الهجوم عليه حيث ضربه على رأسه وشجه فغضب **عثمان** من ذلك غضبا شديدا (74)

كان **أبو ذر** يقول : " لا ينبغي لمن أدى الزكاة أن يقنع حتى يطعم الجائع ويعطي السائل ويبر الجسران " . أما **كعب الأحبار** فكان يرى بأن الأغنياء ليس عليهم إلا أداء الزكاة (75) وقال **عثمان** يوما

بحضور **أبي ذر وكعب الأحبار** : " أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضى ؟ فقال **كعب الأحبار** : " لا بأس بذلك فقام إليه **أبو ذر** يقول له : يا ابن اليهودية أتعلمنا ديننا ! " (76)

وفي إطار انحياز **كعب الأحبار لعثمان** نراه يحذير الناقمين عليه من قتله حين يقول : " لا تقتلوا **عثمان** فوالله لئن قتلتموه ليستحلن القتل ما بين **دروب الروم** إلى **صنعاء** ولتكونن فتن وضغائن"(77) وفي المقابل نجده يتحين الفرصة للوقيعة بين **عثمان ومعاوية** وهما أبناء عمومة ، فقد كان **معاوية** عامل **عثمان** على **دمشق** يترقب استدعاء **عثمان** لولاته الذين التقاهم في موسم الحج وتحدث إليهم وأشاروا عليه وسمعوا منه ، ثم هموا بالعودة إلى ولاياتهم ، ولما نفر **عثمان** أشخص **معاوية** إلى المدينة وعندما استقل **عثمان** رجز الحادي :

قدعلمت ضوامر المطي وضامرات عوج القسي
أن الأمير بعده علي وفي الزبير خلف رضي
وطلحة الحامي لها ولي

فقال **كعب** وهو يسير خلف **عثمان** : الأمير والله بعده صاحب البغلة وأشار إلى **معاوية** ، فسأله **معاوية** عن الذي بلغه قال : نعم أنت الأمير بعده ، ولكنها والله لا تصل إليك حتى تكذب بحديثي هذا . فوقعت في نفس **معاوية** (78)

لقد أثار قول **كعب** هذا في نفس **معاوية** شهوة السلطان

بشكل كبير ، ولا سيما أن الظروف التي كانت تمر بها المرحلة مشحونة بالسخط على **الخليفة عثمان** بفعل ممارسة ولاته على الأمصار الإسلامية ، وقد روي عن **معاوية** قوله : مازلت أطمع في الخلافة منذ قال رسول الله **(ص)** : " إن ملكت **يا معاوية** فأحسن" **(79)**

إذن كان **كعب** يلعب لعبة ماكرة ، فقد تبينت له الثغرة التي يمكن أن ينفذ منها إلى الفتنة وتشتت صفوف المسلمين بعد طول انتظار، وذلك بإثارة كوامن التنافس القديم بين البيتين **الهاشمي والأموي** في قريش وإذكاء العصبية التي نبذها الإسلام وحذر المسلمين منها ونهاهم عنها **(80)** كما يشير **علي فهمي خشيم** أن **كعب الأحبار** انحاز بعد مقتل **عمر** إلى **عثمان بن عفان** ، فلما قتل **عثمان** انضم إلى **معاوية بن أبي سفيان** المطالب بدم **عثمان** والمستولي على الخلافة من بعده ، وهو هنا مخالف لموقفه السابق من **آل عبدالمطلب** ومخالف **لابن سبأ** ، بيد أن القضية تفقد غرابتها اذاعلمنا خطة اليهود على مدى الأزمنة والعصور حتى وقتنا هذا ، في حرصهم على أن يكون لهم ممثل في فرق الصراع سياسيا كان أو أيديولوجيا ، وهذه الظاهرة لا تغيب عن عين المتفحص ، يلحظها في حضوراليهود حضورا إيجابيا في جميع الفلسفات بقدر يكبر أو يصغر تبعا للحاجة والظروف **(81)**

إن تقلب **كعب** على هذا النحو الذي عرفناه يجعلنا نجزم بأنه لم يكن صادقا في إسلامه وإنما كان غرضه من الدخول في الإسلام هو

إثارة الفتن بين صفوف المسلمين ، وبعث الفرقة بين ولاة أمورهم ، حتى تؤول أوضاعهم إلى ما آلت إليه بعد أن قتل **عثمان** ، بيد أنه من الواضح أن **معاوية** ـ الذي كان يطالب بدم **عثمان** ـ قد رحب ترحيبا كبيرا **بكعب الأحبار** ـ وهو الذي كان ضمن أنصار **عثمان** ومن المنادين بإمارة **معاوية** بدلا من **علي** ـ لأنه يرى أن في انضمامه إليه كسبا عظيما باجتذاب أحد كبار المثقفين ! وكان **معاوية** بدهائه المعروف يبحث عن الأنصار والمؤيدين من مختلف الطبقات ، فما بالك برجل صاحب **عمر بن الخطاب** واشتهر بعلم الأولين ومعرفة ما عند أهل الكتاب ؟ ولعل هذا ما جعله يستدعيه إلى **دمشق** ليقربه ويتخذ منه مستشارا في كثير من شؤونه ، ومن الجلى أن **كعبا** لم يبخل بمشورته النافعة **لمعاوية** (82) وهو ما جعل **معاوية** يقول : " **ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء إن كان عنده لعلم كالثمار ، وإن كنا فيه لمفرطين !**" (83)

وروي أن **كعبا** مضى إلى فرع من فروع **بني عبدالمطلب** ، وهو **المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب** ، فأخذ بيده وقال : " اشفع لي يوم القيامة ! " فانتزع **المغيرة** يده من يد **كعب** وقال : " وما أنا ؟ إنما أنا رجل من المسلمين " ، فأخذ **كعب** بيده فغمزها غمزا شديدا وقال : " ما من مؤمن من آل محمد إلا وله شفاعة يوم القيامة!" (84)

وذكر أن **كعبا** قام يسأل **عمر بن الخطاب** : " ما كان آخر ما

تكلم به رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ؟ " **فقال عمر** : " سـل عليـا " **قال** : " أين هو " **قـال** : " هـو هنـا " فسـأله **فقـال علـي** : " أسـندته إلـى صدري فوضع رأسـه علـى منكبـي وقـال : الصـلاة .. الصـلاة " **فقـال كعب**: " كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا ، وعليه يبعثون " **(85)**

ومن خلال ما سبق تتضح أمامنا ملاحم شخصية **كعب الأحبـار** المتقلب الأهواء فمن تمسكنه لدى بعض كبـار الصحابـة والتـودد لهـم ، إلى التقرب من **الخليفة عمر** ، ثم التآمر على قتله ، إلـى الانحيـاز إلـى **عثمان** ومؤزارته ضد **أبي ذر** وخصومه من المسلمين ، إلـى الانقـلاب عليه محاباة **لمعاوية** الذي كافأه بأن جعله من جلسائه ومـن جملـة كبـار مستشاريه ، وهو مع ذلك لم ينس الـنزاع القديـم بيـن **بنـي أميـة و بنـي هاشم** ، حيث حاول بعث ذلك التخاصم من جديـد حرصـا علـى تـأليب المسلمين على المسلمين .

هوامش الإحالات :

(1) محمود أبورية ؛ أضواء على السنة المحمدية (القاهرة: دار المعارف ط/5 "ب . ت") ص 138

(2) ابن كثير ؛ البداية والنهاية (بيروت:دار المعارف.ط.4/ 1982م) ج 8 ص 106

(3) الترمذي ؛ سنن الترمذي . تحقيق/ أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبدالباقي (القاهرة : مطبعة البابي الحلبي.ط .بلا/1937م) ج 2 ص 189

(4) عرف عام 18هـ بعام الرمادة وفيه حصل قحط عظيم بالمدينة والحجاز على عهد عمر بن الخطاب .

(5) محمود أبورية ؛ مرجع سابق . ص 128

(6) محمود أبورية ؛ مرجع سابق . ص 129

(7) الاصبهاني ؛ حلية الأولياء (بيروت:دار الكتاب العربي.ط 1987/5م)ج 6 ص 23

(8) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . تحقيق/ محمد أبوالفضل إبراهيم (بيروت : دار سويدان ط . بلا) ج 3 ص 611

(9) تبث أن عددمن الصحابة رجعوا إلى كعب في التفسير كلما استعصى عليهم فهم آية من القرآن ومن أشهر هؤلاء الصحابة عبدالله بن عباس الذي يعد من أبرز تلامذة كعب .

(10) محمد أحمد خلف الله ؛ الفن القصصي في القرآن(القاهرة: مجهول الناشر.ط.بلا "ب . ت") ص 165و166

(11) السيوطي ؛ الاتقان في علوم القرآن (بيروت : عالم الكتب.ط/بلا)ج2 ص 188

(12) علي فهمي خشيم ؛ الجذور التاريخية للغزو الفكري في صدر الإسلام . دراسة بمجلة الثقافة العربية العدد (السادس) السنة (التاسعة) يونيو 1982م.ص16

(13) سورة يوسف الآية (19)

(14) الثعلبي ؛ قصص الأنبياء (مكة : دار التعاون . ط/ ١ . 'ب . ت') ص 64

(15) سورة الكهف الآية (94)

(16) أمة من الناس وقد حيكت حولهم كثير من الخرافات والأساطير مما يمجه السمع ولا يقبله العقل السليم وقد ذكرهم الله تعالى في سورة الكهف وأن ذا القرنين بنى عليهم سدا كيلا يفسدوا في الأرض ويقال ان هذا السد هو جدار الصين بينما يقول أخرون : إن هذه الأمة لا تزال حبيسة حتى يأذن الله بخروجهم بقيام الساعة وأن الأبصار عميت عن رؤية هذا السد حتى يحل أجل فتحه (انظر: الإكليل .ج 1 ص 70)

(17) انظر ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار المعرفة. ط .بلا/ 1980م)ج3 ص 126

(18) سورة مريم الآية (56)

(19) ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم . ج 3 ص 126

(20) سورة النمل الآية (16)

(21) الورشان : طائر يشبه الحمامة والأنثى ورشانة وقيل إنه متولد بين الفاختة والحمامة وبعضهم يسميه الورشين وقيل هو من الحمام (انظر: لسان العرب 6/ 372 حياة الحيوان 2/ 394 الحيوان 3/ 146 الحيوان في الأدب العربي 1/ 332 قاموس الحيوان 507)

(22) الفاختة: واحدة الفواخت وهي ضرب من الحمام المطوق وقيل إن اسمها مشتق من الفخت الذي هو ظل القمر ويقال لها الصلصل (انظر: لسان العرب 2/ 65 حياة الحيوان 2/ 196 الحيوان 3/ 146 الحيوان في الأدب العربي 1/ 332 قاموس الحيوان 367)

(23) الشربيني ؛ السراج المنير (القاهرة : المطبعة الأميرية ط .بلا / 1294هـ) ج3 ص 43و44

(24) سورة المائدة الآية (114)

(25) انظر محمد أبوشهبة ؛ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (القاهرة : مكتبة السنة . ط . 4/ 1408هـ) ص 191

(26) على فهمي خشيم ؛ مرجع سابق . ص 16

(27) الذهبي ؛ تذكرة الحفاظ (بيروت : دار احياء التراث العربي . صححه عبدالرحمن بن عيسى ط/بلا 'ب . ت') ج 2 ص 34

(28) انظر ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر. ط/بلا'ب . ت')ج4ص57

(29) محمود أبو رية؛شيخ المضيرة أبوهريرة(القاهرة:دار المعارف.ط/3.ب.ت)ص102

(30) الحقة من الإبل هي ابنة ثلاث سنين ودخلت في الرابعة

(31) الجذعة الناقة التي بلغت الخامسة

(32) ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم . ج 4 ص 289

(33) ابن كثير ؛ تفسير القرآن العظيم . ج 3 ص 105

(34) صبحي الصالح ؛ علوم الحديث ومصطلحه(بيروت:دار العلم للملايين ط 1979/11م)ص 359

(35) ابن كثير ؛ البداية والنهاية . ج 8 ص 108

(36) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ج 9 ص 109

(37) ابن كثير ؛ البداية والنهاية . ج 8 ص 109

(38) الطبرى ؛ تاريخ الأمم والملوك ، ج 1 ص 8

(39) الثعلبي ؛ مصدر سابق . ص 235

(40) ابن كثير ؛ البداية والنهاية . ج 2 ص 63

(41) الثعلبي ؛ مصدر سابق . ص 98

(42) المصدر السابق . ص 206

(43) المصدر السابق . ص 209

(44) على فهمي خشيم ؛ مرجع سابق . ص 14

(45) ابن سعد ؛ مصدر سابق . ج 3 ص 354

(46) ابن سعد ، مصدر سابق . ج 3 ص 361

(47) على فهمي خشيم ؛ مرجع سابق . ص 15

(48) الطبرى ؛ تاريخ الأمم والملوك . ج 3 ص 611

(49) سورة البقرة الآية (144)

(50) علي فهمي خشيم ؛ مرجع سابق . ص14

(51) السيوطي ؛ تاريخ الخلفاء (القاهرة:مكتبة الثقافة الدينية ط/بلا "ب . ت") ص91

(52) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 191

(53) المسعودي ؛ مروج الذهب . تحقيق / محمد محي الدين عبدالحميد (القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى . ط . 4/ 1964م). ج2 ص 329

(54) اليعقوبي ؛ تاريخ اليعقوبي (بيروت:دار بيروت. ط/بلا 1970م) ج2 ص 160

(55) هو صاحب تستر من أعظم قواد الفرس وكان على ميمنة جيش رستم وزير ملك فارس في حرب القادسية ولما قتل رستم فر الهرمزان بمن بقى من جنده فما زال المسلمون يتابعونه حتى لجأ إلى مدينة تستر وتحصن بها فحاصروه أشد حصار حتى أنزلوه على حكم الفاروق وأتوا به إلى المدينة (سنة 17هـ)(انظر: محمود أبورية ، أضواء على السنة المحمدية . ص 126)

(56) اليعقوبي ؛ مصدر سابق . ج 2 ص 160

(57) اسمه فيروز وقد اشتهر بأبي لؤلؤة وهو غلام المغيرة بن شعبة وهو الذي استأذن فيه عمر لدخوله المدينة لإتقانه العديد من الحرف .

(58) المسعودي ؛ مصدر سابق . ج 2 ص 329

(59) الطبري ؛ تاريخ الأمم والملوك . ج 4 ص 191

(60) ابن سعد ؛ مصدر سابق . ج 3 ص 361

(61) علي فهمي خشيم ؛ مرجع سابق . ص 15

(62) محمد محمد أبوزهرة؛الحديث والمحدثون(القاهرة:المكتبة التوفيقية.ط/بلا " ب .ت") ص183

(63) من نصارى الأنبار أقدمه سعد بن أبي وقاص ليعلم أبناء المسلمين بالمدينة القراءة والكتابة، وقد عرف بجفينة الأنباري (انظر : عبدالوهاب النجار ؛ الخلفاء

الراشدون . دار الأرقم . تحقيق/ خليل الميسي . ص 173)

(64) محمد الصادق عرجون ؛ الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان (دمشق و بيروت: مكتبة الغزالي ط 1 / 1978م) ص 145

(65) الطبرى ؛ تاريخ الأمم والملوك ج 4 ص 191

(66) محمد الصادق عرجون ؛ مرجع سابق ص 148

(67) المرجع السابق . ص 148

(68) طه حسين ؛ الشيخان(القاهرة:دار المعارف ط/ 8 'ب . ت')ص235

(69) غازي محمد فريج ؛ النشاط السري اليهودي في الفكروالممارسة(بيروت: دار النفائس ط.1/.1990م). ص 93

(70) محمد الصادق عرجون ؛ مرجع سابق . ص 146

(71) محمد الصادق عرجون ؛ مرجع سابق ص 149

(72) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 202

(73) غازي محمد فريج ؛ مرجع سابق . ص 94

(74) علي الوردى؛مهزلة العقل البشرى(بغداد:مطبعة الرابطة.ط.بلا/1955م)ص295

(75) طه حسين ؛ الفتنة الكبرى . ج1 ص 164

(76) البلاذرى ؛ أنساب الأشراف . . تحقيق/ محمد حميدالله. (القاهرة: دار المعارف .ط .بلا/ 1959م) ج 5 ص 52و54

(77) المالقي ؛ التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان (بيروت: دار الثقافة ط ./ 1964م) تحقيق/ محمد يوسف زايد ص 178

(78) الطبرى ؛ تاريخ الأمم والملوك . ج 4 ص 343

(79) ابن عبد ربه ؛ العقد الفريد (بيروت : دار الفكر ، ط/بلا "ب . ت")ج5 ص106

(80) غازي محمد فريج ؛ مرجع سابق ص 97

(81) على فهمي خشيم ؛ مرجع سابق . ص 15

(82) على فهمي خشيم ؛ مرجع سابق . ص 16

(83) ابن سعد ؛ مصدر سابق . ج 2 ص 362

(84) المصدر السابق ؛ ج5 ص33

(85) المصدر السابق ؛ ج2 ص 362

الباب الثالث

عبدالله بن سبأ

الفصل الأول

ابن سبأ بين الحقيقة والأسطورة . ظهور ابن سبأ

(أ) ابن سبأ بين الحقيقة والأسطورة :

نالت شخصية **ابن سبأ (1)** قدرا كبيرا من اهتمام المؤرخين القدامى والباحثين المحدثين إلى المستشرقين ، من حيث كونها شخصية حقيقية واقعية أو خرافية أسطورية ، فهم في ذلك يختلفون بين جازم بحقيقتها ورافض لوجودها .

وثمة خلاف آخر في كون **ابن سبأ** هو نفسه **ابن سبأ صاحب السبئية** التي عرفت بأفكارها وآرائها السياسية والفكرية **أو أنه شخص آخر** ، ناهيك عن الخلاف القائم إزاء أصله ونسبه والأدوار التي لعبها في إحداث الفتنة بين صفوف المسلمين ، في **النصف الأول من القرن الأول الهجري .**

وقبل الشروع في عرض الخلافات الدائرة حول حقيقة وجوده، لابد لنا من أن نتعرف على ابن سبأ **فمن هو ابن سبأ ؟ وما حقيقة الخلط القائم بينه وبين الشخصية الأخرى ؟**

يذكر البلاذري (2) والأشعري (3) والذهبي (4) والمقريزي (5)

أن **ابن سبأ** هو **عبدالله بن وهب** ، وينسبه **الجاحظ** إلى أبيه **(حرب)** حين يورد خبرا بإسناده إلى **زحر بن قيس** فيقول " قدمت **المدائن** (6) بعد ما ضرب علي بن أبي طالب **(رحمه الله)** فلقيني **ابن السوداء** وهو **ابن حرب** " (7)

وينسبه **البلاذري والأشعري** إلى **همذان** حيث يقول **البلاذري** في نسبه " **عبدالله بن وهب الهمذاني** " (8) ويقول **الأشعري** "**عبدالله بن وهب الراسبي الهمذاني** " (9) و**همذان** من القبائل الكبيرة التي كان لها الشأن الكبير في عهد **ملوك سبأ** حيث علا نجمهم بعد أن اغتصبوا عرش سبأ من **السبئيين** (10)

وقد **خلط الأشعري** فيما رواه بشأن نسبه من أنه "**عبدالله بن وهب الراسبي**" (11) بينه وبين " **عبدالله بن وهب الراسبي** " صاحب الخوارج ، مع أن **الشخصيتين مختلفتان تماما** وهو ما أكده **السمعاني** بقوله "... **عبدالله بن وهب السبيء رئيس الخوارج وظني أن ابن وهب هذا منسوب إلى عبدالله بن سبأ** " (12) وكون **الراسبي** هذا من أصحاب **عبدالله بن سبأ** فهو احتمال وارد نستشفه من إشارة **السمعاني** السابقة (13)

وينسبه **ابن حزم** في كتابه **(الفصل في الملل والأهواء والنحل)** إلى **حمير** (14) و**حمير** كانت من القبائل المعروفة في العربية الجنوبية عند الميلاد ، ويذكر أن عاصمتهم كانت **ظفار** (15) ولم تكن علاقات

حمير بسبأ علاقات طيبة في الغالب ، بل يظهر أنها كانت نزاعا وخصومة في أكثر الأوقات **(16)**

وأيا كان **ابن سبأ** من **السبئيين** أو **الحميريين** أو **الهمذانيين** فإن أصله في النهاية **يمني** حيث روى **الطبري** أن **ابن سبأ** كان يهوديا من أهل **صنعاء (17)** .

أما عن مولده فلم يسعفنا أي مصدر من المصادر بذلك ، غير أننا نجد أن **وفاته** كانت نحو عام **(40هـ/660م) (18)** ومعنى هذا ، أن مولده كان قبيل البعثه النبوية أو بعدها بقليل ، ذلك أن نشاطه السياسي والفكري قد برز على مسرح الأحداث منذ **عهد عثمان** وهذا يعني قد بلغ حينذاك من العمر ما يؤهله للعب تلك الأدوار التي سنعرفها فيما بعد .

وعرف **ابن سبأ** بنسبته إلى **أمه الحبشية (19)** ولذلك فكثيرا ما يطلق عليه **ابن السوداء** حيث ورد في **(البيان والتبيين)** "... فلقيني **ابن السوداء** " **(20)** وجاء قول **الطبري** " ... ونزل **ابن السوداء** على **حكيم بن جبلة في البصرة** " **(21)** كما ذكر **الطبري** ـ أيضا ـ **أن أمه كانت سوداء (22)** وذهب **الذهبي** إلى نعته بذلك حيث يقول: ".. ولما خرج **ابن السوداء إلى مصر**" **(23)**

وفي **(المواعظ والاعتبار) للمقريزي** " **عبدالله بن وهب بن سبأ** المعروف **بابن السوداء** " **(24)** .

وابن السوداء كنية ذاعت شهرته بها ، كما عرف **بابن حرب وبابن وهب الهمذاني الحميري** (25)

ومن خلال هذه الإشارات يتضح لنا أن **ابن سبأ** غير **ابن وهب الراسبي** وأنه هو نفسه **ابن السوداء** ، وهو يهودي من **أهل صنعاء باليمن** . وقد خالف **ابن كثير** جملة من أرخ **لابن سبأ** في نسبته فهو عنده كان **ذميا** (26) وليس كما أجمع بقية المؤرخين على كونه يهوديا ، وأضاف **البغدادي** بأنه كان من **أهل الحيرة** (27)

وفي كل الأحوال فإن **الأصل اليهودي لم يكن محل خلاف بين أغلب الروايات التاريخية** ، وكتب الفرق وآراء المتقدمين من أمثال **الطبري وابن عساكر وابن الأثير وابن حزم** (28)

كما خلط **البغدادي** بين **ابن سبأ** وشخصية أخرى غيره(29)

بيد أن الوقائع والآراء التي يسندها إليهما قد اشتهرت عند **ابن سبأ كالوصية والرجعة وألوهية علي** حتى أن **الإسفراييني** قد حدا حدوه في ذلك (30)

ومرد هذا الخلط الذي وقع فيه **البغدادي** بين **ابن سبأ والشخصية الأخرى** ، راجع من **الشعبي** الذي نقل عنه فهو لم يكن يفرق بين **ابن السوداء (ابن سبأ)** و**ابن الأسود** الذي ذكره **سعد بن عبدالله القمي** كصاحب **لابن سبأ** حيث يقول : " السبئية أصحاب **عبدالله بن سبأ** ويذكر أن من مساعديه **عبدالله بن حرس وابن أسود**

وهو من أجل أصحابه " (31)

والواقع أن المصادر الأم التي تناولت **ابن سبأ** أو كما عرف واشتهر **ابن السوداء** لا تدع مجالا للخلط بين **ابن سبأ وابن أسود** ، ولذلك فإنني أتفق مع الدكتور **فتحي الزغبي (32)** في ترجيحه أنهما شخص واحد وللأسباب التي ذكرها من كون **الطبري** الذي تناوله في تاريخه أسبق من **البغدادى** فالأول توفي سنة **(310/ هـ)** والثاني كانت وفاته سنة **(429/ هـ)** ، ومن ناحية أخرى فإن ما نسبه **البغدادي** إلى الشخصيتين **ابن السوداء وابن أسود** ينبيء أنهما **شخص واحد** على أساس أن **الطبري** أشار إلى أن **أم عبدالله بن سبأ سوداء** ، فقد عرف واشتهر بها ، كما أن المصادر التي أتت بعد **الطبري والبغدادي** لم تذكر إلا شخصية واحدة هي **ابن سبأ** ، وأضافت إليه الآراء التي نسباها إلى **ابن السوداء** (33)

أما الخلاف الأكثر ظهورا لدى المؤرخين العرب والمستشرقين فهو ذلك الخلاف الكبير حول وجود **ابن سبأ** أصلا ، **فهل هو شخصية حقيقية كان لها وجود ؟ أو أنه مجرد أسطورة أي لا وجود له ؟ !**

يلاحظ أن منكري شخصية **ابن سبأ (ابن السوداء)** يرمون إلى نسف أخبار **السبئية** قطعا لما زعم من صلة بينها وبين التشيع، وردا على المؤرخين الذين يزعمون أن **أصل التشيع مأخوذ من اليهودية** ، وقد ركز هؤلاء المنكرون على تضعيف المصادر التي

جاءت بأخبار **السبئية** فكان اعتماد **العسكري** في إنكار شخصية **ابن سبأ** ووجوده انطلاقا من استنتاجه **أن** الرواة والمؤرخين الذين جاؤوا بأخباره كانوا نقلة عن **الطبري** الذي اعتمد بدوره رواية **سيف بن عمر التميمي (180هـ/ 1796م)** وأن هذا **التميمي** ليس بثقة في نقل الأخبار كما لوحظ أنه بدأ من مسلمات قبلية في ذهنه ثم حاول دعمها بالمصادر الكثيرة التي اعتمدها لإثبات وجهة نظره (34)

وقبل الاسترسال في سرد الخلافات التي دارت حول حقيقة وجود (**ابن السوداء**) ومناقشتها لابد من الإشارة إلى مسألة مهمة في ذلك وهي **صلة التشيع باليهودية والتي ترمي الآراء المنكرة لوجود (ابن السوداء) إلى نفيها بغية إبعاد التهمة عن اليهود في إثارتهم للفتن والنزاع بين صفوف المسلمين** ، كما سنلاحظ أن بعض هؤلاء المنكرين والمستشرقين منهم بخاصة كانوا من اليهود الذين يظهرون نزعتهم العرقية إزاء هذه المسألة ، وقد كان هدفهم من ذلك التشكيك أو الإنكار هو ادعاء أن الفتن إنما هي من عمل الصحابة أنفسهم ، **وأن** نسبتها إلى اليهود أو الزنادقة هو نوع من الدفاع عن الصحابة لجأ إليها الأخباريون والمؤرخون المسلمون ليعلقوا أخطاء هؤلاء الصحابة على عناصر أخرى (35)

إن اختلاف عصور المؤرخين القدامى وتباين مشارب أصحاب كتب الفرق لم يقدهم إلى التشكيك في حقيقة وجود **ابن سبأ** وإنما أكدوا

وجوده حقيقة فتحدثوا عن كنيته ونسبه وساقوا آراءه ونبهوا إلى خطورتها وأهدافها (36) أما المحدثون من الكتاب العرب وبعض المستشرقين كما أشرنا فشككوا في وجوده وعدوه أسطورة من الأساطير التي نسجت حولها الأحداث ونقلت عنها وحولها الآراء والأخبار ، كما أن بعض هؤلاء المحدثين قد ظهر التناقض واضحا في آرائهم التي تحمل الشك فيه تارة وتنفي شكها فيه تارة أخرى بإيراد بعض أدواره التي تعدها نموذجا من الثورات البكر في الفكر الإسلامي ، وسوف نتناول بعض هؤلاء الباحثين الذين شككوا في وجود **(ابن السوداء)** وظهر التناقض في آرائهم إزاءه ، بشيء من التفصيل .

يأتي الدكتور **طه حسين** في مقدمة الكتاب العرب المحدثين الذين عنوا بشخصية **(ابن السوداء)** من خلال حديثه عن الفتنة حيث يقول : " **إن ابن السوداء لم يكن إلا وهما ، وإن وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذي صوره المؤرخون وصوروا نشاطه أيام عثمان وفي العام الأول من خلافة علي ، وإنما هو شخص ادخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم ولم يدخروه للخوارج** " (37)

ورأي **طه حسين** هذا لم يقف في الواقع موقفا حاسما إزاء **(ابن السوداء)** ولا نستطيع من خلاله أن نقف على حقيقة **(ابن السوداء)** لديه ، وبالرجوع إلى ما كتبه في هذا الإطار نلمح مدى

التخبط الذي وقع فيه وذلك من خلال الفرضيات التي بنى عليها استنتاجه لهذا الرأي الذي وصل اليه ، فهو يستند إلى أن **البلاذري** لم يذكر (**ابن السوداء**) ولا أصحابه **السبئية** في أمر **عثمان** وهو عنده ليس (**ابن السوداء**) وإنما هو **عبدالله بن وهب الهمذاني (38)**

وهذا تناقض واضح لدى **طه حسين** ، كما أن **ابن سعد** لم يأت على ذكره في (**طبقاته**) التي عددها مع (**أنساب الأشراف**) **للبلاذري** أهم مصادر هذه القصة (39) حيث يذكر **طه حسين** في تناقض واضح مسبوقا بالظن " **أن عبدالله بن سبأ** هذا ـ إن كان ما يروى عنه صحيحا ـ إنما قال ما قال ودعا ما دعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف " (40) وينفي عنه التهمة في إثارته للفتنة فيقول : " فهو اشتعل الفتنة ولم يثرها " (41)

ويورد **طه حسين** أن أمر **السبئية** وصاحبهم (**ابن السوداء**) إنما كان متكلفا منحولا قد اخترع حين كان الجدل بين الشيعة وغيرهم من الفرق ، حيث أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصرا يهوديا إمعانا في الكيد لهم والنيل منهم ، ولو كان أمر(**ابن السوداء**) مستندا إلى أساس من الحق والتاريخ الصحيح ، لكان من الطبيعي أن يظهر أثره وكيده في الحرب المعقدة المعضلة التي كانت **بصفين** ، ولكان .من الطبيعي أن يظهر أثره حين اختلف أصحاب **علي** في أمر الحكومة (42)

إن قول **طه حسين** هذا وان **اشتم منه رائحة الدفاع عن اليهودية** ، فهو لا يقل عن ذلك مع تناقضه في أقوال أخرى ضمنها حديثه عن الفتنة ، وخلاصة ذلك أن **طه حسين** ظل حائرا في أمر **السبئية** حيرة لم يجد منها مخرجا ، فهو إذ يعد أمر **(ابن السوداء)** وهما في بعض مراحل بحثه فإنه في موقع آخر يخفف من إصراره على إنكار دور **(ابن السوداء)** (43) حين يقول " وأكبر الظن أن **عبدالله بن سبأ** هذا ـ إن كان ما يروى عنه صحيحا ـ إنما قال ما قال ودعا ما دعا اليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف " (44)

كما نخلص أيضا إلى **مسألة مهمة** في منهج **طه حسين** التاريخي الذي يحتاج إلى دراسة نقدية ، فهو في هذا المقام قد **عمد إلى نسف شخصية تاريخية حقيقية وواقعية وذات دور سياسي وفكرى خطيرين** مع أن المصادر التاريخية الهامة في هذا الصدد قد أثبتته وأكدت وجوده ، وعليه ومن حقنا كما قال **الدكتورعلي فهمي خشيم** في معرض حديثه عن **(الجذور التاريخية للغزو الفكري في صدر الإسلام)** " أن ننفي رأي **طه حسين** المغرم ـ فيما يبدو ـ بنفي وجود مسائل كثيرة في التاريخ العربي والإسلامي مما قد تؤدى ـ إذا سايرناه في منطقه ـ إلى إلغاء هذا التاريخ بكل شخصياته وأحداثه وآثاره " (45)

وقد سبق أن أشرنا في معرض تعليقنا على أحد آراء **طه**

حسين إلى اشتمام رائحة الدفاع عن اليهودية وهو الأمر الذي قال به وأكده كل من الأستاذ **محمود محمدشاكر والدكتور علي فهمي خشيم** فقد رأي الأستاذ **شاكر** أن " هدف **طه حسين** من إنكاره **لعبدالله بن سبأ** هو أن ينفي عن اليهود الشركة في دم **عثمان** " **(46)** كما ذهب الدكتور **خشيم** إلى القول بوجود " تأثير يهودي في **طه حسين** وتكوين جملة من آرائه وذلك من خلال المستشرق اليهودي **مارغليوث** **(margoliouth)** الذي يهمه وغيره من أبناء جنسه نفي وجود **ابن السوداء** واعتباره وهما " **(47)**

ويأتي الدكتور **علي الوردي** هو الآخر مشككا في حقيقة وجود **ابن سبأ** حيث يرى " أن حكاية **ابن سبأ** من أولها إلى آخرها كانت حكاية متقنة الحبك رائعة التصوير" **(48)** ومن ثم فهو **يتسآل عن وجود ابن سبأ في صفين وكيف غاب عن هذه المعركة وهو الذي كان يصول ويجول في الجمل** ؟ وأن المؤرخين لم يستطيعوا الإجابة على هذا السؤال المحير ! فيجيب هو " **بأن ابن سبأ لم يكن له وجود حقيقي حتى يختفي وأنه لم يكن إلا وهما** " **(49)** وهو مع ذلك يرى أن الأعمال العظيمة ـ حسب تعبيره ـ والتي تنسب إلى **عبدالله بن سبأ** لايمكن أن يقوم بها إلا عبقري أو ساحر أو منوم مغناطيسي من طراز فذ،فهولا بد أن يكون ذا عيون مغناطيسية تكسر الصخور أوذا قوة نفسية خارقة تجعل الناس أمامه كالغنم يتأثرون بأقواله من حيث لا

يشعرون (50)

ويواصل **الوردي** إنكاره **لابن سبأ** مفترضا أنه لو كان ظهر في أيام **عثمان** مثل هذا الرجل لوصل إلينا وصفه على وجه من الوجوه ، إلا أن المؤرخين المتأخرين اعتمدوا في حكايته على رواية **سيف بن عمر** وأخذوا يزوقون فيها ويستفيدون منها لأغراضهم المذهبية المتنوعة (51)

ويعقد **الوردي** موازنة بين **ابن سبأ** وبين الصحابي **عمار بن ياسر** مفترضا أن أحد الرواة ربما سمع قريشا تلهج بدم **ابن السوداء** وتشتمه فظن أنها تعني شخصا آخر غير **عمار بن ياسر** ، ولذالك فهو يرى أن **ابن سبأ** لم يكن سوى **عمار بن ياسر** (52)

ونفس هذا الظن كان يقول به الدكتور **علي سامي النشار** حيث يرى أن " من المحتمل أن تكون شخصية **عبدالله بن سبأ** شخصية موضوعة أو أنها رمزت إلى شخصية **ابن ياسر** " (53)

وفي كل الأحوال فإن هذه الآراء التي قال بها **الوردي** لا تعدو أن تكون مجرد ظنون وتخيلات كما توحي عباراته (54) وهذه بعضها : " **ارجح الظن** " (55) و " **يخيل إلي** " (56) و "**ولعل وربما والأحرى** " (57)

والغريب كما يقول **سليمان العودة** في كتابه (**عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام**) أن مجرد هذه الظنون

وتلك الإفتراضات عند **الوردي** تعرض لها الدكتور **كامل الشيبي** حيث قال : " إنها أدلة مقنعة ومنطقية " **(58)**

وهذا الرأي الذي خلص إليه **الوردي** وتابعه فيه **الشيبي** ترده كتب الجرح والتعديل وكتب الرجال الموثوقة عند الشيعة فهي تذكر **عمار بن ياسر** ضمن أصحاب **علي** والرواة عنه وهو أحد الأركان الأربعة عندهم ثم هي تذكر في موضع آخر ترجمة **عبدالله بن سبأ** في معرض السب واللعنة فهل يمكن اعتبار الرجلين شخصية واحدة **(59)**

ويرد الدكتور **عمار الطالبي** على من زعم أن **ابن سبأ** هو **عمار بن ياسر** مشيرا إلى **أن** " الوقائع التاريخية لا تسمح لنا بذلك إذ أن **عثمان** لما هاجت الفتنة وعظم شأن **السبئية** في **مصر** أرسل ضمن من أرسل **عمار** إلى **مصر** ليستطلع الخبر وإذن فهما شخصان أحدهما في **مصر** والآخر في **المدينة** " **(60)** ويشير إلى أن " الظروف التاريخية إذا كانت لاتسمح لنا باصدار هذا القول فكذلك الظروف النفسية لا تسمح لنا هي الأخرى بذلك إذ يلزم من ذلك أن يكون **عمار ابن ياسر** هو الذي أشاع فكرة **الوصية والرجعة والمهدية والزندقة** مما لا يستطيع أي مؤرخ أن ينسبه إلى **عمار** الصحابي الجليل " **(61)**

ويوافق **عبدالله الفياض** ما رآه **الوردي** وتابعه **الشيبي** إذ يقول : " يبدو أن **ابن سبأ** كان شخصية إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة وأن دوره ـ إن كان له دور ـ قد بولغ فيه إلى درجة كبيرة لأسباب

دينية وسياسية " (62)

ومن الكتاب المحدثين أيضا الذين أنكروا وجود **ابن السوداء** وعدوه مجرد وهم صنعه الخيال ونسج حوله الأحداث **مرتضى العسكرى** الذي خص **ابن السوداء** بكتاب بحث فيه ما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن **ابن سبأ** وذلك من خلال نقده رواية **سيف بن عمر التميمي** ، الذي رويت عنه هذه القصة حتى ندر أن يكتب في العصور الأخيرة كاتب عن تاريخ الصحابة ولا يذكر هذه القصة (63)

انطلق **العسكرى** في بحثه الذي أراد مسبقا من خلاله **إنكار شخصية ابن السوداء** من عدة تساؤلات (**من هو ابن سبأ ؟ ومن هم السبأيون ؟ وما هي دعواه ؟ وما هو أهم أعماله ؟**) ثم حاول أن يناقش كل تلك الروايات التي أتت على ذكر **ابن السوداء** من خلال مصنفات التاريخ وينقدها بطريقته ومنهجه الذي كان قد رسمه منذ البداية لنسف هذه الشخصية ، وقد كان أساس هذا النفي لديه هو الطعن في رواية **سيف بن عمر التميمي** واتهامه بالكذب غير أنه علق الإجابة عن تهمته بالزندقة بمناقشة كتابه الآخر (**الجمل ومسيرة علي وعائشة**)(64) ، وكذلك تضعيفه **لرواية سيف** التي لا يعتد بها بعض المحدثين ولا أعتقد أن هذا يلزم أن ننسف **رواية سيف** ونجعلها ضربا من الخيال والأساطير ، فتضعيف المحدثين وعلماء الجرح والتعديل لا

يستلزم رفض كل ما يرويه الرواة من أخبار وأحداث ثبت بالمقارنة صحتها وأنها وقعت بالفعل .

ويرى **يوسف العش** في كتابه **(الدولة الأموية)** أن تهمة **سيف التميمي** بالزندقة لا تثبت امام موقفه من رجال السلف واحترامه للصحابة وتبرئتهم من **فتنة عثمان** ، ثم يرى أن روايته أقرب إلى الصدق من سواها ويضمها إلى الروايات الصحيحة ، لأن المنهج التاريخي يقبلها لكونها لا تخالف ما صح من الأخبار ، وفي الوقت نفسه تكشف الأيدى الخفية التي كانت تحرك الفتنة وتخطط لها **(65)** كما يلاحظ أن **سيفا** قد أخذ عن اشخاص عاشوا في **(أواخر القرن الهجرى الأول)** الذين كانوا بدورهم على اتصال بأشخاص لهم صلة مباشرة بحوادث الفتنة وأبعادها إلى جانب ذلك فإن **قبيلة سيف (تميم)** وزعيمها **الأحنف بن قيس** كانوا قد اعتزلوا الفريقين المتنازعين فكانوا بذلك أكثر تجردا وأصدق رواية لكونهم لم ينغمسوا في تلك الأحداث فتهيأ لهم بذلك الاتصال بجميع الأطراف المتخاصمة ، ويخلص **العش** إلى القول " فلا عجب بعد ذلك أن يكون **سيف** قد اطلع على حوادث الفتنة بالتفصيل والصحة من قبيلته وأهله " **(66)**

كما ينساق الدكتور **محمد عمارة** وراء المنكرين لوجود **ابن سبأ** حيث يقول: " وتنسب مصادر التاريخ والفكر الإسلامي إلى **ابن السوداء** هذا نشاطا عظيما وجهدا خرافيا " **(67)** وهو يقول كذلك " فإن

وجود **ابن سبأ** على فرض التسليم بوجوده " **(68)** كما يقول أيضا " فدعوى **عبدالله بن سبأ** على فرض وجوده ووقوعها " **(69)** وفي كل نصوص **عمارة** هذه تصريح علني بإنكاره لوجود **ابن سبأ** وحقيقة دوره التخريبي .

ومن بين المستشرقين الذين تناولوا مسألة **ابن سبأ** وهم بين مثبت ومشكك ومتناقض ، المستشرق اليهودي **برنارد لويس** (**Lewis , Bernard**) الذي ذهب إلى إنكار حقيقة وجود **(ابن السوداء)** وأنه من صنع خيال محدثي **القرن الثاني الهجري** إذ يقول " وينسب كثير من المؤرخين المسلمين بدايات التشيع الثوري إلى رجل اسمه **(عبدالله بن سبأ)** وهو يهودي يماني عاصر **عليا** ، وكان يدعو إلى تأليهه فأمر بحرقه لما دعا اليه ، ولكن التحقيق الحديث قد أظهر أن هذا استباق للحوادث وأنه صورة مثل بها الماضي وتخيلها محدثو **القرن الثانى الهجرى** من أحوالهم وأفكارهم السائدة حينئذ " **(70)**

أما التناقض الذي يتبين لنا من خلال آراء **برنارد لويس** (**Lewis , Bernard**) فيظهرفي استناده للآراء التي حملها أترابه من المستشرقين أمثال **فلهاوزن** (**well hausen**) **وفريبد لندر وكايتانى**(**Caetani , Leone**) إذ يقول في كتابه **(أصول الإسماعلية)** " وأظهر **فلهاوزن** (**well hausen**) **وفريبد لندر**(**Friedlaender**) بعد دراسة المصادر دراسة نقدية بأن المؤامرة والدعوة المنسوبتين إلى **ابن سبأ** من اختلاق المتأخرين ،

وبين **كايتاني** أيضا أن مؤامرة بهذا التفكير وهذا التنظيم لا يمكن تصورها في العالم العربي المعروف عام (**35هـ**) بنظامة القبلي القائم على سلطان الأبوة ، وأوضح أنها تعكس أحوال العصر العباسي بجلاء"(71)

ويلاحظ أن **فلهاوزن** (**well hausen**) ذكر أن **السبئية** تنسب إلى **عبدالله بن سبأ** وذكر أنه يمني ومن **صنعاء** ونقل أنه كان يهوديا واستنتج من ذلك **الأصل اليهودي لفرقة السبئية** (72) وعلى هذا الأساس فإن **برنارد لويس** قد اخطأ في نقل آراء **فرييد لندر**(**Friedlaender**) **وفلهاوزن**(**well hausen**) واستخلاص نتائجهما (73) وقد نقل الدكتور **عبدالرحمن بدوي** في كتابه (**مذاهب الإسلاميين**) آراء **فرييد لندر** (**Friedlaender**) و **كايتاني** وغيرهما بشيء من التفصيل وهو يرى أن **فرييد لندر**(**Friedlaender**) انتهى إلى القول بأن دور **ابن سبأ** الرئيسي لم يكن في **تأليه علي** بل في إنكار موته كما أن **كايتاني** (**Caetani , Leone**) أنكر جملة دور **ابن سبأ** العقائدي وقصره على الدور السياسي الخالص الذي قام به في تأييد **علي بن أبي طالب** والدعوة إلى خلافته والاشتراك في الحروب ضد خصومه ، كما نقل زعم (**ليفي ديلافيدا**) أنه لم يكن يهوديا لكنه لم يأت بدليل مقنع على رأيه هذا الذي يتعارض مع كل المصادر (74)

ومن خلال هذا نلاحظ أن آراء هؤلاء المستشرقين تجمع في

تناقض واضح بين إثبات وانكار لوجود شخصية **ابن سبأ** من ناحية ، وتؤكد على الدور الذي لعبه في إحداث الفتنة والنزاع بين صفوف المسلمين من ناحية أخرى .

وقد علق الدكتور **عبدالرحمن بدوى** على ذلك بقوله " إن هؤلاء لم ينكروا وجود **ابن سبأ** وأيضا لم ينكروا دوره عموما وإنما أنكر **فريد لندر** (Friedlaender) قوله بتأليه **علي** ورأى أن دوره الرئيسى في القول بالرجعة ، وأنكر **كايتانى** (Caetani , Leone) الدور العقائدي ولكنه أثبت دوره السياسي ، وأما الثالث فلم ينكر إلا يهوديته فقط دون أن يدلل على مخالفته إجماع المصادر " (75)

وهناك من المستشرقين من سجل اعترافه صراحة بوجود **ابن سبأ** حقيقة ، وكذلك بالدور الذي لعبه ، ودون أي تردد ، ومن بينهم **نيكلسون** (nicholsn) الذي ذهب إلى القول بأنه أسس طائفة **السبئية** وكان ينتقل من مكان لآخر ليغوي المسلمين ويوردهم مورد الضلال والخطأ (76) ، والمستشرق **رونلدسن** (ronegdson) الذي أشار إلى أن **ابن السوداء** ظهر منذ زمن خلافة **عثمان** داعية متنقل اسمه **عبدالله بن سبأ** قطع البلاد الإسلامية طولا وعرضا يريد إفساد المسلمين (77)، **وفان فلوتن** (van vloten) الذي رأي أن **السبئية** هم أنصار **عبدالله بن سبأ** الذي كان يرى أحقية **علي** بالخلافة منذ أيام **عثمان** وأن أتباعه كانوا يعتقدون أن جزءا إلهيا تجسد في **علي** وانتقل في خلفائه الأئمة

من بعده " (78)

وأرى أنه من دواعي البحث والتحقيق في شخصية **ابن سبأ** بعد أن استعرضنا الجدل الذي دار حول نفيه والنظر إليه كأسطورة لا وجود له بالأساس وذكرنا الوهم والخلط الذي وقع فيه **طه حسين** وعدد من المستشرقين ، أن نشير إلى عدد من الآراء التي جزمت بحقيقة وجوده وأظهرت مدى الخطر الذي أحدثه في إشاعة الفتنة بين صفوف المسلمين ، وقد جاءت هذه الآراء على شكل ردودا على القائلين بأنه مجرد أسطورة اختلقت من **سيف** وسايره فيها عدد من المؤرخين .

فمن المؤرخين العرب القدامى نرى أن **الطبري** يشير إليه بقوله: " كان **عبدالله بن سبأ** يهوديا من أهل **صنعاء** أسلم زمان **عثمان** " (79) وهذا اعتراف بوجود شخصية **ابن سبأ** حقيقة لا وهما ، **وابن كثير** في **(البداية والنهاية)** يعترف بوجوده وإن كان قد شذ عن الروايات جميعها فجعله **ذميا** (80)

ويذكر **فتحي الزغبي** في **(غلاة الشيعة)** " **أن الطبري** هو المصدر الأول الذي عرض حياة **ابن سبأ** بالتفصيل ، وقد نقلها عن **سيف بن عمر** ، فكل من أراد أن ينكر دور **ابن سبأ** ، عمد إلى التشكيك في رواية **سيف** هذا اعتمادا على تجريح **الذهبي** له في رواية الحديث " (81)

ورواية **الطبري** التي أشار إليها **الزغبي** عن **ابن سبأ** لم تكن

في الحقيقة وحسب التسلسل التاريخي ، هي أول رواية تشير إلى **ابن سبأ** ، **فالطبري** الذي توفي سنة (**310هـ/ 922م**) سبق برواية النسابة **ابن حبيب الهاشمي البغدادي** المتوفي سنة (**245هـ/ 859م**) التي جاءت في كتابه (**المحبر**) من أن "**عبدالله بن سبأ** ، هو صاحب **السبئية** " (82) وهذا القول يخالف الاعتقاد الذي ذهب إليه **جواد علي** أيضا من كون **رواية الجاحظ** هي أقدم ما وصل إلينا عن (**ابن السوداء**) (83) ومن المعلوم أن **الجاحظ** قد توفي سنة (**255هـ/668م**) ومن ثم لو صح ما زعم **جواد علي** فإنه بذلك أسبق من **الطبري** .

وهذا **الأشعري القمي** ـ أحد علماء الشيعة ـ المتوفي سنة (**301هـ/ 913م**) يأتي على خبره فيقول : " وكان أول من أظهر الطعن على **أبي بكر وعمر وعثمان** والصحابة وتبرأ منهم وادعى أن **عليا** أمره بذلك " (84). **والناشيء الأكبر** المتوفي سنة (**293هـ/906م**) في (**مسائل الإمامة**) يتحدث عن الفرق الإسلامية فيقول : " وفرقة زعموا أن **عليا** لم يمت وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ، وهؤلاء هم **السبئية** أصحاب **عبدالله بن سبأ** " (85)

أما **التنوخي الشيعي** أيضا المتوفي سنة (**310هـ/ 922م**) فيصف **ابن سبأ** " بأنه أول من بدأ الغلو في الأئمة العلويين " (86) كما نجد إشارات أخرى عديدة عند القدامى لوجود **ابن سبأ** وعرض أدواره وألاعيبه الخطيرة (87)

ومن العرب المحدثين تبرز عدة آراء لإثبات حقيقة ابن سبأ ، ومن بينها رأي الدكتور **محمد جابر عبدالعال** الذي يشير في كتابه **(حركات الشيعة المتطرفين)** إلى وجود **ابن سبأ** ويؤكد حقيقة المؤامرة التي دبرها ، وأنها كانت تستهدف بث بذور الفتنة بين المسلمين **(88)**

أما الأستاذ **سعد محمد حسن** فقد توصل إلى أن البحث العلمي حذا بالعلماء أخيرا إلى الاعتراف **بابن سبأ** كشخص له وجود تاريخي وكيان حقيقي **(89)** وفي **(النشرة العلمية الزيتونية للشريعة وأصول الدين)** يؤكد الدكتور **علي الشابي** بأن " من يستقرىء المصادر يجد أن شخصية **ابن سبأ** شخصية حقيقية عرفها التاريخ وعرف لها مرونتها وقدرتها على التأثير " **(90)**

وهذه الاعترافات الحديثة التي تؤكد وجود شخصية **ابن سبأ** الحقة جاءت بشكل أو بآخر للرد على منكري الشخصية مستندة إلى المصادر والحقائق التاريخية التي أشارت إلى وجود **ابن سبأ** بعد قراءة عميقة وواعية لمقتضيات الرواية التاريخية ورواتها **(91)** ومن خلال هذه الآراء التي سقناها ، سواء تلك التي خلطت بين **ابن سبأ** وغيره أو تلك التي تناقض في آرائها بين الإعتراف به أو إنكاره وحتى تلك التي جزمت بنفيه اطلاقا والتشكيك فيه ، **نخلص إلى القول بأن شخصية ابن سبأ شخصية واقعية كان لها دورها البارز والخطير في الفتنة وقد أحدثت أمورا في غاية الخطورة لم تكن تعرفها العرب**

في تلك المرحلة بل هى دسيسة يهودية كانت تهدف إلى بعث الفرقة والنزاع بين صفوف المسلمين الذين كانوا صفا واحدا وقوة لها أهميتها وخطرها على كيانهم ، وأن محاولة التشكيك في وجود هذه الشخصية لم تكن مستندة على أسس علمية يمكن أن تقبل ، وأن التشكيك في وجود هذه الشخصية قد يضطرنا إلى التشكيك في كثير من الشخصيات البارزة والمهمة ليس في التاريخ العربي فحسب بل وفي التاريخ الانسانى بعامة .

كما أنني لا أستبعد أن يكون المشككين في وجود ابن سبأ من غير اليهود ليسوا إلا أصحاب نزعة يهودية ، فكون المصادر ذكرت أن ابن سبأ يهودي ، فهو يعني أن حركة السبئية هي ذات أصل يهودي ، وأن المشككين أرادوا بنفي ابن سبأ والتشكيك فيه تبرئة اليهود من أمر الفتنة التي أحدثها ابن سبأ ، ومما يؤسف له أن بعضا من هؤلاء المشككين كانوا من العرب الذين نسوا أن اليهود أعداء قدامى للعرب ، وأن دسائسهم في التاريخ العربي على مر العصور كانت واضحة وبارزة وعلى مختلف الوجوه .

(ب) ظهور ابن سبأ :

يورد الطبري في أحداث سنة (35هـ) أن ابن سبأ كان يهوديا من أهل صنعاء ، وأنه أسلم زمن عثمان وأخذ ينتقل في بلدان

المسلمين من قطر لآخر محاولا ضلالتهم ، فابتدأ **بالحجاز** ثم **البصرة فالكوفة** ثم **الشام** ، فلم يقدر على شيء فيها ، فأتى **مصر** واستقر بها وطابت له أجواؤها (92)

وفي **(البداية والنهاية)** يورده **ابن كثير** في أحداث سنة **(34هـ)**، وأنه كان سبب تألب الأحزاب على **عثمان** (93)، ثم يورده في أحداث سنة **(35هـ)** مع الذين قدموا من **مصر** يدعون الناس إلى قتال **عثمان**(94)

ويشير **ابن عساكر** إلى أن **ابن سبأ** ظهر بين المسلمين وأسلم زمن **عثمان** وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ، ومن بين تلك الأقطار **دمشق** ، ولكن دون أن يحدد سنة بعينها (95) وفي **الطبري** أيضا إشارة إلى أن **ابن سبأ** في سنة **(30هـ)** ورد إلى **الشام** والتقى **بأبي ذر** وحرضه على **معاوية** (96)

ويتنقل **ابن سبأ** بين الأمصار الإسلامية مكونا جماعاته للتحريض على **عثمان** والنيل من بنيان الدولة الإسلامية حيث " بدأ **بالحجاز**، ثم **البصرة** ، ثم **الكوفة** ، ثم **الشام** ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل **الشام** ، فأخرجوه حتى أتى **مصر** " (97)

ففي **الحجاز** لا تكاد تطلعنا الروايات التاريخية على مزيد من التفصيل ، ولعل في هذا دلالة على عدم استقرار **ابن سبأ** في الحجاز ، عدا ذلك المرور في طريقه فخرج ، ولكنه كما يبدو لم يستطع شيئا من

ذلك فتجاوز **الحجاز** إلى **البصرة** (98)

ويورد **الطبري** أنه نزل على **حكيم بن جبلة العبدي** بالبصرة ، واجتمع إليه فيها نفر فطرح لهم ولم يصرح ، فقبلوا منه واستعظموه(99) وذكر أن **عبدالله بن عامر** والي **البصرة** دعاه وحاوره قائلا : " ما أنت ؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب ، رغب في الإسلام والجوار ، فقال **ابن عامر** : ما يبلغني ذلك ! اخرج عني ، فخرج حتى أتى **الكوفة** " (100)

وفي **الكوفة** لم يمكث طويلا حتى أخرجه أهلها منها إلا أن صلته بها لم تنته بإخراجه ، فلقد بقيت بعض جماعاته على صلة به يكاتبونه ويكاتبهم .

ويذكر أن **ابن سبأ** عندما حل **بالشام** سنة (30هـ) لقي **أبا ذر** ، وهو الذي حرضه على **معاوية** حينما قال له : " ألا تعجب إلى **معاوية**، يقول : المال مال الله ! ألا إن كل شيء لله كأنه يريد أن يحتجبه دون المسلمين " فأنكر عليه **معاوية** ذلك (101)

وفي **مصر** اختار **ابن سبأ** النهج الذي يساعده على الظهور ، وقبل هذا اختار العصبة التي ينزل عليها حتى يأمن العثور ، فلقد اعتمد على بعض أبناء وجهاء القبائل اليمنية النازلة **بمصر** ، أمثال **الغافقي بن حرب العكي** ، **و سودان بن حمران السكوني** (102) كما اتخذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منهجا له ووسيلة من أجل التستر

لإنجاز مهمته ، فقد أورد **الطبري** أن **ابن سبأ** توجه إلى أتباعه بأن يتخذوا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حجة ووسيلة لهم لبث دعواهم " وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس " (103)

ونخلص من كل هذا إلى أن **ابن سبأ** قوبل في بداية الأمر بشيء من الرفض ، إلا أن الوسيلة التي اتخذ منها طريقاً للتوغل في النفوس ، استمالت طائفة من الذين كانوا يتململون من الوضع الذي آلت إليه أمور حكم **الخليفة عثمان** ، وعلى الأخص من تلك الممارسات التي كان يمارسها ولاته على تلك الأمصار التي تنقل إليها **ابن سبأ** ضمن جولته التحريضية ضد **عثمان** ، ولكن مع كل تلك المواجهة فقد استطاع " بذكائه وصدق فراسته وعمق دراسته للناس وفهمه الجيد لأمزجتهم ونفوسهم " (104) أن ينجح في بث دعواه ونشرها في مختلف الأمصار الإسلامية ، وهي ما عرف في تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية بالسبئية . **فماهي السبئية ؟**

السبئية (بالفتح وتخفيف الباء الموحدة) من غلاة الشيعة ، وأول فرقة ظهرت من فرقهم ، وهم أتباع **عبدالله بن سبأ** المتوفي سنة (40هـ/ 660م) (105)

ولفظ **السبئية** جاء على لسان **أعشى همذان** المتوفي عام (83هـ/ 702م) عندما هجا **المختار** وأنصاره من أهل **الكوفة** بعد

فراره مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله :

شهدت عليكم أنكم سبئية   وأني بكم يا شرطة الكفر عارف(106)

ووردت السبئية على لسان الفرزدق أيضا المتوفي عام (116هـ/ 734م) وهو يهجو أشراف العراق ومن انضم إلى ثورة ابن الأشعث في معركة دير الجماجم (107) واصفا إياهم بالسبئية حيث يقول :

كأن على دير الجماجم منهم   حصائد أو أعجاز نخل تقعرا

تعرف همذانية سبئية   وتكره عينيها على ما تنكرا

رأته مع القتلى وغير بعلها   عليها تراب في دم قد تعفرا

أراحوه من رأس وعينين كانتا   بعيدين طرفا بالخيانة أحزرا

من الناكثين العهد من سبئية   واما زبيري من الذئب أغدرا

ولو أنهم إذ نافقوا كان منهم   يهوديهم كانوا بذلك أعذرا (108)

ويمكن الاستنتاج من هذا النص أن السبئية تعني فئة لها هوية سياسية معينة ومذهب عقائدي محدد بانتمائها إلى عبدالله بن سبأ الهمذاني اليهودي ، صاحب المذهب المعروف (109)

وقد ورد ذكر السبئية في كثير من كتب الفرق والمذاهب الإسلامية ؛ ففي (الملل والنحل) يصفها الشهرستاني " بالسبابية ، وهم أصحاب عبدالله بن سبأ ، الذي قال لعلي أنت أنت ، يعنى أنت الإله"(110)

ويرى الملطي أن " السبئية أربع فرق وكلها عرفت بالغلو في

علي بن أبي طالب ، **الأولى** ، هي التي خاطبت **عليا** بقولها أنت أنت قال ومن أنا ؟ قالت الخالق الباريء . **الثانية** ، يقولون إن **عليا** لم يمت وأنه في السحاب ، وإذا نشأت سحابة بيضاء صافية منيرة ،مبرقة مرعدة ، قاموا إليها يبتهلون ويتضرعون ويقولون قد مر **علي** بنا في السحاب ، **الثالثة** ، هم الذين يقولون إن **عليا** قد مات ، ولكن يبعث قبل يوم القيامة ويبعث معه أهل القبور حتى يقاتل الدجال ، ويقيم العدل والقسط في العباد والبلاد ، وهؤلاء لا يقولون إن **عليا** هو الله ، ولكن يقولون بالرجعة **الرابعة** : يقولون بإمامة **محمد بن علي** ويقولون هو في جبال **رضوى** **(111)** حي لم يمت ويحرسه على باب الغار الذي هو فيه تنين **(112)** وأسد ، وأنه صاحب الزمان ، يخرج ويقتل الدجال ، ويهدى الناس من الضلالة ، ويصلح الأرض بعد فسادها " **(113)**

وعندما يعدد **الملطي** السبئية **بأربع فرق** فهو إنما يدخلها ضمن فرق أهل الضلال الرافضة التي يعدها **(ثماني عشرة)** فرقة يتلقبون بالإمامية وقد عدد بعد الفرقة السبئية الرابعة **(أربعة عشرة فرقة)** هي :

" **القرامطة (114) وأصحاب التناسخ (115) والحيلولة (116)** وهما : فرقتان ، **والجارودية (117) والمختارية (118) والسمعانية (119) والهاشمية(120)والإسماعلية(121)وأهل قم(122)والجعفرية(123) والقطعية العظمى(124)والقطعية القصرى(125)والزيدية(126)** "

ومن خلال سرد هذه الفرق حسب رواية **الملطي** ، نلاحظ أن

ثمة اسماء أخرى عرفت بها بعضها ، كما نلاحظ أن **الملطي** وحده هو الذي جرى على إدراجها بهذا النمط . وإذا كان مؤرخو الفرق قد عدوا الإمامية **(اثنتا عشرة)** فرقة ، فقد انفرد **الملطي** بعدها بـ**(ثماني عشرة)**

والسبئية هى احدى **فرق الشيعة** التي ظهرت على مسرح الوجود بعد مبايعة **علي** بالخلافة ولم يختلف أحد من المؤرخين ودارسي الفرق الإسلامية على زعامة **عبدالله بن سبأ** لها **(127)**

ولقد كان الغلو في **علي بن أبي طالب** هو أساس **السبئية** وعمادها ، الذي انطلقت من خلاله ووسعت دائرتها وانتشرت فيما بعد بمختلف أصقاع العالم الإسلامي حتى بلغت **الأندلس** في منتصف القرن **(الخامس الهجرى) (128)**

ويقول **البغدادي** : في **(الفرق بين الفرق)** " **إن ابن سبأ** صاحب **السبئية** غلا في **علي** وزعم أنه كان نبيا ثم غلا حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوما من عوام **الكوفة** ورفع خبرهم إلى **علي** فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين حتى قال بعض الشعراء في ذلك :

لترم بى الحوادث حيث شاءت ... إذا لم ترم بي في الحفرتين

ثم إن **عليا** خاف من إحراق الباقين منهم شماتة **أهل الشام** ، وخاف اختلاف أصحابه عليه ، فنفي **ابن سبأ** إلى سباط **المدائن** ، فلما قتل **علي** زعم **ابن سبأ** أن المقتول **لم يكن عليا وإنما كان شيطانا** تصور للناس في صورة **علي** ، وأن **عليا** صعد إلى السماء كما صعد

عيسى بن مريم " (129)

ويعلق الدكتور **علي فهمي خشيم** على إحراق **علي** لبعض من قوم **ابن سبأ** بقوله : " وإذا كان من الممكن استبعاد إحراق **علي** لأتباع **ابن سبأ** بالنار كما يرويها **ابن حزم** المعادى للشيعة جدا ، فإن من المرجح نفي **علي ابن سبأ** إلى **المدائن** ليس لمواجهته بتأليهه مما لم تكن الجرأة - فيما نرى - لتواتيه للجهر به أمامه ، ولكن ربما لانتشار الفكرة ذاتها أو ما قاربها " (130)

ومهما تكن من أسباب فإن الحرق بالنار من جانب **علي بن أبي طالب** لهؤلاء القوم مسألة إن صحت فهي ليست بالمسألة التي يمكن أن تمر دون مناقشة ، إذ ليس العقاب بهذه الصورة من عادات العرب المسلمين ، ولم نجد في نصوص القرآن ولا في الحديث عن أي عقاب لأي جريمة بهذا الشكل ، ولا يمكن أن نتصور أن **عليا بن أبي طالب** الذي يعرف ويفقه جيدا تعاليم الإسلام وكتاب الله ، يقدم على ذلك في حق أحد من البشر مهما كانت الجريمة المستحقة لعقوبة القتل ، فوسائل العقاب بالقتل لا تبيح فعل الحرق في كل التعاليم الإنسانية ناهيك بتعاليم الإسلام .

أما **أفكار السبئية** التي ذاعت وانتشرت بدءا من صاحبها الأول ومؤسسها **عبدالله بن سبأ** - والتي سنعرضها فيما يأتي - فلم تكن بالأفكار السائدة والمعروفة لدى العرب في تلك المرحلة ، الأمر الذي

يجعلنا نتفق مع من قال بأصلها اليهودي .

يقول عبدالله سلوم السامرائى : " يبدو أن فكرة الغلو المنسوبة للسبئية كانت امتدادا لعقائد يهودية محرفة ، وهذا أمر منطقي لأن الرأي إنما هو تعبير عن عقائد قديمة وجديدة يؤمن بها إنسان ما"(131)

أما الشهرستاني فيقول : " عبدالله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى مثل ما قال في علي " (132) وقد أشار الدكتور حسن إبراهيم حسن إلى أن ابن سبأ نشر مذهب الوصاية الذي أخذه عن اليهودية دينه القديم بمعنى أن عليا وصي محمد (ص) ، وأنه خاتم الأوصياء ، بعد محمد خاتم النبيين (133) وأرجع نظرية ابن سبأ في الحق الالهي إلى الفرس ، الذين كانوا في صدر الإسلام يحتلون بلاد اليمن موطنه الأصلي (134)

ومن هذه الآراء يمكن استخلاص حقيقة أن أصل السبئية ومبادئها لم تكن معروفة لدى العرب المسلمين في تلك المرحلة ، ولم تكن معهودة ، بل هي أفكار دخيلة عليهم استطاع ابن سبأ أن يستخلصها من اليهودية ليبثها في أوساط المجتمع الإسلامي، وكان لنفيه إلى المدائن وطوافه بعدد من الأمصار الإسلامية فرصة سانحة ليسربها إلى عامة الناس مستغلا إياها في تحريضهم للتآمر على قتل عثمان بن عفان وإحداث الفتن ، كما نخلص من خلال هذا أيضا إلى أن ابن سبأ كان مزدوج النشاط ، دينيا وسياسيا ؛ فعنده نجد السياسة

امتزجت بالدين ، وكلاهما استغل لتدمير الآخر ، إذ **استخدم الظروف السياسية لنشر أفكار دينية تأييدا لموقف ومعارضة لآخر ، واستعمل هذه الأفكار الدينية ذاتها لتحريك الفتن السياسية وتأليب المجتمع الإسلامي بعضه على بعض** ، وبذا يمكنه أن يحقق غايتين : **(التخريب السياسي)** و**(التحريف الديني)** في آن واحد، وإذا كان دوره السياسي قد انتهى بنفيه ، أو بوفاة **علي بن أبي طالب** ، فإن أفكاره ظلت بعد ذلك عند أتباعه واتصل وجودها مع الزمان **(135)**

وإذا كنا قد ذكرنا ـ فيما سبق من هذا الفصل ـ أن **ابن سبأ** خرج من **اليمن** التي كانت اليهودية منتشرة فيها **فإن هذا يدعم جزمنا** باستمداد فكرة **السبئية** من الفكر اليهودي الذي ساد في **اليمن** ويهوده قبل الإسلام .

1 ـ ابن سبأ وفتنة عثمان :

سلمنا فيما سبق بانتماء فكرة **السبئية** إلى اليهودية التي كانت تنتشر في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وقد كان قوم من اليهودية يقيمون في **المدينة** التي كانت عاصمة الدولة الإسلامية قبل أن تتحول فيما بعد إلى الكوفة .

وإذا كان ظهور الإسلام وانتشاره قد شكل خطرا على اليهود ومعتقداتهم ، فقد كان إجلاؤهم عن **(يثرب/المدينة)** بعد نقضهم للمواثيق

والمعاهدات التي أبرمت معهم مؤشرا خطيرا للقضاء على حياتهم السياسية والدينية وعلي وجودهم بالأساس في **الجزيرة العربية** .

كانت **السبئية** وفق هذه المسلمات والحقائق الواقعة ، محاولة من محاولات اليهود للحد من هذا الخطر الذي هددهم وضرب كل معتقداتهم وأفكارهم السائدة ولهذا وبعد أن أصبحت المواجهة العسكرية بالنسبة لهم أمرا مستبعدا بسبب تزايد عدد المسلمين وتعاظم قوتهم ، أصبح الملجأ الوحيد لضرب هذه القوة وكسر شوكتها هو الحرب الفكرية والسياسية التي تستهدف المسلمين في معتقداتهم وقوة صفهم التي كانت وقودهم في عملية الفتوحات الكبرى في داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وبهذا فقد كانت السبئية هي واجهة هذه الحرب وموقد شعلتها ، وكما علمنا **كان** سبب ظهور هذه الفرقة في الأساس التشيع **لعلي بن أبي طالب** وعدوه الأحق بخلافة المسلمين من غيره من الصحابة بما في ذلك **أبي بكر وعمر** اللذين كانا قد خرجا عن دائرة الصراع بانقضاء زمن خلافتهما ورحيلهما عن الدنيا .

وبهذا فقد اختار **ابن سبأ** مؤسس **السبئية** وزعيمها الوقت المناسب وانتهز الفرصة المواتية ، إذ كان الناس يتململون في بعض الأقطار الإسلامية لمآخذ أخذوها على **عثمان** وحاشيته ، فرمى إلى بذر أفكار يلتف حولها المعارضون ، واتخذ لنفسه شعارا جذابا وراية مقدسة ، فقد أوصى أصحابه فقال : " أظهروا الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر تستميلوا به الناس " (136)

وكان لتستر **ابن سبأ** بهذا الشعار دوره في تمرير مخططه على **عثمان** ، وهو في واقع الأمر تآمر على الخلافة الإسلامية وعلى المسلمين بشكل عام ، فبعد أن استقر في **مصر** ليبث دعواه بعد أن طرد من **البصرة والكوفة والشام** ـ كما بينا فيما سبق ـ تاركا وراءه في كل تلك الأقطار عملاء له ولأفكاره ، بدأ يؤلب **أهل الفسطاط** (137) ويكاتب أعوانه وعملاءه مؤلبا إياهم على **عثمان** الذي كانت سياسته في أمور حكم الدولة أحد الأسباب الرئسية في إثارة الفتنة ضد حكمه ، وهي التي هيأت المناخ المناسب لتفشي دعوة **ابن سبأ** وانتشارها .

وقد تناول **الطبري** دور **السبئية** ودعوة زعيمها في تأليب الرافضين لسياسة **عثمان** في الحكم فقال : " بث دعاته ، وكاتب من كان استفسد في الأمصار ، وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك **المدينة** وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون فيقول أهل كل مصر إنا لفي عافية بما ابتلى به هؤلاء ، إلا أهل **المدينة** فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا إنا لفي عافية مما

فيه الناس " (138) .

ويظهر من هذا النص الأسلوب الذي تبعه **ابن سبأ**، فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من الصحابة ، حيث جعل **أحدهما مهضوم الحق وهو علي** ، وجعل **الثاني مغتصبا وهو عثمان** (139)

وكان **ابن سبأ** قد استغل السذج لتمرير مخططه الذي كان يرسمه من أجل أن يحقق النجاح ويبلغ غايته ، حيث كان يبث في جماعة **مصر** الدعوة **لعلي** ، وفي جماعة **الكوفة** الدعوة **للزبير** ، وفي جماعة **البصرة** الدعوة **لطلحة** .

وعندما احكمت المؤامرة وبات إمكان تحقيقها ونجاحها أمرا ميسورا ، تضاعف دور **السبئية** وازداد نشاطهم الذي كان يبطن ما لا يظهر من الأهداف والغايات ، وإن كانوا قد اعلنوا صراحة نقمتهم على **عثمان** بقولهم " إن **عثمان** أخذها بغير حق " (140) يعنون الخلافة التي ينبغي أن تكون **لعلي بن أبي طالب** الذي هو من آل البيت والذي أعلنوا تشيعهم له والدعوة إليه .

وطلب **عثمان** المشورة فيما آل إليه من الأمر ، فأشير عليه بأن يبعث رجالا ممن يثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليه بأخبارهم ، فدعا **محمد بن مسلمة** فأرسله **إلى الكوفة** وأرسل **أسامة بن زيد إلى البصرة** ، وأرسل **عمار بن ياسر** (141) **إلى مصر** ، وأرسل **عبدالله ابن عمر إلى الشام** ، فرجعوا جميعا قبل **عمار** ، فقالوا : ما أنكرنا شيئا

ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم ، وقالوا جميعا : الأمر أمر المسلمين ، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون (142)

والملاحظ هنا أن **عمار بن ياسر** تخلف عن بقية رسل **عثمان** في العودة إلى **المدينة** إلى جانب بقية الرسل الذين ارسلوا إلى الأمصار الأخرى ، الأمر الذي جعلهم يظنون أنه قد اغتيل فلم يفجأهم إلا كتاب من **عبدالله بن أبي سرح** (أخ عثمان من الرضاعة) وواليه على **مصر** يخبرهم أن **عمارا** قد استماله قوم **بمصر** وقد انقطعوا إليه منهم **عبدالله ابن السوداء** (143)

ومما تجدر الإشارة إليه هو انضمام **عمار بن ياسر** إلى جماعة **ابن سبأ بمصر** ، وهذا يجعلنا نشك في علاقته هذه ونتهمه بعمالته **لابن سبأ** وتآمره معه على **عثمان** هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن أمرا ما يساورنا في كون **عبدالله بن أبي سرح** والي **عثمان** على **مصر** قد تنبه إلى خطورة ما يمكن أن ينقله **عمار** إلى الخليفة **عثمان** عن أمور ولايته **بمصر** التي تسيىء إلى وضعه لدى **عثمان** ، فأخره عن العودة إلى **المدينة** ، وأرسل إلى **عثمان** ما أرسل في شأنه وشأن التحامه بجماعة **ابن سبأ** .

وأبلغ **عثمان** جميع ولاته على الأمصار الإسلامية بأن يأتوه كل موسم إلى **المدينة** ليقف بنفسه على أمور ولاته في تلك الأمصار وقد جاء في احدى رسائله إلى عماله " وقد رفع إلى أهل **المدينة أن** أقواما

يشتمون وآخرون يضربون ، فيا من ضرب سرا أوشتم سرا ، من ادعى من ذلك ، فليواف الموسم ، فليأخذ بحقه حيث كان منى أو من عمالي " **(144)**

واستغل **السبئية** دعوة **عثمان** إلى الاجتماع لديه في **المدينة** ، حيث رأوا أن الأمر الذي يسعون إليه قد باتت فرصة تحقيقه مواتية ، فبادروا بتجميع أتباعهم ممن استغفل بسذاجته ومن هو ناقم بالأساس على تصرفات الولاة الذين نصبهم **(عثمان)** على تلك الأمصار ومن كان يحمل أفكارهم ورؤاهم التي اجتمعوا عليها ، واتفق هؤلاء جميعا على الاتجاه إلى **المدينة** والالتقاء **بعثمان** في موسم الحج ، وذلك ليستروا غايتهم التي جاؤوا من أجلها **(145)**

وخرجت **السبئية** من تلك الأمصار باتجاه **المدينة** حيث كان على رأس كل مجموعة قدمت من مصر زعماء يقودونها ، فخرج كما يقول **الطبري**: " أهل **الكوفة** في **أربع رفاق** ، وعلى الرفاق **زيد بن صوحان العبدى ، والأشتر النخعي ، وزياد بن النضر الحارثي ، وعبدالله بن الأصم** وخرج أهل **البصرة في أربع رفاق** وعلى الرفاق **حكيم بن جبلة العبدي ، وذريح بن عباد العبدي ، وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسي ، وابن المحرش بن عبد بن عمرو الحنفي** ، لكن المجموعة التي كانت تمثل القوة الكبرى في **السبئية** والتي برزت بشكل واضح في إذكاء الفتنة ، كانت تلك التي خرجت من **مصر** في

أربع رفاق على أربعة أمراء ، المقل يقول ستمائة والمكثر يقول ألف ، وعلى الرفاق عبدالرحمن بن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر التجيبي وعروة بن شيم الليثي ، وأبوعمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وسواد بن رومان الأصبحي ، وزرع بن يشكر اليافعي ، وسودان بن حمران السكوني ، وقتيرة بن فلان السكوني ، وعلى القوم جميعا الغافقي بن حرب العكي (146) ومعهم ابن سبأ وكل الفرق التي خرجت من كل الأمصار كان عددها لا يقل عن العدد الذي خرج من مصر " (147)

وعندما بلغوا المدينة تحولت كل فرقة جاءت من مصر إلى واحد من الصحابة ، فالمصريون الذين تشيعوا بالدعوة إلى علي نزلوا عند علي ، وعرضوا له فطردهم ، وأما البصريون فذهبوا إلى طلحة وعرضوا عليه فطردهم ، وأما الكوفيون فاتجهوا إلى الزبير وعرضوا له ، فطردهم أيضا (148)

والملاحظ هنا أن اتجاههم كان مختلفا ، وهو بلا شك لم يكن محض اختيار آني فلقد أشرنا سابقا إلى أن كل جماعة كانت تدعو في مصرها إلى واحد من الصحابة ، بل هو تخطيط مسبق من رئيسهم ابن سبأ الذي أراد أن يحتدم الخلاف بينهم أثناء عملية التنفيذ بحيث تتوزع جهود المواجهة وتختلف جبهات الفتنة ،وقد أشار يوسف العش إلى هذه المسألة حين رأى أن تفريق أهوائهم كان بإيحاء من ابن سبأ نفسه

ليوقع الخلاف بينهم بعد تنفيذ الخطة **(149)**

ولا نريد أن ندخل في تفاصيل خطة التنفيذ التي تمت بها العملية ، لكننا نكتفي بالإشارة إلى أنهم عندما خرجوا من **المدينة** بعد أن استرضاهم **عثمان** ، عادوا إليها بحجة الكتاب المزعوم الذي وجدوه مع رسول الخليفة ممهورا بخاتمه ، ولما قابلهم **علي** قال لهم : ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ؟ قال **أهل مصر** : أخذنا مع البريد كتابا موقعا من **عثمان** يأمر عامله بقتلنا ، فقال **علي** : كيف علمتم يا **أهل الكوفة ويا أهل البصرة** بخبر الكتاب المرسل إلى **أهل مصر** وقد سرتم مراحل على طريق بلدكم ؟ **هذا والله أمر أبرم في المدينة(150)**

وقد أشار **البلاذري** إلى أن هذا الكتاب الذي يدعيه **السبئية** كان **مروان بن عبدالحكم** قد كتبه بغير علم **عثمان (151)** أي أنه مزور على **عثمان** ، وهو عموما ليس الكتاب الوحيد الذي يزور على لسان الصحابة , فهذه **عائشة** تتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على **عثمان** فتنفي ذلك وتقول : " لا والذي آمن به المؤمنون ، وكفر به الكافرون ، ما كتبت لهم سوداء في بيضاء ، حتى جلست مجلسي هذا " **(152)**

وحقيقة هذا الكتاب أنه كان مؤامرة في ذاته ، فقد اتخذه السبئية ذريعة للعودة إلى تحقيق هدفهم الذي حاول **عثمان** أن يعوقهم عن تنفيذه، وعاد القوم إلى **المدينة** وعرضوا على **عثمان** الكتاب الذي

ادعوه ، وذلك من أجل إيجاد المبرر لقتله ، ولم يقتنعوا برد **عثمان** تهمة الكتاب ، وقالوا : والله أحل الله دمك ، ونقضت العهد والميثاق(153)

ولم يكن موضوع الكتاب الذي اختلقوه إلا وسيلة لتحقيق هدف وغاية ، فحاصروا **عثمان** ونفذوا مخططهم بقتله في يوم **الجمعة** لـ(**ثماني عشرة**) ليلة خلت من ذي الحجة (**سنة 35هـ**) وذلك بعد صلاة العصر (154) وفي رواية أخرى في (**السابع**) من ذي الحجة يوم الجمعة من سنة (35هـ) (155) وقيل سنة (36هـ) (156) وكان عندها قد بلغ (**تسعين**) سنة أو (**ثمانيا وثمانين**) على اختلاف الروايات (157)

وقتل عثمان لم يكن في حقيقة الأمر الهدف الوحيد من مخطط السبئية وتحركهم نحو المدينة ، وإن كان هدفا معلنا لديهم ، متسترا في تظاهرهم بالمجيء إلى المدينة لتأدية الحج ، **بل هو أحد مخططات كبرى كانوا يسعون لتحقيقها في المجتمع الإسلامي** .

فلو أخذنا على سبيل المثال اختلاف دعواهم لعدد من الصحابة في أقطارهم ، لوجدنا **أن غايتهم لا تقف عند زحفهم نحو المدينة لمقتل عثمان** ، **ولكن الهدف كان أكبر من ذلك فاختلاف دعواهم هذه كانت تخطيطا لبعث فرقة أخرى في صفوف المسلمين ليتقاتلوا فيما بينهم فيمن يتولى الخلافة بعد عثمان** ، هل علي الذي كان يدعو إليه **أهل مصر أوطلحة** الذي دعا إليه **أهل البصرة أو الزبير** الذي كان

ينادي به **أهل الكوفة** ؟

ويمكن أن نخلص من هذا كله إلى أن **عثمان** الذي تآمر عليه **السبئية** وقتلوه ، كان في واقع الأمر قد ساعد على تنامي مد خطر **السبئية** وانتشارها وذلك من خلال سياسته في الحكم التي سهلت **للسبئية** مهمة انتشار مبادئهم في الأمصار الإسلامية .

وحيث إننا لا يمكن أن ننكر أن **السبئية** كانت حركة يهودية بالأساس مستهدفة النيل من الإسلام ودولته ، غير أنها فيما نرى لم يكن بوسعها أن تنمو وتمتد إلى هذا الحد الذي وصلت إليه لولا أنها وجدت المناخ ملائما أمامها لتوسيع نشاطها .

وإذا نظرنا إلى **حركة السبئية** وخروجها ثورة على **عثمان** فإن الثورات عادة لا تقوم إلا على أساس من الفساد والظلم ، وعلى هذا الأساس فإن **سياسة عثمان** في الحكم كانت تحتاج إلى نوع من الثورة لإصلاح ما أفسده إبان فترة خلافته ، ومن هذا المنطلق اتخذت **السبئية** مدخلا لها لتحقيق هذه الثورة إضافة إلى أفكارها ومبادئها التي تستهدف بشكل أساسي النيل من الإسلام وقوته .

إن سياسة **عثمان بن عفان** كانت عاملا مساعدا على تحقيق **السبئية** لأهدافها وتمرير مخططها التآمرى على الإسلام والكيد له ، والمصادر التاريخية التي أرخت للدولة الإسلامية في **عصرعثمان** تحتفظ بكثير من الحقائق التاريخية حول **سياسة عثمان** في إدارة

شؤون الدولة الإسلامية التي كانت سياسة قبلية أراد من خلالها أن يستحوذ على مقاليد السلطة بأبناء عمومته من الأمويين ، وإذا كان بعض الفقهاء الذين تصدوا لدراسة شخصية عثمان قد حاولوا الدفاع عن أخطائه وتبرير سياساته (158) فإن الوقائع التاريخية التي شهدتها تلك الفترة تدين عثمان وسياسته وتجعلنا أمام الحقيقة في كون هذه السياسة ساعدت بشكل وآخر على تنفيذ مؤامرة السبئية في الكيد للإسلام ، سواء أكان ذلك من خلال إثارتها للفتنة وانقضاضها على عثمان ، أم من خلال مناداتها لعلي وتشيعها له ونشرها لكثير من الأفكار التي نادت بها ثم تألبها عليه فيما بعد .

2 ـ السبئية وموقفها من علي :

بعد القضاء على عثمان وانتهاء زمن خلافته ، صار الأمر أمام علي الذي كان أهل مصر من السبئية يدعون إليه ويقولون بأحقيته في خلافة المسلمين ليس بديلا لعثمان فحسب ، بل هو في رأيهم أحق من أبي بكر وعمر أيضا .

واجتمع الناس إلى علي يبايعونه بالخلافة وقالوا : " ولا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الأمر منك ، ولا أقدم سابقة ، ولا أقرب من رسول الله"(159)

وتؤكد المصادر أن عليا كان يمتنع عن الاستجابة الفورية

لطلب المسلمين نظرا لدقة الموقف وصعوبة الأوضـاع ، وقد رد علـى ذلك بقوله : " دعوني والتمسوا غيري ، فإنا مستقبلون أمرا لـه وجـوه وألوان ، لاتقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول " **(160)**

وبعد إلحـاح شديد من قبل الصحابـة عليه قبل الأمـر ، وإن اختلفت المصادر في مدى الإجماع على بيعة **علي بن أبي طالب** فمنها من يذكر أنه " لما قتل **عثمان** بايع الناس **عليا** ، فسموا بالجماعة"**(161)**

ويؤكد هذا الاختلاف الذي وقع في أمر تولى **علي** الخلافة قول **الأشعري** الذي يرى أنه " لما بويع **علي بن أبي طالب** اختلف الناس في أمره ، فمن منكر لإمامته ، ومن بين قاعد عنه ومن بين قـائل بإمامتـه منعقد لخلافته " **(162)**

ويذكر **الطبري** أن هناك من آثر الخروج عن المدينة ، وعدم البوح بأي شيء يتعلق بالبيعة أو الرفض **(163)** ، كمـا يذكـر أن **أهل مصر** افترقوا فرقا ، فرقة دخلت في الجماعة وكانوا مع **علـي** ، وفرقـة **وقفت واعتزلت** ، وفرقة قالوا : نحن مع **علي** ما لم يصد إخواننـا وهـم في ذلك مع الجماعة **(164)**

ومن هنا يتضح أن **عليا** قد وجد منـذ البدايـة فئـات معارضـة لخلافته ، وكـان عليـه أن يواجـه ظروفـا سياسـية واجتماعيـة شـديدة التعقيد، نظرا لمـا أصـاب المجتمـع من اختـلاف فـي الأهـواء والميـول وتشابك في المصالح بين مختلف فئاته **(165)**

وبادر علي بن أبي طالب **(رضى الله عنه)** بمباشرة أمور الخلافة مستفيدا من تلك الأخطاء التي وقع فيها سلفه **عثمان** والتي أدت إلى القضاء على خلافته وقتله ثم إشعال نار الفتنة بين المسلمين من بعده ، فعزل الولاة الذين كان **عثمان** قد استعملهم على الأمصار الإسلامية والذين كانت تصرفاتهم وعصبيتهم للأمويين من أهم الأسباب في الثورة على **عثمان** **(166)**

وطلب **المغيرة بن شعبة** من **علي** أن يثبت بعض الولاة في أماكنهم ، غير أنه لم يأبه لذلك ، فبعث **عثمان بن حنيف الأنصارى** على **البصرة** ، و**عمارة بن شهاب** على **الكوفة** ، و**عبدالله بن عباس** على **اليمن** ، و**قيس بن سعد** على **مصر** ، و**سهل بن حنيف** على **الشام(167)**

ولم يكن أغلب هؤلاء الولاة الذين نصبهم **علي** على الأمصار الكبرى في دولة الخلافة من **قريش** ، وبذلك يكون قد أصاب قريشا بضربة قاسية في كبريائها وسلطانها ونفوذها ، وربما كان اختيار **علي** لولاة **البصرة والشام ومصر** من الأنصار سبيلا إلى إرضاء الأنصار فهذه الأمصار الثلاث هي الأمصار الخطيرة .

وقد دخلت هذه الأمصار في **بيعة علي** ما عدا **ولاية الشام** ، حيث رد واليها الذي أرسله **علي** وامتنع سكانها عن الدخول في الجماعة ، وساعد ذلك تجديد حدة انقسام المسلمين وتصدع

وحدتهم(**168**) ولعل الأحداث التي ترتبت على سياسة **علي بن أبي طالب** فيما بعد قد ساعدت بدورها على مزيد الفرقة والانقسام بين صفوف المسلمين الذين كانوا في حاجة ماسة إلى إعادة ترتيب أمورهم التي أربكتها سياسة **عثمان** وولاته في الأمصار الإسلامية .

وقد حاولت **السبئية** في واقع الأمر منذ اليوم الأول لخلافة علي **أن** تفرض نفسها عليه ، فأخذت تحذره من سطوتها وقدرتها على نزع الأمر منه ، فحين بويع له وخطب الناس أراد الذهاب إلى بيته ، فقالت له على لسان أحد الشعراء :

خذها اليك واحذرن أبا حسن

إنا نمر الأمر أمرار الرسن

صولة أقوام كأسرار السفن

بمشرفيات كغدران اللبن

ونطعن الملك بلين كالشطن

حتى يمررن على غير عنن (169)

ولم يكن **علي بن أبي طالب** في غفلة من **خطر السبئية** عليه رغم تظاهرها بالدعوة إليه والقبول به خليفة للمسلمين ، ولهذا فإننا نجده قد خطب في الناس قائلا : " أيها الناس أخرجوا عنكم الأعراب فليلحقوا بمياههم " فأطاعت الأعراب وأبت **السبئية (170)**

وبهذا فقد كشفت أتباع **السبئية** عن حقيقة نواياهم ، وإن ادعوا الوصية **لعلي** فإن مهمتهم لم تنته بعد ، إذ لم يكتفوا بقتل **عثمان** وإحراج **علي** وخلق المتاعب له منذ بواكير عهده ، ولكنهم واصلوا مهمتهم التي تستهدف استمرار الخلاف بين المسلمين حتى لا يهدأ لهم بال **(171)**

إن أتباع **السبئية** يرون أن استمرار الخلاف بين المسلمين حول من يحكم هو الضمان لهم لتمرير أفكارهم وتنفيذ مخططهم ، فوصول المسلمين للتفاهم وحل المنازعات السياسية التي كانت قائمة بينهم سيكون خطرا عليهم ، حتى قال بعضهم : " **فإن اصطلحوا فسيكون على دمائنا** " **(172)**

ولهذا فقد عملوا من أجل أن يستمر الخلاف والتطاحن بين المسلمين في من يحكم ، مستغلين عدم قبول بعض الصحابة **بيعة علي** **كالزبير** الذي كان **الكوفيون** يدعون له بالخلافة ، **وطلحة** الذي كانت تدعو له السبئية في **البصرة** ولعلهما كانا السبب في عدم البيعة **لعلي** إذ كانا يطمحان للخلافة أيضا .

وعلى هذا الأساس فقد رأى بعض **السبئية** إلحاق **علي** **بعثمان** لتعود الفتنة من جديد ، غير أن زعيمهم **ابن سبأ** رفض ذلك ، وقال : " لو قتلناه قتلنا ، فإنا يا معشر قتلة **عثمان** في ألفين وخمسمائة **وطلحة والزبير** وأصحابهما في خمسة آلاف ولا طاقة لكم بهم " ثم رأي لهم

رأيا أشد مضاء وأحكم خطة ، فقال لأصحابه : " ياقوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم ، وإذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر " **(173)**

وتكشف لنا الروايات **دور السبئية** في الكيد للإسلام والمسلمين وتماديهم في تحقيق مخططهم إزاء **علي بن أبي طالب** من ناحية ومعارضي خلافته من ناحية أخرى .

ففي واقعة **صفين (174)** اتفق **السبئية** على إنشاب الحرب بالسر فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم ، انسلوا إلى ذلك انسلالا وعليهم ظلمة فخرج **مضريهم** إلى **مضريهم** ، و**ربيعهم** إلى **ربيعهم** ، و**يمانيهم** إلى **يمانيهم** ، فوضعوا فيهم السلاح فثار **أهل البصرة** ، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم **(175)**

ولما آل أمر الصراع إلى **علي** وطلبت **عائشة** الاحتكام إلى كتاب الله الذي أعطته لأحد عساكرها ليتوجه به إلى **علي** ، سار **السبئية** إليه يرمونه بالسهام فقتلوه ثم انهالوا على **عائشة** في هودجها **(176)** ويورد **ابن كثير** " أن **السبئية** من أصحاب **ابن سبأ** استمروا في تقتيل الناس بعد استسلام **عساكر عائشة** بينما منادي **علي** يصيح ألا كفوا ألا كفوا فلا يسمع أحد" **(177)**

ونخلص من هذا كله إلى أن السبئية التي تظاهرت في بداية الأمر بالتشيع لعلي حيث كانت أساس الغلو فيه وبذرة الانقسام الذي

دار في تلك المرحلة ونتج عنه العديد من الفرق والمذاهب السياسية ، قد صارت بعد كل ما أحدثته من هذه الأمور والمخاطر أشد معارض له ورفضا لخلافته بل هم تعدوا مجرد الرفض إلى المقاومة والمواجهة بشكل علني مستخدمين كل ما أمكن لهم من وسائل عسكرية للدخول في حرب معه وتأليب المعارضين لسياسته من ناحية وإشعال نار الفتنة فيما بينه وبين هؤلاء المعارضين لكى لا تهدأ أمور المسلمين ويستقر أمرهم .

هوامش الإحالات :

(1) ورد ذكر سبأ في أيتين من القرآن الكريم هما قوله تعالى في الأية رقم (22) من سورة النمل (فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) وفي قوله تعالى في الآية رقم (15) من سورة سبأ (لقد كان لسبأ في مساكنهم آية) وفي كتب الأنساب نجد السبأي والسبئى (بالمد وعدمه) نسبة إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وإلى عبدالله بن سبأ رأس السبئية . (وانظرترجمة ابن سبأ في : البدء والتاريخ 5/ 129 لسان الميزان 3/ 289 عقيدة الشيعة 58/ 59 تهذيبابن عساكر 428/7 مقالات الإسلاميين 1 / 85 التنبيه للملطي 25 التبصير في الدين 108 فرقالشيعة19 رجال الطوسي 51 خطط المقريزي 4/ 82 تاريخ الطبري 4/ 340 البداية والنهاية 167/7)

(2) البلاذري؛أنساب الأشراف.تحقيق/ محمد حميدالله (القاهرة: دار المعارف.ط .بلا/ 1959م) ج 5 ص 382

(3) الأشعري ؛ المقالات والفرق . تصحيح وتقديم / محمد جواد مشكور (طهران ، مطبعة حيدري . ونشر مطبوعات عطالى .ط.بلا/ 1963م) ص20

(4) الذهبي ؛ المشتبه في الرجال وأسمائهم وأنسابهم . تحقيق / علي محمد البجاوي (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية . ط.1962/1م)ج1 ص346

(5) المقريزي ؛ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(بيروت:دار التحرير للطبع والنشر. ط .بلا/1968م) ج 2 ص 356

(6) على سبع فراسخ من بغداد على حافتي دجلة ، وهي دار مملكة الأكاسرة ، وكان أول من نزلها أنو شروان ، وهي عدة مدن في جانبي دجلة الشرقي والغربي ، منها المدينة التي يقال لها العتيقة وفيها القصر الأبيض القديم الذي لا يدري من بناه ، وفي الجانب الشرقي أيضا مدينة يقال لها أسبانبر ، وفيها إيوان كسرى العظيم الذي ليس للفرس مثله ، ارتفاع سمكه ثمانون ذراعا ، وبين المدينتين مقدار ميل ، وفي هذه المدينة قبر سلمان الفارسي

وحذيفة بن اليمان ، ثم مدينة يقال لها الرومية ، وفي الجانب الغربي من دجلة مدينة يقال لها بهرسير ثم ساباط على فرسخ من بهرسير (انظر : محمد ابن عبدالمنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار . تحقيق/ إحسان عباس . ص 526)

(7) الجاحظ ؛ البيان والتبيين (بيروت : دار الفكر للجميع.ط بلا / 1968م)ج3ص 86

(8) البلاذري ؛ مصدر سابق . ص 372

(9) الأشعري ؛ مصدر سابق . ص 20

(10) جواد علي ؛المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت ، بغداد : دار العلم للملايين و مكتبة النهضة . ط .2/ 1978م) ج 2 ص 353و 354

(11) الأشعري ؛ مصدر سابق . ص 20

(12) السمعاني ؛ الأنساب تحقيق/ محمد عوامة(بيروت :نشر محمد أمين دمج.ط.1/ 1976م) ج 7 ص 24

(13) سليمان العودة ؛ عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام (الرياض : دار طيبة . ط . 3/ 1412هـ) ص 41

(14) ابن حزم ؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل (بيروت:دار المعرفة . ط بلا/ 1986م)ج 4 ص 186

(15) جواد علي ؛ مرجع سابق . ج 2 ص 510

(16) المرجع السابق . ج 2 ص 520

(17) خيرالدين الزركلي ؛ الأعلام (بيروت: دارالعلم للملايين.ط.5/1980م)ج4 ص88

(18) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . تحقيق/ محمد أبوالفضل إبراهيم (بيروت : دار سويدان ط . بلا/ "ب . ت")ج4 ص340

(19) محمد بن حبيب ؛ المحبر تحقيق/ايلزه ليختن شتيتر (بيروت : دار الآفاق الجديدة) ص 308

(20) الجاحظ ؛ مصدر سابق . ج 3 ص 81

(21) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 326

(22) المصدر السابق . ج 4 ص 340

(23) الذهبي ؛ تاريخ الإسلام . تحقيق / عمر عبدالسلام تدمري (بيروت . دار الكتاب العربي . ط . 2/ 1989م) ج 2 ص 122

(24) المقريزي ؛ مصدر سابق . ج 2 ص 356

(25) مقالة م. ث هوتسما ، و . م . ج . س هود غسون في (الموسوعة الإسلامية) عن عبدالله بن سبأ

(26) انظر ذلك في كتابيهما : البداية والنهاية والفرق بين الفرق

(27) البغدادي ؛ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم تحقيق / طه عبدالرؤف سعد (القاهرة ، مؤسسة الحلبي وشركاؤه . 'ب . ت') ص 144

(28) سليمان العودة ؛ مرجع سابق . ص 45

(29) البغدادي ؛ الفرق بين الفرق . ص 235

(30) الاسفرايني ؛ التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين تقديم / محمد زاهد الكوثري (مطبعة الأنوار . ط.1/1940م) ص 72

(31) الأشعري ؛ مصدر سابق . ص 20

(32) فتحي الزغبي ؛ غلاة الشيعة (طنطا : مطبعة غباشي . ط .) ص 74

(33) انظر : (الملل والنحل 2/ 174 مقالات الإسلاميين 1/ 86 الفصل 2/ 115)

(34) نايف معروف ؛ الخوارج في العصر الأموى (بيروت : دار الطليعة . ط . 2/ 1981م) ص 42

(35) محمد أمحزون ؛ تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (الرياض : دار طيبة و مكتبة الكوثر . ط.1/1994م) ج 1 ص 314

(36) الإشارة هنا إلى : ما كتبه الطبرى وابن كثير وابن خلدون وابن عساكر في التاريخ والأشعرى والشهرستانى وابن حزم والاسفراييني والقمي في الفرق

(37) طه حسين ؛ الإسلاميات(بيروت:دار العلم للملايين ط.3/ 1981م) ص 904

(38) طه حسين ؛ الإسلاميات . ص 905

(39) المرجع السابق . ص 760

(40) المرجع السابق . ص 761

(41) المرجع السابق . ص 761

(42) المرجع السابق . ص 904

(43) نايف معروف ؛ مرجع سابق . ص 44

(44) طه حسين ؛ الإسلاميات . ص 761

(45) علي فهمي خشيم ؛ الجذور التاريخية للغزو الفكري في صدر الإسلام . دراسة بمجلة الثقافة العربية العدد (السادس)السنة (التاسعة) يونيو 1982م ص12

(46) محمود محمد شاكر ؛ الفتنة الكبرى ــ دراسة بمجلة الرسالة، السنة 16 العدد 763 / 1948م ص193

(47) على فهمي خشيم ؛ مرجع سابق . ص 12

(48) علي الوردي ؛ وعاظ السلاطين (لندن : دار كوفان . ط .2/ 1995م) ص177

(49) المرجع السابق . ص 176

(50) علي الوردي ؛ وعاظ السلاطين . ص 111

(51) المرجع السابق . ص 111

(52) المرجع السابق . ص 178

(53)علي سامي النشار ؛ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (القاهرة:دار المعارف.ط.4/ 1969م)ج2ص28

(54) سليمان العودة ؛ مرجع سابق . ص 92

(55) علي الوردي ؛ وعاظ السلاطين . ص 177

(56) المرجع السابق . ص 98

(57) المرجع السابق . ص 177

(58) كامل مصطفى الشيبي ؛ الصلة بين التصوف والتشيع (القاهرة:دار

المعارف.ط/.2 . "ب . ت") ص 41

(59) سليمان العودة ؛ مرجع سابق.ص 93(وانظر:رجال الطوسي ص 46 ـ 51)

(60) عمار الطالبي ؛ آراء الخوارج (الاسكندرية : المكتب المصري الحديث . 'ب . ت') ص 72

(61) المرجع السابق . ص 74

(62)عبدالله الفياض ؛تاريخ الامامية (بيروت:مؤسسة الأعلمي.ط.2/ 1975م)ص 95

(63) مرتضى العسكري ؛ عبدالله بن سبأ (القاهرة : دار الكتاب العربي . ط / 'ب . ت') ص11

(64) مرتضى العسكري ؛ مرجع سابق . ص 195

(65) يوسف العش ؛ الدولة الاموية (دمشق : دار الفكر . ط . 2/ 1985م) ص 94

(66) المرجع السابق . ص 68 ـ 90

(67) محمد عمارة ؛ الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر . ط/ 1 . 'ب . ت') ص 154

(68) المرجع السابق . ص 155

(69) المرجع السابق . ص 155

(70) برناند لويس ؛ أصول الاسماعلية والفاطمية والقرمطية . ترجمة / حكمت بلحوق راجعه وقدم له /خليل أحمد خليل (بيروت،دار الحداثة.ط. بلا/1980م)ص 61

(71) برنارد لويس ؛ مصدر سابق . ص 61 أو 86

(72) كايتاني ؛ أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة ترجمة/عبدالرحمن بدوي(الكويت،وكالة المطبوعات. ط.3/1978م)ص 170

(73) فتحى الزغبي ؛ مرجع سابق . ص 78

(74) عبدالرحمن ؛ مذاهب الإسلاميين (بيروت : دار العلم للملايين .ط .3/ 1973م) ج 2 ص 21و 35

(75) عبدالرحمن بدوى ؛ مرجع سابق . ج2 ص 35

(76) نيكلسون ؛ تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام . ترجمة وتحقيق / صفاء خلوصي (بغداد، المعارف . ط. بلا/1969م) ص215

(77) رونلدسن ؛ عقيدة الشيعة (القاهرة ، مطبعة الخانجي . ط/بلا "ب . ت") ص 58

(78) فان فلوتن ؛ السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ، ترجمة / حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم (القاهرة : دار النهضة المصرية ، ط 2/ 1993م)ص 79

(79) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 340

(80) ابن كثير ؛ البداية والنهاية(بيروت : مكتبة المعارف.ط.4/ 1982م)ج7ص173

(81) فتحى الزغبي ؛ مرجع سابق . ص 78

(82) ابن حبيب ؛ مصدر سابق . ص 308

(83) جواد على ؛ مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد السادس لعام 1959م ص67

(84) القمى ؛ المقالات والفرق . تصحيح وتقديم / محمد جواد مشكور (طهران ، مطبعة حيدري . ونشر مطبوعات عطائى.ط.بلا/1963م) ص 20

(85) الناشيء الأكبر ؛ مسائل الامامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات . تحقيق وتقديم / يوسف فان اس (بيروت ، دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن .ط . بلا/ 1971م) ص 22

(86) النوبختى ؛ فرق الشيعة تصحيح / هـ ريتر (استانبول ، مطبعة الدولة . 1931م) ص 19

(87) انظر : (البدء والتاريخ 5/ 129 لسان الميزان 3/ 289 عقيدة الشيعة 58 / 59 تهذيب ابن عساكر 7/ 428 مقالات الإسلاميين 1/ 85 التنبيه للملطى 25 التبصير في الدين 108 رجال الطوسى 31 خطط المقريزى 4/ 82)

(88) محمد جابر عبدالعال ؛ حركات الشيعة المتطرفين(القاهرة:دار المعرفة. ط. بلا /1967م) ص28و29

(89) سعد محمد حسن ؛ المهدية في الإسلام (القاهرة : دار الكتاب العربي . ط . / 1953م) ص 92

(90) على الشابي ؛ أثر التراث الشرقي على المذهب السبئي (النشرة الزيتونية للشريعة وأصول الدين . العدد الأول ـ السنة الأولى 1971م) ص 240

(91) انظر : من الكتاب المحدثين الذين أكدوا وجود ابن سبأ ، محمود شاكر (الخلفاء الراشدون)ص225 ومحمود قاسم(دراسات في الفلسفة الإسلامية)ص 109 واحسان الهي ظهير (الشيعة والسنة) ص 29ـ 31 وعزة علي عطية (البدعة) ص 73 وأنور الجندي (طه حسين وفكره في ميزان الإسلام)ص171 وإبراهيم شعوط (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ)ص147

(92) انظر : الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 340 ويورد هذا ايضا في أحداث سنة (33هـ) انظر ص 326 نفس المصدر

(93) ابن كثير ؛ البداية والنهاية . ج 7 ص 167

(94) المصدر السابق . ج 7 ص 173

(95) ابن عساكر ؛ تاريخ دمشق (دمشق ، ط . بلا/ 1349هـ) ص 123

(96) الطبري ؛ اتاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 283

(97) المصدر السابق . ج 4 ص 340

(98) سليمان العودة ؛ مرجع سابق . ص 48

(99) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 326

(100) المصدر السابق . ج 4 ص 327

(101) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 283 ويقال (أن ابن سبأ دخل الشام مرتين كانت الأولى سنة (30هـ) وهي التي التقى فيها أبا ذر والثانية بعد اخراجه من الكوفة سنة (33هـ) وهي التي لم يستطع التأثير فيها مطلقا) وانظر : سليمان العودة ؛ عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام . ص 50)

(102) انظر : سليمان العودة ؛ مرجع سابق . ص 52 و حاشية / محب الدين

الخطيب . العواصم من القواسم ، لأبي بكر بن العربي . ص 112 و 113

(103) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 341

(104) سعيد الأفغاني ؛ عائشة والسياسة(القاهرة:لجنة التأليف والترجمة والنشر. ط.بلا/ 1947م) ص 50

(105) إسماعيل العربي؛ معجم الفرق والمذاهب الإسلامية(بيروت:دار الآفاق الجديدة.ط.1/1993م) ص 202

(106) أعشى همذان؛ الديوان تحقيق/ حسن عيسى أبوياسين (الرياض:دار العلوم.ط.بلا/1983م)ص 148

(107) من أشهر المعارك التي جرت على أرض العراق في الصراع الدامي بين الشاميين والعراقيين في (82هـ/ 701م) ودير الجماجم بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر للسالك إلى البصرة (انظر : ماجد اللحام ، معجم المعارك الحربية . ص 153 و ياقوت الحموي ، معجم البلدان . ج2 ص 503)

(108) الفرزدق ؛ الديوان (بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر . ط.بلا/ 1980م)ج1 ص 242 و 243

(109) انظر محمد أمحزون ؛ مرجع سابق . ص 287

(110) الشهرستاني ؛ الملل والنحل (بيروت:دار المعرفة.ط بلا /1986م) ج2 ص11

(111) جبل ضخم من جبال تهامة وهو من ينبع على يوم ومن المدينة على تسع مراحل ميامنة طريق المدينة وعلى ليلتين من البحر وبقرب خيبر ، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية ورأسه من ينابع الماء كخضرة البقل ، وغلاة الشيعة تزعم أن محمد بن الحنفية لم يمت وأنه حي بجبل رضوى (انظر:محمد بن عبدالمنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق/إحسان عباس.ص269)

(112) ضرب من الحيات من أعظمها كأكبر ما يكون منها ، وهو أيضا نوع من السمك في فمه أنياب مثل أسنة الرماح ، وهو طويل مثل النخلة ، وهو أحمر العينين ،

كريه المنظر جدا (انظر : كوكب ديب دياب ، قاموس الحيوان ص 84)

(113) انظر الملطي ؛ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تقديم وتعليق/ محمد زاهد الكوثري (بغداد: مكتبة المثنى . ط . بلا/ 1968م) ص 19

(114) أصحاب حمدان بن الأشعث وقيل في التسمية أن حمدان سمي باسم قرمط لأنه كان يقرمط في سيره اذا مشى أي يقارب بين خطواته ، وقيل بل لقب بهذا لأنه كان أحمر البشرة فشبه بالقرمد الأحمر أي الحجارة الحمراء .

(115) طائفة تقول بتناسخ الأرواح أي تناقلها في الأجسام،وأصحاب التناسخ في الإسلام كانوا من فرق الروافض .

(116) هم الذين يقولون أن الله بعث جبريل إلى علي فغلط جبريل وصار إلى محمد فاستحيا الرب وترك النبوة في محمد وجعل عليا وزيره .

(117) أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد الكوفي الأعمى وقيل هو ابن المنذر الهمذاني ، وقد زعمت هذه الفرقة أن النبي نص على امامة علي .

(118) أصحاب المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي ، قال بامامة محمد ابن الحنفية بعد علي بن أبي طالب .

(119) الذين يقولون بنبوة بيان بن سمعان وينحون نحو التناسخ .

(120) أصحاب هشام بن عمرو الغوطي الشيباني،وهو يمتاز بمبالغته في القدر بأشد وأكثر من مبالغة أصحابه .

(121) تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ظهرت في حدود سنة 148هـ

(122) وهم يقولون بالجبر والتشبيه ويجمعون بين الظهر والعصر في أول الزوال وبين المغرب والعشاء في جوف الليل .

(123) أصحاب جعفر الصادق وهوالإمام السادس من الأئمة الاثني عشرية

(124) الذين يقطعون على محمد وعلي ويقولون قول الجعفرية .

(125) الذين يقطعون على الرضا ويقولون : لا إمام بعده .

(126) أصحاب زيد بن علي زين العابدين .

(127) انظر : الملل والنحل للشهرستانى 1/ 174 مقالات الإسلاميين للأشعرى 1/ 85 الفرق بين الفرق للبغدادي ص 143 ميزان الاعتدال للذهبي 2/ 4 خطط المقريزى 2/ 352 البدء والتاريخ 5/ 125 لسان الميزان لابن حجر 3/ 229 الفصل لابن حزم 4/ 186 تهذيب ابن عساكر 7/ 428 نشأة الفكر الفلسفي لعلى سامي النشار 2/ 12

(128) انظر إسماعيل العربي ؛ مرجع سابق . ص 204

(129) البغدادي ؛ مصدر سابق . ص 233

(130) علي فهمي خشيم ؛ مرجع سابق . ص 13

(131) عبدالله سلوم السامرائى ؛ الغلو والفرق الغالية (العراق : دار واسط. ط/بلا ’ب . ت‘)ص 87

(132) الشهرستانى ؛ مصدر سابق . ج 2 ص 365

(133) انظر حسن إبراهيم حسن ؛ تاريخ الإسلام(القاهرة:دار النهضة المصرية.ط 7/1964م)ج 1 ص 395

(134) انظر المرجع السابق . ج 1 ص 395

(135) انظر علي فهمي خشيم ؛ مرجع سابق . ص 12

(136) انظر : الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك. ج 4 ص 341 وابن الأثير ؛ المصدر السابق ج 3 ص 77

(137) اسم لمصر، وسميت بفسطاط عمرو بن العاص ، وقيل لما فتح عمرو بن العاص مصر اختط منازل العرب حول الفسطاط فسمي الفسطاط لهذا (انظر : محمد عبدالمنعم الحميري،الروض المعطار في خبر الأقطار.تحقيق/إحسان عباس، ص 441)

(138) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 341

(139) انظر محمد أمحزون ؛ مرجع سابق . ج 1 ص 329

(140) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 340

(141) عمار بن ياسر بن عامر الكناني (أبواليقظان) صحابي من السابقين إلى الإسلام شهد بدرا وأحدا والخندق وبيعة الرضوان ، وهو أول من بنى مسجدا في الإسلام ، وكان رسول الله يلقبه (الطيب المطيب) وقتل في موقعة صفين وعمره ثلاث وتسعون سنة (انظر : خلاصة تهذيب الكمال ص 137 والإصابة لابن حجر ترجمة 5706 حلية الأولياء 1/ 139 صفة الصفوة 1/ 175 كتاب الوفيات لابن قنفذ ص 57)

(142) انظر الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 341

(143) انظر المصدر السابق . ج 4 ص 341

(144) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 342

(145) انظر نايف معروف ؛ مرجع سابق . ص 50

(146) وهو من أبناء وجوه القبائل اليمنية التي نزلت مصر عند الفتح ، وكان من الذين استمالتهم السبئية في مصر ، ورئيسا للمصريين الذين خرجوا لحصار عثمان بالمدينة ، وحين منع عثمان من الصلاة بالناس صار الغافقي هو الذي يصلي بالناس ثم كان أحد الذين دخلوا على الخليفة وقتلوه ، وبعد مقتل عثمان بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب (انظر : تاريخ الرسل للطبري 4/ 349و 354 و 391و 432)

(147) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 349

(148) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 350

(149) انظر يوسف العش ؛ مرجع سابق . ص 63

(150) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 351

(151) البلاذري ؛ مصدر سابق . ج 5 ص 66

(152) ابن كثير ؛ البداية والنهاية . ج 7 ص 195

(153) انظر الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 356

(154)انظر أحمد بن حنبل ؛ فضائل الصحابة،تحقيق/وصي الله بن محمد عباس (بيروت:

ط . بلا/1983م)ج1 ص480

(155)انظر صفي الدين الخزرجي ؛خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال(القاهرة:ط. 1/ 1903م) ص261

(156) انظر الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 415

(157) انظر أحمد بن حنبل ؛ فضائل الصحابة ، تحقيق/ وصى الله بن محمد عباس (بيروت: ط.بلا/1983م) ج 1 ص 480

(158) انظر على سبيل المثال : محمد الصادق عرجون ، الخليفة المفترى عليه .

(159) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 427

(160) المصدر السابق . ج 4 ص 434

(161) النوبختي ؛ فرق الشيعة تصحيح / هـ ريتر (استانبول ، مطبعة الدولة. ط.بلا/ 1931م) ص 4

(162) الأشعري ؛ مصدر سابق . ج 1 ص 54

(163) انظر الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 430

(164) انظر المصدر السابق . ج 4 ص 442

(165) فاطمة جمعة ؛ الاتجاهات الحزبية في الإسلام(بيروت : دار الفكر اللبناني.ط/ بلا 'ب . ت') ص 123

(166) انظر فاطمة جمعة ؛ مرجع سابق . ص 123

(167) انظر الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 442

(168) انظر فاطمة جمعة ؛ مرجع سابق . ص 124

(169) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 437

(170) المصدر السابق . ج 4 ص 438

(171) انظر نايف معروف ؛ مرجع سابق . ص 52

(172) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 493

(173) المصدر السابق.ج 4 ص 494 وانظر: ابن كثير؛ البداية والنهايةج7 ص239

(174) صفين (بكسرتين وتشديد الفاء) موضع بقرب الرقة على شاطيء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس (انظر ، ياقوت الحموي ،معجم البلدان.ج2 ص 414)

(175) انظر الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 494

(176) انظر الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 494

(177) انظر ابن كثير ؛ البداية والنهاية . ج 7 ص 240

الفصل الثاني

السبئية (الأفكار والآراء)

إذا كانت **السبئية** في أصلها مستمدة من الفكر اليهودي الذي استلهمه زعيمها ومؤسسها **ابن سبأ** ليدفع بها إلى الفكر الإسلامي على أشكال وأوجه مختلفة متظاهرا في ذلك بدعوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنها حملت على عاتقها مهمة هذا الدور اليهودي ضد الإسلام وهو ما لمحناه من خلال نشأة هذه الفرقة مرورا بالأدوار التي قامت بها من خلال إيقادها نار الفتنة بين المسلمين وتآمرها على قتل **عثمان بن عفان** وتشيعها **لعلي** والمناداة به خليفة للمسلمين إلى جانب دعواها **لطلحة والزبير** ثم تآمرها على **علي بن أبي طالب** الذي ادعت في بداية الأمر الانحياز إلى جانبه والوقوف معه لتصل في نهاية المطاف إلى الارتداد عليه والنكوص عن دعواها إليه .

هذه الأحداث التي أثارتها **السبئية** لم تنته مآسيها عند خطورتها في حد ذاتها ، بل أدت نتائجها إلى مآس أكبر ، وهي انتشار الفرقة بين المسلمين من خلال نشأة المذاهب والفرق السياسية التي اختلفت أهواؤها ومشاربها ، وتعددت بشكل مثير جدا فكان لكل فرقة مبادىء وآراء انطلقت من ميول وأهواء حزبية أساسها ذلك الصراع الذي دار بفعل الفتنة التي أحدثتها **السبئية** في العصر الإسلامي الأول .

سنتناول فيما يلي بالعرض والدراسة هذه الأفكار والآراء التي جاءت بها (**السبئية**) والمتمثلة في :

(أ) الوصية :

الوصية **ما أوصيت به** ، وسميت وصية **لاتصالها بأمر الميت** ، وقيل **لعلي** وصي لاتصال نسبه وسببه وسمته بنسب رسول الله **(ص)** (1)

وترتبط **فكرة الوصية** عند **السبئية** بالقول **برجعة النبي (ص)** فإذا كان لم يمت - في زعمهم - فهو غائب وغيبته مؤقتة ولابد من إمام ينوب عنه ويقوم مقامه ، وهذا النائب في نظر **ابن سبأ** هو الإمام **علي**، فكان ان ابتدع فكرة وصية النبي **(عليه السلام)** للإمام **علي** من بعده(2)

ونجد **شبه إجماع** لدى من أرخ **للسبئية** على **أن ابن سبأ** هو أول من قال بهذا ؛ **فالنوبختي والقمي** - الشيعيان - يتفقان على أن **ابن سبأ** هو أول من شهر القول بفرض إمامة **علي** (3)

ومعنى ذلك كما يقول **فتحي الزغبي** أنه سبق في الاعتقاد بها ، لكنه هو أول من أعلنها وأشهرها ، وهذا ليس بغريب عليهما فهما شيعيان يعتقدان بها إلا انني أميل إلى قول **المقريزي** (4)

و**المقريزي** في **(خططه)** يقول : " إن **ابن سبأ** هو الذي أحدث القول بالوصية **للإمام علي** بالإمامة والخلافة بالنص " (5)

ويشير **الطبري** إلى أن **ابن سبأ** كان يقول : " إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي ، وكان **علي** وصي **محمد** ، وإن **محمدا** خاتم الأنبياء ، **وعلي** خاتم الأوصياء ، ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله **(ص)** ، ووثب على وصي رسول الله **(ص)** ، وتناول أمر الأمة وإن **عثمان** أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله **(ص)** ، فانهضوا في هذا الأمر وحركوه " **(6)**

إن ظاهر هذا القول هو الطعن في **أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب** اللذين توليا الخلافة بعد وفاة الرسول **(ص)** ، ومن بعدهما الطعن في **عثمان** وخلافته . وقد مارس **ابن سبأ** الطعن فيما بعد في **عثمان** بشكل علني حتى آلت الأحداث إلى تأليب الناس عليه ورفض حكمه وقتله بعدها ، وهو ما عرضناه سابقا ، ولعل وجهة الانحراف في القول بالوصية ـ التي دعا إليها **ابن سبأ** ـ أنها كانت بمثابة تسويغ شرعي للغلاة ، إذ أنهم اعتمدوا عليها وكان أحدهم يدعي أنه وصي الإمام الذي يدعو إليه ، فيخدعون بها الناس الذين يتبعونهم ، وهي أيضا تقول على النبي **(ص)** وكذب عليه ، إذ أنه لو كان قد وصي بإمامة **علي** ، لكان **علي** نفسه قد أعلنها ولكان أبوبكر **(رضى الله عنه)** أول المبايعين له **(7)**

ويتفق **الزغبي والشابي** في القول بأن الدارس لتطور الفكر السياسي الإسلامي يلحظ أن دعاة كثيرين اتخذوا لهم على مدى التاريخ

هذه الوصية مطية لتركيز نفوذ قادتهم السياسي ، وصبغ هذه القيادة الصبغة الدينية المقدسة بحيث لا ينقض حكمهم مهما تكن ظروف الحياة(8)

والجدير بالملاحظة أن **فكرة الوصية** أو **الوصاية** قد تطورت عند بعض **شيعة علي** بعد ذلك فقالوا بالوصاية من **النبي** إلى من بعده إلى آخر أئمتهم **الثاني عشر** (9)

وبتتبع المراحل التاريخية التي مر بها المجتمع الإسلامي نرى أن ثمة فرقا اتجهت هذا الاتجاه إزاء **الوصية** ، حتى يمكن القول بشيء من الحذر، أن **فكرة الوصاية** وجدت قبولا من **أنصار علي** ، إذ هي تخدم أهدافا سياسية معينة ، ومن المؤكد أنها استغلت للدعوة لخلافة **علي** خاصة إبان الفتنة (10) لأنهم اعتقدوا أن بتأليههم **لعلي** يمكن أن يقبل المسلمون بعامة خلافته ، ويرضوه حكما بينهم ، وفق ما كانوا يرسمون له من خطط في اعتقادهم أنه سوف يسير عليها إرضاء لهم على أساس أنهم وقفوا إلى جانبه ونادوا به خليفة للمسلمين .

(ب) تأليه علي :

يقودنا الحديث عن تأليه **علي بن أبي طالب** من قبل **ابن سبأ** وجماعته **السبئية** إلى الحديث عن **الحلول** الذي كان مرتكز **فكرة التأليه لعلي** .

فالحلول من أهم مبادىء الغلو وأخطرها ، **ويراد به حلول الله ذاته أو روحه في البشر** ، وقد ذهب القائلون به مذاهب ، فقد " يكون الحلول بجزء ، وقد يكون بكل ، **أما الحلول بجزء** ، فهو كاشراق الشمس في كوة أو كإشراقها على البلور **أما الحلول بكل** ، فهو كظهور ملك بشخص أو شيطان بحيوان " **(11)**

وهناك إلى جانب مبدأ **الحلول** مبدأ **التناسخ** الذي كثيرا ما يستعمل أحدهما مكان الآخر في معنى واحد ، وكثيرا ما تستعمل الكلمتان **الحلول والتناسخ** في جملة واحدة ويراد بهما أمر واحد **(12)**

وقد استعمل **الشهرستاني** كلمة **تناسخت و حلت** بمعنى واحد من ذلك حديثه عن احدى الفرق حيث يقول : " وروح الله تناسخت حتى وصلت إليه ، وحلت فيه ، وادعى الألوهية والنبوة معا " **(13)**

ومن هذا نتبين أن **معنى الحلول والتناسخ متقارب إلى حد كبير** ، وهو الأمر الذي أكده **المعري** في **(رسالة الغفران)** حيث قال : " والحلولية قريبة من مذهب التناسخ " **(14)**

كما أن **المعري** يرى عودة مبدأ الحلول إلى أصل فرعوني إذ يقول : " وهذه المذاهب قديمة تنتقل في عصر بعد عصر ، ويقال ان **فرعون** كان على مذهب الحلولية ، فلذلك ادعى أنه رب العزة " **(15)**

غير أن **أبا سعيد نشوان** يرجع ذلك إلى **الديانات الإيرانية** ، وذلك من خلال كتابه **(الحور العين)** إذ يقول : " وقال أصحاب التناسخ منهم

بزرجمهر الفارسي ومن قال بقوله بإثبات الصانع ونفي التشبيه ودوام الدنيا على الأبد " **(16)**

وعلى هذا فإن الدكتور **محمد جابر عبدالعال** يقول برأي **نشوان** " فالذين ألهوا **عليا** محيون عقائد قديمة لها صلة بعقيدة النور القديمة على صورها المختلفة التي عاشت في أرض **العراق في** عصور عريقة في القدم التي هي الأساس لمذاهبهم المختلفة " **(17)**

كما يظهر من عقيدة **السبئية** أنها بنيت على الرأي القديم القائل بتجسد الألوهية **(18)** فكانوا يعتقدون **أن** جزءا إلهيا تجسد في **علي** ، وذلك بحلول هذا الجزء فيه **(19)** وتجعل **(السبئية)** للإمام نصيبا من الألوهية نفسها **(20)**

ولو عدنا إلى **الشهرستاني** لوجدناه يربط فكرة الحلول بمذاهب اليهود والنصارى ، أي أن الحلول جاء بعد التسليم بوجود الخالق فقال : " وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى " **(21)**

ومن قول **الشهرستاني** هذا نستنتج **أن** فكرة الحلول جاءت لاحقة لقضية القول بوجود إله واحد مصدرا للخلق ، وعنه تنتقل الروح أو القوة إلى بقية المخلوقات عن طريق الحلول ، كما أنه من تدقيق الاستعمالات للفظي الحلول والتناسخ وجدنا أن الحلول يستعمل في الأعم عند الحديث عن انتقال روح الانسان إلى غيره سواء إلى انسان

آخر أو إلى حيوان (22)

ولقد استعملت أكثر الفرق الغالية **فكرة الحلول** ، وسارت معها في معظم نشاطها وحركتها ، كما عملت الفرق الغالية على أن توقف عملية الحلول في أشخاص الأنبياء في البداية لذلك نجد فرقة **السبئية** قد قالت : " إن روح الله حلت في نبي ، وأنها تنتقل فيهم الواحد بعد الآخر" (23)

ونلاحظ من خلال ذلك أن الفرق الغالية انتقلت بالمبدأ هذا إلى الأئمة " وكان روح الله في **آدم** ، ثم في **شيث** ، ثم الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى **علي** وأولاده " (24)

وقد حاول الغلاة إيجاد دليل من القرآن لتبرير قولهم بالحلول ليصل بهم المطاف إلى الاستدلال بقوله **تعالى** في سورة الحجر " **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي** " (25) وذلك لإضفاء الألوهية على من تحل فيه روح الله (26)

ويتضح من كل ما سبق أن هذه الفرق الغالية التي قالت بالحلول قد وصلت إلى إلغاء الرسالة برمتها وبكل مقوماتها حيث جعلت ذات الله في الناس كافة ، وبذلك انعدمت الفوارق بين الله وبينهم ، فلا حاجة للرسل ولا للرسالات ، وغرضها جميعا إفساد القول بتوحيد الصانع ، وهدم مبدأ التوحيد الذي هو الركن الرئيسي في العقيدة الإسلامية ، ولهذا فقد كان **الحلول** من أخطر المبادىء التي واجه بها

الغلاة العقيدة الإسلامية (27) والتي اندس بها اليهود تحت ستار الإسلام بتعظيمهم **علي بن أبي طالب** وتأليههم له .

وألوهية **علي بن أبي طالب** قالت بها **السبئية** ، إذ ثبت في كتب الفرق أن أول من نادى بألوهية **علي** هو **ابن سبأ** ففي **(مقالات الإسلاميين)** يقول **الأشعري** عن **ابن سبأ** " وذكروا أنه قال **لعلي** عليه السلام أنت أنت " (28) ، وقد تناول **الشهرستاني** قول **ابن سبأ** ذلك وفسره بأنه يعني أنت الإله (29) وهو ما ذهب إليه **البغدادي** في **(الفرق)** ، (30) و**المقريزي** في **(الخطط)** (31) وكذلك **الإيجي** في **(شرح المواقف)** (32)

وفي **(الفرق بين الفرق)** نجد **البغدادي** يضيف إلى ذلك أن **ابن سبأ** ادعى نبوة **الإمام علي** قبل أن يدعي فيه الألوهية (33) ، كما أخذوا عن **ابن سبأ** القول بأن الجزء الإلهي يحل في الأئمة بعد **علي بن أبي طالب** (34) ، وهو أول من جهر بالغلو في أيام **علي** إذ قام إليه وهو يخطب فقال له : " أنت أنت ، . وجعل يكررها ، فقال له : ويلك من أنا ؟ فقال : أنت الله . فأمر بأخذه وأخذ قوما كانوا معه على رأيه " ويشير **ابن قتيبة** إلى أن **ابن سبأ** هو أول من قال : " **علي** رب العالمين " (35)

ويأتي المستشرق اليهودي المجري **جولدزيهر (Goldziher)** ليؤكد أن **تأليه علي** قد صاغه في مبدأ الأمر **عبدالله بن سبأ** (36)

كما أن **أحمد أمين** في **(فجر الإسلام)** يؤكد أن **ابن سبأ** هو أول من دعا إلى تأليه الإمام علي **(رضي الله عنه) (37)**

ولما اشتد هذا الخطر وذاع أمره بين الناس وصار المنادون به والداعون له يكونون جماعة كبيرة أمر **علي بن أبي طالب** بإحراق قوم منهم في حفرتين ، وخشي من إحراق الباقين منهم شماتة **أهل الشام** وخاف اختلاف أصحابه عليه **(38)** ، غير أن المصادر تثبت **أن ابن سبأ** تم نفيه إلى **المدائن (39)** ، وذلك بعد أن تشفع فيه بعض أصحاب **علي** ، ويظهر أن **ابن سبأ** قد تراجع عن قوله بعد أن وجد النار نصب عينيه **(40)**

لما رأيت الأمر أمرا منكرا

أضرمت ناري ودعوت قنبرا (41)

وزاد **ابن حزم** على ذلك : " فجعلوا يقولون وهم يردون في النار : الآن صح عندنا أنك اللـه ، لأنه لا يعذب بالنار إلا اللـه " **(42)** ويقال إنهم صاحوا به قائلين : " الآن ظهر لنا بينا أنك أنت الإلـه ، لأن ابن عمك الذي أرسلته قال لا يعذب بالنار إلا رب النار " **(43)**

ولم تنته هذه الدعوة بنفي زعيمها **ابن سبأ** إلى المدائن ، فلقد رأى أن وجوده **بالمدائن** سيسهل عليه مهمة انتشار فكرته وجذب الناس إليها ، وفعلا فقد اجتمع إليه جماعة على هذا الرأي منهم **عبدالله بن صبرة الهمذاني** ، **وعبدالله بن عمرو بن حرب الكندي** ، وتفاقم أمرهم

وشاع بين الناس قولهم ، وصار لهم دعوة يدعون إليها وشبهة يرجعون إليها ، وهي ما ظهر وشاع بين الناس من أخباره بالمغيبات حالا بعد حال ، فقالوا : إن ذلك لا يمكن أن يكون إلا من الله أو ممن حلت ذات الإله في جسده (44)

ويذكر **ابن أبي الحديد** أن **السبئية** أولوا قول الرسول **(ص)** لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده، فقالوا : " والذي هزم الأحزاب وحده هو **علي بن أبي طالب** لأنه قتل بارعهم وفارسهم **عمر بن الود**" (45) لما اقتحموا الخندق ، فأصبحوا تلك الليلة هاربين مغلوبين من غير حرب سوى قتل فارسهم (46) وبذلك فإن **السبئية** هم أول من أله **عليا** في حياته ، وقد كانت هذه العقيدة أساسية في مذهبهم (47) الذي حاولوا الترويج له بعد وفاة **علي** الذي عدوه **كالمسيح** قد شبه لهم وأنهم لا يمكن التصديق بوفاته ، حتى لو جيىء بدماغه إليهم في صره وشاهدوه بأعينهم .

(ج) الرجعة :

الرجعة المرة من الرجوع ، وهي مذهب طائفة من فرق المسلمين من أولي البدع والأهواء ، يقولون أن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيا كما كان ، ومن جملتهم طائفة من الرافضة يقولون أن **علي بن أبي طالب** مستتر في السحاب (48)

وهي عودة الشخص بنفسه مرة أخرى بعد موته أو غيبته ، وهي تفترق عن التناسخ الذي هو عودة الروح في جسد آخر بعد موت صاحبها (49)

وقد قال **ابن سبأ** بالرجعة على أساس أن **عليا** عنده **لم يمت** ، **وأنه سيرجع ويملأ الأرض عدلا** ، وهو قد اختار الزمن المناسب والبئية المناسبة لتقبل هذه الفكرة ، واختار الإمام المناسب معتمدا على حسن ظن عامة الناس به **وفكرة الغيبة والرجعة** هذه **هي التي مهدت الطريق للقول بالإمامة** أخطر بدعة كان لها أكبر الأثر في انقلاب الموازين ، وقد كان الهدف من وراء هذه البدعة تجميد نشاط المسلمين وانحسار دعوتهم حينما دعا **ابن سبأ** إلى الانتظار ريثما يرجع الإمام ، سد ثغرة ظهرت في الإمامة حين يموت إمام دون أن يخلف ولدا يرثه ، فبرر موته بغيبة ورجعة واعتبرها من جهة ثانية معجزة من معجزات الأئمة (50)

وفكرة **الرجعة** عند **ابن سبأ** مرت بمرحلتين بدأها بادعاء رجعة الرسول **(ص)** إلى الدنيا وكان يستشهد بقوله تعالى في سورة القصص " **إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** " (51) وقد قال بها و**علي** حي وثناها بعد موت **علي** مناديا برجعته .

ويرى الدكتور **محمد سليم العوا** أنه ليس من المعروف متى ولماذا تحول ـ ابن سبأ ـ عن القول برجعة الرسول **(ص)** إلى القول

برجعة علي **(رضى الله عنه)** (52) ، غير أنني أرى أن القول برجعة الرسول **(ص)** كانت مدخلا للقول برجعة **علي بن أبي طالب** ، وهي سياسة **ابن سبأ** المألوفة في تمرير مخططه وآرائه فقد ذكر **الطبري** أن **ابن سبأ** قال : العجب ممن يزعم أن **عيسى** يرجع ، ويكذب بأن **محمدا** يرجع ، وقد قال عز وجل : " **إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد**" (53) **فمحمد** أحق بالرجوع من **عيسى** ، ولقى هذا استجابة من أتباعه ، فقبل ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها(54)

وأرى أن استدلال **ابن سبأ** بالنص القرآني هو وسيلة من وسائله المعهودة ليكسب مستندا إسلاميا لادعائه ، ويكسب من خلاله ثقة أتباعه في دعوته ، أما نقل الفكرة بالرجعة **للإمام علي** بعد الرسول **(ص)** ، فإنما أحدثها بعد أن هيأ اتباعه بقبول رجعة الرسول **(ص)** ، فعندما توفي **علي** صارت الفرصة أمامه متاحة للقول برجوعه مؤكدا أنه لم يمت ويحفظ لنا التاريخ قوله وهو في منفاه بالمدائن عندما بلغه أمر وفاة **علي** " لو جئتنا بدماغه سبعين مرة ، وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض" (55) ولعل **ابن سبأ** بفكرة الرجعة هذه في بداية الأمر بالنسبة للنبي ذاته أي **أن النبي (ص)** سوف يرجع متقمصا شخص **علي** وحالا فيه ليستمر نور النبوة الإلهي في **ابن أبي طالب** (56)

وكان اتباعه الذين اعتنقوا مذهبه وتشربوا أفكاره يزعمون كزعمه بعدم موت الإمام وقد قالوا للذى نعى لهم **عليا** " كذبت يا عدو الله لو جئتنا بدماغه في صرة لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه " ثم قفوا من يومهم حتى اناخوا بباب **علي** فاستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته الطامع في الوصول اليه فقال لهم من حضره من أهله وأصحابه وولده " سبحان الله وما علمتم أن أمير المؤمنين قد استشهد " قالوا : " إنا لنعلم أنه لم يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه كما قادهم بحجته وبرهانه ، وأنه يسمع النجوى ، ويعرف تحت الديار العتل ويلمع في الظلام كما يلمع الصقيل الحسام " (57)

ويورد **ابن أبي الحديد** أنهم أضافوا بعد ذلك أن **عليا** صعد إلى السماء ، والرعد صوته والبرق سوطه وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا السلام عليك يا أمير المؤمنين (58) " وإذا نشأت سحابة بيضاء منيرة ، قاموا اليها يبتهلون ويتضرعون ويقولون قد مر **علي** بنا في السحاب"(59)

غير أننا نجد فرقة منهم تعترف بموته ، ولكن تقول إنه سيبعث قبل يوم القيامة ويبعث معه أهل القبور حتى يقاتل الدجال ويعم العدل والقسط في العباد والبلاد (60)

ومما نلاحظه عند هذه الفرقة الغالية هو أن **الرجعة** عندها عودة

الحياة إلى الشخص بعد موته ، وليس ظهوره بعد اختفائه ، وهذا القول **بالرجعة** قد شاع وانتشر في **اواسط الكوفة** بدعوة وتأثير من **السبئية** وبقيت بها إلى مدة طويلة حتى تم تحقيقها بطريقتهم الخاصة **(61)**

ويرى **ابن قتيبة** في **(عيون الأخبار)** أنه بلغه عن **أبي عاصم** عن **إسماعيل بن مسلم المكي** قال : " كنت **بالكوفة** فإذا قوم من جيراني يكثرون الدخول على رجل ، فقلت من هذا الذي تدخلون عليه ، قالوا هذا **علي بن أبي طالب** ، فقلت ادخلوني معكم ، فمضيت معهم وخبأت معي سوطا تحت ثيابي ، فدخلت فإذا بشيخ أصلع بطين ، فقلت له أنت **علي بن أبي طالب** ، فأومأ برأسه أي نعم ، فأخرجت السوط فما زلت أقنعه وهو يقول : لتاوى لتاوى ! فقلت لهم : يافسقة ! **علي بن أبي طالب** نبطي ! ثم قلت له : ويلك ! ما قصتك ؟ قال : جعلت فداك ، أنا رجل من أهل السواد أخذني هؤلاء فقالوا : أنت **علي بن أبي طالب**"(62)

ترى إلى أي مدى وصل استخفاف السبئية بعقول العوام ؟ وإلى أي مدى بلغ تأثير دعواهم حتى استدرجوا بعض السواد للاقتناع بهذا النبطي كونه عليا ؟ إلى أي مدى استطاع هؤلاء الغلاة المارقون أن يفعلوا ما فعلوا بعلي ؟ ويجرؤ - من باب حبهم الظاهر له - على القول هذا الذي يبطن وراءه بلا شك عداء كبيرا **لعلي** وللإسلام حيث صنعوا باحدى رجالاته معولا لهدم أحد أهم أساسيات هذا الدين .

ويمكن أن نلاحظ من ذلك **أن القول بالرجعة** هو منتهى الغلو ، إذ أنه تجاوز الحد في تصور شخصية الإمام ، فهو عندهم عصى على الموت فلا يؤمنون بموته ، فدفعهم هذا إلى القول بغيبته ثم بعد ذلك برجعته ، ولم يفعلوا هذا إلا لأنهم صدموا بموت هذا الذي اعتقدوا بالوصية فوجدوا في الرجعة تخلصا من الفناء وتحقيقا للخلود الذي هو من صفات الألوهية **(63)**

ومما يؤكد مبالغة **السبئية** في اعتقادهم برجعة **علي** ما قاله **ابن عباس لعبدالله بن شداد** " لأخبرنك بأعجب شيء . قرع اليوم ، علي بالباب رجل عندما وضعت ثيابي للظهيرة ، فقلت ما أتى به في مثل هذا الحين إلا أمر مهم أدخلوه ، فلما دخل قال متى يبعث ذلك الرجل؟ قلت أي رجل؟ قال **علي بن أبي طالب** ، قلت لا يبعث حتى يبعث الله من في القبور قال : وإنك لتقول بقول هذه الجهلة ، قلت أخرجوه عني لعنه الله " **(64)**

وهنا نخلص إلى القول بأن ما ادعاه ابن سبأ وأتباعه من اليهود ومن انساق وراء أفكاره هو تراث يهودي حاول به أن يشوه صورة الإسلام ويتسلل من خلاله إلى عمق فكر هذا الدين ، لتقويض بنيانه الذي أسس على نسف كل الموروثات القديمة التي من شأنها تجميد العقل وتحنيطه ، وهو بما ادعاه وأتباعه من اليهود وروج له من فكرة الوصية والرجعة وتأليه علي يكون قد دعي للإسلام ذلك إن

المسلم الحق لا يجرؤ على القول بهذا ، ناهيك عن إشاعته لسطو أبي بكر وعمر على سدة الخلافة التي لم يكونا بأحق بها من علي ، وتأليبه للناقمين على عثمان ، ثم إشعاله لنار الفتنة بين من ألبهم على عثمان ، حتى غدا بعضهم يضرب أعناق البعض ، ومطالبة كل فريق بالخلافة وهو يراقب ذلك الصراع ويؤجج أواره .

هوامش الإحالات :

(1) انظر ابن منظور ؛ لسان العرب (بيروت:دار صادر.ط/بلا'ب . ت')ج15ص 394

(2) فتحي الزغبي ؛ غلاة الشيعة (طنطا : مطبعة غباشي . ط/بلا 'ب .ت') ص 83

(3) النوبختى ؛ فرق الشيعة تصحيح / هـ ريتر (استانبول ، مطبعة الدولة . 1931م) ص 20 وانظر ، المقالات والفرق ص 20

(4) انظر فتحي الزغبي ؛ مرجع سابق . ص 83

(5) المقريزي ؛ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(بيروت:دار التحرير للطبع والنشر.ط.بلا/1968م) ج 3 ص 303

(6) الطبرى ؛ تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق / محمد أبوالفضل إبراهيم(بيروت : دار سويدان . ط/بلا 'ب . ت') ج 4 ص 341

(7) انظر فتحي الزغبي ؛ مرجع سابق . ص 84

(8) على الشابي ؛ أثر التراث الشرقي على المذهب السبني (النشرة الزيتونية للشريعة وأصول الدين . العدد الأول ـ السنة الأولى 1971م) ص 247 وانظر : فتحي الزعبي ؛ غلاة الشيعة . ص 84

(9) انظر محمد سليم العوا ؛ في النظام السياسي للدولة الإسلامية (القاهرة :المكتب المصري الحديث ط . 1983/6م) ص 59

(10) علي فهمي خشيم ؛ الجذور التاريخية للغزو الفكري في صدر الإسلام . دراسة بمجلة الثقافة العربية العدد (السادس) السنة (التاسعة) يونيو 1982م ص12

(11) الشهرستاني ؛ الملل والنحل (بيروت: دارالمعرفة.ط بلا/1986م)ج 1 ص 202

(12) عبدالله سلوم السامرانى ؛ الغلو والفرق الغالية (العراق : دار واسط. ط/بلا 'ب . ت')ص 125

(13) انظر الشهرستاني ؛ مصدر سابق . ج 1 ص 203

(14) انظر المعري ؛ رسالة الغفران . تحقيق / بنت الشاطيء (القاهرة ، دار المعارف ط. 1977/6م) ص 410

(15) انظر المعري ؛ مصدر سابق . ص 395
(16) انظر أبوسعيد نشوان الحميري ؛ الحور العين . تحقيق / كمال وصفي (القاهرة ، مطبعة السعادة ومكتبة الخانجي ومكتبة المتنى بغداد 1947م) ص 146
(17) محمد جابر عبدالعال ؛ حركات الشيعة المتطرفين (القاهرة:دار المعرفة.ط.بلا/1967م) ص 41
(18) فان فلوتن ؛ السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ، ترجمة / حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم (القاهرة:دار النهضة المصرية ، ط 2/ 1993م) ص81
(19) انظر المرجع السابق . ص 80
(20) راجع المرجع السابق . ص 82
(21) راجع الشهرستاني ؛ مصدر سابق . ج ص 363
(22) انظر السامرائي ؛ مرجع سابق . ص 126
(23) رونلدسن ؛ عقيدة الشيعة (القاهرة ، مطبعة الخانجي .ط/بلا 'ب . ت') ص 59
(24) انظر الشاطبي ؛ الاعتصام (القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى .ط/بلا 'ب . ت')ج3 ص 66
(25) سورة الحجر الآية (29)
(26) انظر أبوسعيد نشوان الحميري ؛ مصدر سابق . ص 166
(27) انظر السامرائي ؛ مرجع سابق . ص 128
(28) لأشعري ؛ المقالات والفرق . تصحيح وتقديم / محمد جواد مشكور (طهران ، مطبعة حيدري . ونشر مطبوعات عطالى. ط.بلا/1963م)ج 1 ص 86
(29) انظر الشهرستاني ؛ مصدر سابق . ج 2 ص 174
(30) البغدادى ؛ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم تحقيق / طه عبدالرؤف سعد (القاهرة ، مؤسسة الحلبي وشركاوه . ط/ بلا'ب . ت') ص 144
(31) انظر المقريزي ؛ مصدر سابق . ج 3 ص 303
(32) انظر الإيجي ؛ شرح المواقف في علم الكلام (بيروت ، عالم الكتب .ط/بلا'ب . ت') ج8 ص 385

(33) انظر البغدادي ؛ مصدر سابق . ص 144

(34) انظر المقريزي ؛ مصدر سابق . ج 3 303

(35) انظر ابن قتيبة ؛ المعارف (القاهرة: دار المعارف.ط . 6/ 1993م) ص 622

(36) جولدزيهر ؛العقيدة والشريعة في الإسلام.ترجمة/محمد يوسف موسى وآخرين (القاهرة وبغداد، دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى.ط.2/1959م)ص229

(37) انظر أحمد أمين ؛ فجر الإسلام (بيروت : دار الكتاب العربي . ط . 11/ 1979م) ص 269

(38) انظر البغدادي ؛ مصدر سابق . ص 143

(39) انظر الشهرستاني ؛ مصدر سابق . ج 1 174

(40) انظر فتحي الزغبي ؛ مرجع سابق . ص 85

(41) الملطي ؛ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تقديم وتعليق/ محمد زاهد الكوثرى (بغداد: دار المثنى . ط. بلا / 1968م) ص 18

(42) ابن حزم ؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل (بيروت:دار المعرفة . ط.بلا / 1986م)ج 4 ص 186

(43) انظر ابن أبي الحديد ؛ شرح نهج البلاغة (بيروت : دار الأندلس . ط. بلا/1983م) ج 1 ص 425

(44) انظر المصدر السابق . ج 1 ص 426 .

(45) انظر المصدر السابق . ج 1 ص 426 .

(46) انظر المصدر السابق . ج 1 ص 426

(47) انظر فتحي الزغبي ؛ مرجع سابق . ص 87

(48) انظر ابن منظور ؛ مصدر سابق . ج 8 ص 114

(49) انظر علي الشابي ؛ مرجع سابق . ص 253

(50) حسن صادق؛جذور الفتنة في الفرق الإسلامية(القاهرة:مكتبة مذبولي ط. بلا/1988م) ص134

(51) سورة القصص الآية (85)

(52) انظر محمد سليم العوا ؛ مرجع سابق . ص 98

(53) سورة القصص الآية (85)

(54) الطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 4 ص 34

(55) النوبختي ؛ مصدر سابق . ص 20

(56) علي فهمي خشيم ؛ مرجع سابق . ص 13

(57) الأشعري ؛ مصدر سابق . ص 21

(58) ابن أبي الحديد ؛ مصدر سابق . ج 8 ص 20

(59) الملطي ؛ مصدر سابق . ص 18

(60) ابن أبي الحديد ؛ مصدر سابق . ج 1 ص 425

(61) انظر فتحي الزغبي ؛ مرجع سابق . ص 90

(62) انظر ابن قتيبة ؛ عيون الأخبار (بيروت : دار الكتاب العربي . ط . ، 'ب . ت') ج 2 ص 150

(63) انظر فتحي الزغبي ؛ مرجع سابق . ص 90

(64) انظر ابن عبد ربه ؛ مصدر سابق . ج 1 ص 352

الباب الرابع

وهب بن منبه

الفصل الأول

مولده ونشأته . تكوينه و ثقافته

(أ) مولده ونشأته :

هو أبوعبدالله وهب بن منبه بن كامل الشيج اليماني الصنعاني (1) ويقال إن نسبه يتصل ببهرام جور الملك الآبناوى الصنعاني (2) وهو من الأبناء (3) فأبوه من هراة بخرسان (4) أرسل إلى اليمن زمن كسرى أنوشروان ، وأسلم في حياة النبي (ص) (5) وأمه من حمير (6)، وهو على الأرجح من أصل يهودي (7) ، وجملة آبائه كانوا على دين الفرس المجوسية أو الزردشتية (8)

وولد وهب في ذمار (9) على بعد مرحلتين من صنعاء ، وهناك اختلاف في تاريخ مولده ووفاته ، فالروايات تتباين في وفاته بين (110هـ) و(114هـ) ، ويبدو أن التاريخ الثاني هو الراجح ، ذلك أن ابن أخيه عبدالصمد بن معقل (10) ذكر أنه توفي في (11 محرم 114هـ/ 732م) (11) وقبره مشهور بجوار مسجده الذي عمره في ضواحي صنعاء الجنوبية في العرضي الشرقي (12)

ويورد **الذهبي** أنه **ولد في خلافة عثمان (13)** وهذا يجعلنا نميل إلى قبول الرواية بأنه توفي وعمره **(ثمانون)** سنة ، وهناك من قال **(تسعون) (14)** فيكون تاريخ ولادته سنة **(34هـ/ 654 ـ 655م)** وتشير المصادر إلى أنه زار **الحجاز** إلا أنه قضى جميع حياته في **اليمن (15)** ، وله **ثلاثة اخوة** ذكرهم **ابن سعد** في **طبقاته** وهم **همام(16) ومعقل (17) وعمر (18)** وأشار إلى أن **هماما ومعقلا** توفيا قبله **(19)** وله ولدان هما **عبدالله وعبدالرحمن** كانا قد رويا عنه الأخبار **(20)** كما روى عنه ابنا أخيه **عبدالصمد وعقيل** ابنا **معقل بن منبه (21)**

ونشأ **وهب باليمن** في ميل إلى الزهد ، حيث يشير **الذهبي** إلى أنه " لبث أربعين سنة لم يسب شيئا فيه الروح ، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءا " **(22)**

كما يشير **الحموي** في **(معجم الأدباء)** إلى قوله " كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء في كلها من جعل لنفسه شيئا من المشئية فقد كفر فتركت قولي " **(23)**

وقد أشار **ياقوت** إلى أن **عمرو بن دينار** قال : " دخلت على **وهب بن منبه** داره بصنعاء ، فأطعمني من جوزة في داره فقلت له : وددت أنك لم تكن كتبت في القدر كتابا فقال : وأنا والله وددت ذلك"**(24)** وذلك ما يؤكد مدى إنكار معاصريه عليه ما كان يقول ولعل

ذلك هو ماحمله عن الرجوع عنه .

ويعتقد **وهب بالأحلام** ويصف الله **(تعالى)** بأنه خالق الأحلام ، وقد اشتهر بأنه " **صادق الأحلام** " وظن أنه فقد هذه الموهبة فيما بعد**(25)** ، وعلى الرغم من أن **وهبا** قد أراد بالأحلام **العقول لا الرؤى** فإننا إذا ما تفحصنا مروياته في التفسير والتاريخ ، سنلاحظ بلا شك مدى اعتماده على **(الأحلام/الرؤى)** فيما يرويه مما لا صلة له بالتفسير ولا بالتاريخ ولا يجرؤ عاقل على قبولها ، ولاسيما ما يتعلق منها بحياة كثير من الأنبياء والرسل .

أشارت بعض المصادر **(26)** إلى أن **وهبا** أدرك من الصحابة **الحسين بن علي** ، وأخاه **محمد بن الحنفية وأباهريرة والنعمان بن بشير وأبا سعيد الخدري وأنس بن مالك** ، وكان **لوهب** صحبة مع **ابن عباس** ، قيل أنها استمرت ثلاث عشرة سنة ، وأن ممن روى عنهم **أباهريرة وأبا سعيد وابن عمر وابن عمرو بن العاص** وأخاه **هماما (27)** وغيرهم **(28)**

وفي خلافة **عمر بن عبدالعزيز** ولي القضاء **باليمن (29)** ومات وهو قاض **بصنعاء (30)** حيث سجن في الأعوام الأخيرة كما أنه جلد لأسباب لا نعرف عنها شيئا **(31)** وقد كان هذا الحبس نتيجة لأمر من الوالي **يوسف بن عمر الثقفي** الذي حكم **اليمن** من عام **(106هـ)** إلى **(120هـ)**وضرب **وهبا** في عام**(110هـ)** حتى أشرف على الموت**(32)**

(ب) تكوينه و ثقافته :

كان **وهب** واسع الثقافة كثير الاطلاع على كتب الأولين ، ولوعا بها إلى درجة كبيرة . يقول عنه **ابن خلكان** : " كان له معرفة بأخبار الأولين وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء **صلوات الله وسلامه عليهم** وسير الملوك " **(33)**

وذكر **ابن قتيبة** في كتابه **(المعارف)** أنه كان يقول : " قرأت من كتب الله **تعالى** اثنين وسبعين كتابا " **(34)** وقد ترجم له **العماد الحنبلي** في **(شذرات الذهب)** وقال : " كان شديد الاعتناء بكتب الأولين وأخبار الأمم وقصصهم بحيث كان يشبه **بكعب الأحبار** في زمانه " **(35)** ونقل عنه قوله : " قرأت نيفا وتسعين كتابا من كتب الله **عز وجل** ، سبعون أو نيف وسبعون ظاهرة في الكتابين ومنها عشرون لا يعلمها إلا القليل من الناس " **(36)** ولعل هذا إن صح يعني به فصولا من كتب الله السابقة كالسور من القرآن الكريم وليست كتبا مستقلة**(37)** وقوله لا يعلمها إلا القليل تعطيه بلا شك الفرصة في أن يأتي بما لا يجرؤ أحد على تكذيبه فيها .

ومن هذا نستنتج أن **وهبا** كان من أصحاب الأخبار والقصص التي عادة ما يعتريها الخلط والكذب وينسجها في الغالب الخيال ، وهو ما دعا **ياقوت الحموي** إلى نعته بـ" الأخباري صاحب القصص" **(38)**

وابن خلكان بـ" صاحب الأخبار والقصص " **(39)** وقد أيد **ياقوت الحموي وابن خلكان** المؤرخ **الذهبي** الذي قال عنه : " كان أخباريا علامة قاصا " **(40)**

والذي نلاحظه من هذه الروايات **أن وهبا** كان مجرد قاص أخباري لا يمكن أن نحسبه على المؤرخين الذين يسردون الأخبار عن مصادرها مراعين ثقة المصادر ناظرين بأعينهم الناقدة ما يروون من أخبار وما يصل إليهم من قصص ، وهو بهذا الاتجاه يكون قد خالف **مدرسة المدينة** التي لم تعن بهذا النمط من قبله **(41)**

ولو رجعنا إلى المصادر التي أشارت إلى هذا العدد الهائل من الكتب التي قرأها **وهب** لتبين لنا تعذر قبول مثل هذه الأخبار ، وذلك كما يبدو من التباين الواسع في عدد الكتب وكما يبدو من نسبتها **(42)** ولهذا فإننا نميل إلى الرأي القائل بأن معلومات **وهب** كانت في حقيقة الأمر مستقاة من **أهل الكتاب** الذين اتصل بهم في موطنه **اليمن** الذي اشتهر منذ الجاهلية باستيطان هاتين الديانتين **(اليهودية والنصرانية)** وتصارعهما فيه **(43)** .

ولو سلمنا فرضا بأن **مرويات وهب** منبعها الكتب المقدسة لوقفنا على حقيقة اختلاف تلك الأخبار عن النصوص المقدسة ، حيث لاحظ **ابن قتيبة** الفرق بين معلوماته عن بدء الخليقة وبين **سفر التكوين(44)** ومقارنة **ابن قتيبة** لمعلومات **وهب** تدل على أنه أضاف

مادة إلى ما أخذه عن **العهد القديم** والنصوص ، وعناصر هذه المادة تستند إلى شرح الآيات القرآنية وإلى **الإسرائيليات** وإلى تأملاته في كتب أهل الكتاب (45) .

ويشير **ابن حجر** في **(التهذيب)** إلى أن " أخاه **هماما** كان يشتري له الكتب " (46) التي كان كثيرا ما يرجع إليها ليستقي منها أخباره ورواياته وليضيف إليها من خياله وأفكاره ، وكان يتقن **اليونانية والسريانية والحميرية** ، ويحسن قراءة الكتابات القديمة الصعبة التي لايقدر أحد على قراءتها (47) ولعل انفراده بقراءتها يسر له سبيل قول ما شاء .

وذكر **ابن عساكر** في **(تاريخ دمشق)** أن " **الوليد بن عبدالملك** حين هدم **الكنيسة** التي كانت في مضارب **المسجد** (48) وجدوا في حائطها الغربي حجرا فيه **كتاب بالسرياني** فطلبوا من يقرأه فلم يجدوا أحدا يقرأه ، ثم أتاه رجل من اليهود فقال له : يا أمير المؤمنين **وهب بن منبه** يقرأ كل كتاب ، فبعث **الوليد** إلى **وهب** فقدم إليه فقرأه فبكى بكاء شديدا . فأتوا **الوليد** فقالوا له : يا أمير المؤمنين هو يبكي منذ قرأه . ثم جاءه فقال له : يا **وهب** ايش رأيت في الحجر ؟ قال : رأيت فيه ، ابن آدم لو رأيت يسير ما بقى من أجلك لزهدت في طويل ما ترجو من أجلك ، فإنما تلقى بدمك إن زلت بك قدمك وأسلمت أهلك وحشمك وفارقك الحبيب وودعك القريب ، فلا أنت إلى أهلك بعائد ولا في

عملك بزائد ، فاحتل ليوم القيامة قبل يوم الحسرة والندامة " **(49)** .

كما **يدعى وهب** أنه كان يتقن **اليونانية والسريانية والحميرية**، وأنه كان ينقل من **التوراة والكتب اليهودية** ، وله أخبار عن **اليمن** والأقوام العربية البائدة . ونجد روايته عن **نصارى نجران** وتعذيبهم وقتلهم على أيدى **ذي نواس** وقصة **الراهب فيميون** مطابقة **للروايات النصرانية** ، ولما جاء في كتاب **شمعون الإرشامي** عن هذا الحادث**(50)** ، والظاهر أنه كان قد أخذها من **المؤلفات النصرانية** أو من أشخاص كانوا قد سمعوا بها ورد **حادث نجران** من أخبار ، وقد ذكر أن **وهبا** كان يستعين بالكتب ، وأن أخاه **همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليمانى (51)** كان يقص كتب اليهود وأحاديثهم من غير تحر دقيق ومن غير أن تصبغ روايته بصبغة علمية (52) .

هوامش الإحالات :

(1) محمد بن عبدالملك المروني ؛ الثناء الحسن على أهل اليمن(بيروت:دار الندى.ط.1990/2م)ص 210

(2) المصدر السابق . ص 210

(3) هم الجيل الجديد الذي ظهر في اليمن من تزاوج الفرس باليمانيين ، وغلب عليهم هذا الاسم لآن امهاتهم من غير جنس أبائهم .

(4) بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان وليس ذلك منها انما هو أطراف حدودها وتشمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس (ياقوت الحموي، معجم البلدان.ج2ص 250)

(5) عبد العزيز الدوري ؛ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت : المطبعة الكاتولوكية .ط.بلا/ 1960م) ص 104

(6) خير الدين الزركلي ؛ الأعلام (بيروت : دار العلم للملايين . ط . 5/ 1980م) ج 8 ص 126

(7) برهان الدين دلو ؛ جزيرة العرب قبل الإسلام (بيروت : دار الفارابي . ط . 1/ 1989م) ج 1 ص 17

(8) محمود أبورية ؛ أضواء على السنة المحمدية . (القاهرة : دار المعارف . ط 1980/5م) ص 113

(9) بكسر أوله وفتحه وبناؤه على الكسر واجراؤه على اعراب ما لا ينصرف ، وهي قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء (ياقوت الحموي ، معجم البلدان.ج3 ص7)

(10) ابن منبه وكان يروي عن وهب بن منبه (ابن سعد ، الطبقات الكبرى.ج5 ص547)

(11) انظر : (ابن عساكر 7/ 490 وفيات الأعيان 2/ 238 معجم الأدباء 259/19

ميزان الاعتدال 278/3 الكواكب الدرية 1/ 178 الأعلام للزركلي 9/ 150 طبقات ابن سعد5/ 543 حلية الأولياء 23/4كشف الظنون 1240/ 1328 شذرات الذهب 1/ 150 طبقات الخواص 161 تهذيب التهذيب 11/ 166 ذيل المذيل 95 تاريخ العرب قبل الإسلام 1/ 48 مرآة الجنان 1/ 248 الثقات 5/ 487)

(12) انظر محمد بن عبدالملك المروني ؛ المرجع السابق . ص 211

(13) انظر الذهبي ؛ تذكرة الحفاظ (بيروت : دار احياء التراث العربي . صححه / عبدالرحمن بن عيسى ط/بلا 'ب . ت') ج 1 ص 88

(14) انظر ابن خلكان ؛ وفيات الأعيان تحقيق/ احسان عباس (بيروت : دار الثقافة . ط /بلا "ب . ت")ج 6 ص 36

(15) انظر الواقدي ؛ المغازي تحقيق/ مارسدن جونس (بيروت : عالم الكتب . ط/بلا"ب . ت") ج 1 ص 22

(16) أكبر من أخيه وهب ولقي أباهريرة وروى عنه رواية كثيرة وتوفي قبل وهب سنة احدى أو اثنتين ومائة وكان يكنى أبا عقبة (ابن سعد ، الطبقات الكبرى . ج 5 ص 544)

(17) يكنى أبا عقيل ومات قبل أخيه وهب وقد روى عنه (ابن سعد ، الطبقات الكبرى . ج 5 ص 544)

(18) يكنى أبا محمد وقد روى عنه أيضا (ابن سعد ، الطبقات الكبرى.ج 5 ص 544)

(19) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى(بيروت: دار صادر. ط/بلا 'ب . ت')ج5ص 544

(20) محمد حسين الذهبي؛التفسير والمفسرون(القاهرة:دار الكتب الحديثة، ط . 2 /1976م) ج 1 ص 195

(21) علي محمد حماز؛التعريف برواة مسندالشاميين(بيروت:دارالكتب الثقافية . ط .1/1989م)ص462

(22) انظر الذهبي ؛ تذكرة الحفاظ . ج 1 ص 439

(23) انظر ياقوت الحموي ؛ معجم الأدباء(بيروت:دارإحياء التراث العربي.ط 1988/1.م)ج19 ص 259

(24) المصدر السابق . ج 19 ص 259

(25) الذهبي ؛ تذكرة الحفاظ . ج 1 ص 440

(26) محمد عبدالملك المرونى ؛ مصدر سابق . ص 211

(27) من الأبناء ، وكان أكبر من أخيه وهب بن منبه ، ولقي أبا هريرة وروى عنه رواية كثيرة ، وتوفي قبل وهب ، مات سنة احدى أو اثنتين ومائة ، وكان يكنى أبا عقبة (انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى. ج 5 ص 544)

(28) علي محمد حماز ؛ مرجع سابق . ص 462

(29) انظر:اليافعي ؛ مرآة الجنان ج 9 ص 248 الذهبي ؛ تاريخ الإسلام ج1ص 438 ابن قتيبة ؛ المعرف . ص233

(30) ياقوت الحموي ؛ معجم الأدباء . ج 19 ص 260

(31) الذهبي ؛ تذكرة الحفاظ . ج 1 ص 442

(32) المصدر السابق . ج 1 ص 442

(33) ابن خلكان ؛ مصدر سابق . ج 6 ص 35

(34) انظر ابن قتيبة ؛ المعارف (القاهرة: دار المعارف.ط.1993/6م)ص 202

(35) ابن العماد ؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب(بيروت:دار المسيرة. ط . 2/ 1979م) ج 1 ص150

(36) الاصبهاني ؛ حلية الأولياء (بيروت : دارالكتاب العربي . ط.5/ 1987م)ج 4 ص 56

(37) انظر فاروق حمادة ؛ مصادر السيرة النبوية وتقويمها (الدارالبيضاء : دار الثقافة.ط.1/ 1980م) ص 47

(38) ياقوت الحموي ؛ معجم الأدباء ج 7 ص 232

(39) ابن خلكان ؛ مصدر سابق . ج 6 ص 35

(40) الذهبي ؛ تذكرة الحفاظ . ج 1 ص 439

(41) حسين نصار ؛ نشأة التدوين التاريخي عند العرب (بيروت : دار اقرأ . ط . 2/ 1980م) ص 50

(42) انظر :تعليق الدكتور عبدالعزيز الدوري على ذلك في(بحث في نشأة علم التاريخ عندالعرب) ص105

(43) انظر حسين نصار ؛ مرجع سابق . ص 51

(44) انظر ابن قتيبة ؛ المعارف . ص 8

(45) انظر عبدالعزيز الدوري ؛ بحث في نشأة علم التاريخ عندالعرب ص 106

(46) انظر ابن حجر؛ تهذيب التهذيب(حيد أباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية .ط. بلا/ 1326هـ) ج 11 ص67

(47) انظر جواد علي ؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت ، بغداد : دار العلم للملايين و مكتبة النهضة . ط .2/ 1978م) ج1 ص 84

(48) المقصود مسجد دمشق أيام الوليد

(49) ابن عساكر ؛ تاريخ دمشق (دمشق ، ط. بلا/1349هـ) ج 6 ص 201

(50) انظر برهان الدين دلو ؛ مرجع سابق . ج 1 ص 17

(51) انظر جواد علي ؛ مرجع سابق . ج 1 ص 85

(52) انظر أحمد أمين ؛ فجر الإسلام (بيروت : دار الكتاب العربي . ط . 11/ 1979م) ص 205

الفصل الثاني

اتجاهاته وآثاره

يغلب على أخبار **وهب** طابع القصص الشعبي الخرافي التي لا تستند إلى حقائق التاريخ ولا تراعي جانب الدقة ، بل إنها لم ترتفع عن الادعاء الكاذب ، ولذا فانه يعتبر اخباريا قاصا (1) وقد اعتبر **السخاوي** أخباره غير جديرة بالمؤرخين الجديين حيث جاء باتجاه منحرف ضعيف بالنسبة لوجهة المحدثين في **المدينة** ، ولكنه جعل من **الإسرائيليات** مادة لتاريخ قبل الإسلام (2)

واستطاع **وهب** بأخباره الإسرائيلية **أن** يدخل عنصر القصص إلى الدراسات الإسلامية حيث جمع من هذه القصص ما كان متداولا منها ولاسيما قصص **كعب الأحبار وعبدالله بن سلام** ، ثم أضاف اليهما ما حصل عليه من قصص أخرى بعد اتصالاته بأهل الكتاب وقراءاته للكتب المقدسة (3)

ولما غلب طابع القصص الشعبي والخرافي على أخبار وهب ذهب المؤرخ **(هاملتون جب)** إلى القول بأن كتابي **وهب بن منبه وعبيد بن شرية (4)** " يمداننا ببرهان ساطع على أن العرب الأول كانوا يفتقرون إلى الحس والمنظور التاريخيين ، حتى عندما يتطرقان

إلى ذكر أحداث تكاد تكون معاصرة لهما " (5)

ومن خلال دراستنا **لأخبار وهب** واطلاعنا على جانب من آثاره التي وصلت إلينا ، يمكن القول بأن **كتب وهب** كانت بعيدة كل البعد عن الكتابة العلمية التاريخية ، بل هي مجرد أخبار وقصص استقى بعضها من الكتب القديمة واخترع بعضها الآخر من خياله ، ولذلك فلا يمكننا الاستناد إليها أو اعتمادها مصدرا من مصادر التاريخ، وقد حفظت لنا بعض المصادر التاريخية التي تعرضت لوهب طائفة من عناوين الكتب التي نسبت إليه ولم تصلنا بمجموعها ، لكنها وردت عن طريق تلك المصادر بإشارات بعض مروياتها من خلال السياق التاريخي للأحداث .

فورد أن من آثاره تصنيفا في ذكر **(الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم)** في مجلد و **(قصص الأنبياء)** و**(قصص الأخيار)** و**(كتاب القدر)** و**(كتاب الإسرائيليات)** (6)

وذكر **ابن سعد** في **طبقاته** أنه ألف **(أحاديث الأنبياء والعباد وأحاديث بني إسرائيل)** (7) ويشير **النديم** في **(الفهرست)** إلى أن **لوهب** كتابا بعنوان **(المبتدأ)** (8) ولعل **حاجي خليفة** في **(كشف الظنون)** يشير إلى أقسام من نفس هذا المؤلف **(التيجان)** حين ينسب إلى **وهب (قصص الأخيار)** و**(قصص الأنبياء)** ، كما يشير إلى كتاب **(الإسرائيليات)** (9) أما **روزنتال** (**Rosenthal**) فإنه يرى أن كتاب

(الإسرائيليات) هو نفسه كتاب **(المبتدأ)** (10)

فمن هذه المقتطفات التي وصلتنا يبدو لنا أن **وهبا** تناول بدء الخليقة وقصص الأنبياء والعباد ولم يصلنا كتاب بما ذكر من عناوين ، ولكن وصلتنا بعض آثاره مقتبسة من **الطبري** في **(التفسير)** و **(التاريخ)** و **ابن قتيبة وابن إسحاق** (11) وكتاب **(التيجان)** ، وتردنا الروايات في **الطبري** على الأكثر إلى **إسماعيل بن عبدالكريم بن عبدالصمد بن معقل** (12) أخي **وهب** عن **وهب** ، وبهذا نلاحظ أن روايات **وهب** وقصصه أصبحت كما يبدو إرثا لعائلته التي حاولت نشرها وربما الإضافة إليها على يد **عبدالمنعم بن إدريس وإسماعيل ابن عبدالكريم بن معقل بن منبه** ، ولعلهما لجآ إلى الوضع لتمجيد **اسم وهب** (13) ومن ناحية أخرى فقد صار **وهب** علما في **الإسرائيليات** ويحتمل أن آخرين أضافوا إليه أو عدلوا في قصصه ، لأننا نحس بتناقض في الروايات المنسوبة إليه في المصادر الأولى مثل **الطبري وابن قتيبة والمسعودي** (14) وهذا لا ينفي عنه بالطبع أنه كان مختلقا لكثير من تلك الروايات التي تتداخل وتتناقض في عمومها بين ما يمكن قبوله عقلا وبين ما هو مجرد أساطير وخرافات صنعها **وهب** وزاد عليها من خياله .

ولعل التناقض الذي يلاحظه المتتبع **لروايات وهب** في كتب التاريخ نابع من غياب الحس النقدي التاريخي لانعدامه لديه ، وهو لا

يورد عادة إلا الأمور الغريبة مثل **مولد المسيح وحياته** ، ولا تعدو رواياته عن **التبابعة والعرب البائدة** أن تكون قصصا ، وأما علمه بأخبار العرب الآخرين ، فيكاد يكون صفرا ، فلا نجد في رواياته شيئا يعد تاريخا **لعرب الحيرة أو الغساسنة أو عرب نجد** وهو في هذا الباب مثل **عبيد بن شرية** من طبقة القصاص لم يصل إلى مستوى أهل الأخبار ، ولعله وجد نفسه ضعيفا في التاريخ وفي أخبار العرب فمال إلى الشيء المرغوب فيه والذي لا يدانيه فيه أحد وهو القصص الإسرائيلي وما يتعلق بأقوام ماضين ذكروا في القرآن الكريم وكانت بالمسلمين الأولين حاجة إلى من يتحدث لهم عن تلك القصص وأولئك الأقوام (15) وهو ما أشار اليه **ابن خلدون في مقدمته** ، أثناء حديثه عن مرويات أهل الكتاب .

(أ) اتجاهاته :

تظهر **اتجاهات وهب** الفكرية في كتاباته التي وصلت الينا مجتمعة ومتفرقة بين عدد من المصادر التاريخية ، وهي **لا تتعدى تناول قصص بعض الأنبياء وتاريخ بلاده اليمن وتاريخ الفتوح .**

وبدراسة هذه **الاتجاهات الثلاثة** نستطيع أن نحكم على كتابات **وهب** كما يمكننا أن نقف على ذلك الكم الكبير من **الإسرائيليات** التي روج لها **وهب** في الثقافة العربية وتناقلها الرواة من بعده ، حتى غدت

جزءا من تراثنا الثقافي الذي انتشر عن طريق أولئك الرواة بين مصادر التاريخ الإسلامي وتواتر جيلا عن جيل مع الأيام إلى أن صار تاريخا عند كثيرين ممن انساقوا وراء الخرافات دون أن يلتفتوا إلى معرفة مصادرها ، **وهذه الإتجاهات هي** :

1 ـ قصص الأنبياء السابقين

على الرغم من إشارة بعض الكتاب إلى أن **وهب بن منبه** ألف كتابا حول قصص الأنبياء فإننا لم نعثر خلال تقصينا وبحثنا في مصادر دراستنا **لوهب** على كتاب بهذا العنوان **(قصص الأنبياء)** بالرغم من الإشارة إلى أنه ألف كتابا في هذا الاتجاه ، ولكن ما روي عنه هو أنه وضع كتاب **(المبدأ)** أو **(المبتدأ)** وهو مبدأ الخلق وسير الأنبياء ، وبذلك يكون أول من وضع الهيكل القصصي لتاريخ العالم على أساس الرسل والنبوات **(16)** وهو الذي استغله **الثعلبي** فيما يبدو في كتابه **(عرائس المجالس في قصص الأنبياء)** وصار يقص منه كحاطب الليل دون أن يكلف نفسه عناء التحرى عن تلك الروايات التي ينقلها عنه ، وإذا كان عنوان كتاب **(المبتدأ)** يشير إلى مبتدأ الخلق ، فإن الكتاب يضم كثيرا من قصص الأنبياء **(17)** .

وبالنظر إلى النصوص المعززة **لوهب** التي تناولت جانبا من القصص المتعلقة بأنبياء الله **آدم وإدريس ونوح وداود وسليمان**

وأيوب وزكريا ، نجد أن مجملها فيه تطاول واضح على مسألة العصمة التي نؤمن بها في حق الأنبياء (**عليهم السلام**) ، كما أن الإجماع قائم في جميع الأديان على ذلك أي أن الأنبياء (**عليهم السلام**) " معصومون من تعمد الكذب والشرك قبل البعثة وبعدها ، فكل نبي من الأنبياء الذين اصطفاهم الله من الناس ، ليكونوا سفراء الله إلى خلق الله ، وجبت له العصمة من ذنبين مفرطين في القبح وإليهما تنتهي الذنوب والمعاصي جميعا هما ـ الكذب والشرك ـ فالنبي معصوم قبل النبوة ، من الكذب لخسته وحقارته ، ومن الشرك لفظاعته ، وبعد النبوة من باب أولى ، وذلك أن قضية الاصطفاء تستلزم كمال المصطفي وخلوه من الذنوب المفرطة في الشناعة والقبح ، ولا تلائم الذوق الإنساني فكيف بالإنسانية المختارة التي أعدها الله لحمل الرسالات وإخراج الناس من الظلمات إلى النور" (18)

ومن هذه النصوص ما كان حول خلق الله **تعالى** لآدم (**عليه السلام**) فقد أورد **ابن قتيبة** عن **وهب** قوله : " وخلقه الله يوم الجمعة ، ومكثا في الجنة ستة أيام ، فكان أول شيء أكلاه ـ **يعنى آدم وزوجه حواء** ـ في الجنة العنب . وكانت الشجرة التي نهيا عنها شجرة البر . وكان الله **عز وجل** أخدم **آدم** في الجنة الحية . وكانت أحسن خلق الله **تعالى** لها قوائم كقوائم البعير . فعرض **إبليس** نفسه على دواب الأرض كلها أنها تدخله الجنة ، فكلها أبى ذلك عليه إلا الحية .

فإنها حملته بين نابين من أنيابها ثم أدخلته الجنة ، ولما تاب **الله عز وجل** على **آدم** أمره أن يسير إلى **مكة** ، فطوى له الأرض . وقبض عنه المفاوز ، فلم يضع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عمرانا ، حتى انتهى إلى **مكة** . وكان مهبطه من جنة عدن في **شرقي أرض الهند** . وأهبط الله عز وجل حواء **بجدة** ، والحية **بالبرية** ، وإبليس على **ساحل بحر الأبله** " **(19)**

ففي هذا النص يشير **وهب** إلى مسائل هامشية جدا في أحداث **قصة آدم** حيث لا يترتب على معرفتها أو الجهل بها أي شيء ، بداية من خلقه يوم الجمعة إلى أول شيء أكله **وحواء** في الجنة وهو العنب إلى اسم الشجرة التي نهيا عن أكلها ، وحتى قصته الأسطورية مع الحية التي حملته بين نابيها إلى الجنة ، إلى جانب تحديد مكان نزوله من الجنة في شرقي أرض الهند فيما كان مهبط حواء **بجدة** والحية **بالبرية** وإبليس على **ساحل بحر الأبلة** .

ولما مات **آدم** قال **وهب** : " حفر له في جبل **أبى قبيس** ، في موضع يقال له : **غار الكنز** . فلم يزل في ذلك الغار حتى كان زمن الغرق ، فاستخرجه **نوح** وجعله معه في تابوت في السفينة . فلما نضب الماء ، وبدت الأرض لأهل السفينة ، رده **نوح** إلى مكانه" **(20)**

والحق أن **قصة الطوفان** الذي حدث أيام نوح **(عليه السلام)** ذكرت مفصلة في القرآن الكريم **(21)** كما أشار النص القرآني إلى من

حمل في السفينة مع نوح (**عليه السلام**) لكن التابوت الذي حمل رفات آدم (**عليه السلام**) والذي أشار إليه قول **وهب** في النص السابق لم نجد له أية إشارة في النص القرآني ، إذ لو كان هذا الحادث قد وقع حقا وأنه ثمة ضرورة لذكره ، لذكر في سياق النص القرآني .

ويحكى عن **وهب** أن نبي الله إدريس (**عليه السلام**) " كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض جميعهم في زمانه ، فعجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت ، فاستأذن الله في زيارته ، فأذن له فأتاه في صورة بني آدم ، وكان **إدريس** يصوم الدهر ، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه ، فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال ، فأنكره وقال في الليلة الثالثة إني أريد أن أعلم من أنت ، قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أزورك وأصاحبك فأذن لي في ذلك فقال **إدريس** لي إليك حاجة فقال : ما هي؟ قال اقبض روحي ، فأوحى الله **تعالى** إليه أن أقبض روحه ، ثم ردها إليه بعد ساعة ، فقال له ملك الموت : فما الفائدة في سؤالك قبض الروح ، قال لأذوق كرب الموت وغمه فأكون له أشد استعدادا ، ثم قال له : لي إليك حاجة أخرى ، قال وما هي؟ قال ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة فأذن له في ذلك فلما قرب من النار قال : لي إليك حاجة ، قال : وما تريد؟ قال : تسأل مالكا يفتح لي أبواب النار حتى أراها ، ففعل ذلك ، ثم قال : فكما أريتني النار فأرني الجنة ، فذهب به إلى الجنة فاستفتحها

ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت أخرج لتعود إلى مقرك ، فتعلق بشجره وقال : لا أخرج منها ، فبعث الله ملكا حكما بينهما ، فقال له الملك : ما لك لا تخرج؟ قال : لأن الله **تعالى قال : " كل نفس ذائقة الموت** " وقد ذقته ، وقال **تعالى " وإن منكم إلا واردها** " ، وقد وردتها ، **وقال تعالى " وما هم بمخرجين** " فلست أخرج **فقال الله تعالى** لملك الموت : دعه فإنه بإذني دخل الجنة وبأمرى لا يخرج ، فهو حى هناك فتارة يعبد الله في السماء الرابعة وتارة يتنعم في الجنة"(22)

ترى كيف عرف وهب مقدار ما كان يرفع لنبي الله تعالى إدريس (عليه السلام) من الأعمال ، ولو صح أنه كان يعرف ذلك حقا ، فهل يمكن أن يصدق قوله بأنه كان يرفع له مثل ما يرفع لأهل الأرض جميعا ، وهو ما يتناقض مع عدالة الله تعالى في كونه يجازي كل إنسان عن عمله فحسب ، ثم كيف يتعجب الملائكة من أمر قضاه الله تعالى ـ هذا إن صح قول وهب ـ حتى أن ملك الموت دون غيره من الملائكة يشتاق إليه ويستأذن الله تعالى في زيارته ، وكيف يمكن لملك الموت الذي أوكلت له مهمة قبض أرواح العباد أن يمكث رفقة إدريس (عليه السلام) ثلاث ليال متفرغا له تاركا مهمته ؟ وكيف يسوغ لنا أن نصدق أن إدريس(عليه السلام) كان في غفلة عن الموت وهو الذي يدرك هذه الحقيقة بإيمانه القوى وصلته مع الله

تعالى حتى يطلب من ملك الموت أن يذيقه طعم الموت ليعرف أهوالها وغمها ويستعد لها ؟ ومتى كان أنبياء الله تعالى في غير استعداد ليوم الممات ولقاء الله ؟

وكيف يسوغ لوهب أن يورد قصة سياحة إدريس (عليه السلام) في السماء بين الجنة والنار ؟ بل وكيف يسوغ له أن يقول ذلك حيث لم يورد القرآن الكريم أي شيء من ذلك سواء عن إدريس (عليه السلام) أو عن غيره ناهيك عن حكاية الملك الذي أرسله الله تعالى حكما بعد أن تعلق إدريس (عليه السلام) بإحدى أشجار الجنة رافضا الخروج منها ، ثم تدخل الله تعالى ليمكث إدريس (عليه السلام) في الجنة يعبد الله تعالى تارة في السماء وتارة أخرى يتنعم في الجنة .

ونقل عن وهب قوله : " كانت الملائكة في زمان **إدريس** يصافحون الناس ويسلمون عليهم ويكلمونهم ويجالسونهم ، وذلك لصلاح الزمان وأهله . فلم يزل الناس على ذلك ، حتى كان زمن **نوح** وقومه ثم انقطع ذلك " **(23)**

إن الطبيعة البشرية لا تتفق مع طبيعة الملائكة ـ وفق المعتقد الإسلامي ـ ولذلك فإننا لا يمكن أن نصدق أن الملائكة كانت تتنزل من السماء لتصافح البشر ؛ فالملائكة لم تتنزل فيما ذكر القرآن إلا على من اختارهم الله **تعالى** لتأدية رسالته ، ولو صدقنا بما أورد **وهب** في هذا

الشأن فكيف يمكن أن نصف زمن نوح **(عليه السلام)** بانتفاء وجود الصلاح فيه حتى تحجم الملائكة عن مصافحة الناس في زمانه؟

وأورد **الأصبهاني** عن **وهب** قوله : " مرت بنوح **(عليه السلام)** خمسمائة سنة لم يقرب النساء وجلا من الموت " **(24)**

إن نوحا **(عليه السلام)** لم يكن سوى بشر ممن خلق الله **تعالى** وأودع في نفسه شهوة النساء بحكم بشريته ، وهو نبي مرسل لا نشك في إيمانه وعفته أما ما أورده **الأصفهاني** عن **وهب** في كونه امتنع خمسمائة عام عن قرب النساء لا يمكن قبوله عقلا ووفق شريعة الله في ذلك ، إلا إذا تجرأنا عليه واتهمناه بالقصور عن تحقيق هذه الرغبة البشرية ، وهو ما لا يمكن في حق نوح **(عليه السلام)** لأنه إنسان سوي اختاره الله **تعالى** لتأدية رسالته .

وفي كتاب **(الكامل في التاريخ)** يورد **ابن الأثير** عن **وهب** قوله : " إن **سام بن نوح** أبو العرب وفارس والروم ، وإن **حام** أبوالسودان وإن **يافث** أبوالترك ويأجوج وماجوج ، وقيل : إن القبط من ولد **فوط ابن حام** ، وإنما كان السودان في نسل **حام** لأن **نوحا** نام فانكشفت سوأته فرآها **حام** فلم يغطها ورآها **سام ويافث** فألقيا عليه ثوبا ، فلما استيقظ علم ما صنع **حام** وإخوته فدعا عليهم " **(25)** .

وفي **سفر التكوين** نجد هذه القصة أيضا غير أنه لا توجد إشارة إلى الدعوة بالسواد ولكن بلفظ اللعنة **(26)** .

لقد أثبت هذا النص الوارد عن **وهب** حسب رواية **ابن الأثير** وما ورد في **سفر التكوين** حول الموضوع ذاته أن **وهبا** كان يعود في قصه للأحداث إلى **التوراة** ويأخذ منها ، وهو ما يؤكد لنا استخدام **وهب** لعنصر الأسطورة في رواياته للأحداث والابتعاد بها عن حقيقتها ، ولكنه لا يكتفي بما ورد فيها وإنما يزيد عليها من خياله الأسطوري الخصب بما يغير حقيقة الحدث من ناحية ، ويسيء إلى أشخاص الأنبياء ، ويشوه صورهم في أعين الناس من ناحية أخرى وهو ما ينفي عنهم العصمة الواجبة في حقهم **(عليهم السلام)** .

وعن داود **(عليه السلام)** يورد **وهب** أنه بعد الخطيئة " خر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بد منها ، أو صلاة مكتوبة ، ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب ، وهويبكي حتى نبت العشب حول رأسه ، وهوينادى ربه **تعالى** ويسأله التوبة " (27)

وفي هذا النص يظهر **(وهب)** نبي الله **تعالى** داود **(عليه السلام)** بمظهر المخطيء في حق الله **تعالى** وهو على حد نصه أخطأ خطأ فادحا حتى أنه ظل ساجدا **(أربعين يوما)** ندما على فداحة هذا الخطأ ، لا يأكل ولا يشرب ، وهو يبكي ، حتى نبت العشب حول رأسه ولا أعتقد أن ثمة من يصدق أن بشرا يمكنه أن يعيش طوال هذه الفترة بدون أن يأكل ولا يشرب كما أن طبيعة الحياة والحركة البشرية لا

تسمح أن يظل المرء في وضع السجود الدائم طيلة **أربعين يوما** .

وبالنظر إلى النصوص الواردة عن **وهب** والمتعلقة بقصص الأنبياء ، نلاحظ أن أطول تلك النصوص وأغزرها كان مما يتعلق بنبي الله **تعالى** سليمان **(عليه السلام)** ، ولكننا سنعرض لجانب منها للتدليل على خرافية هذا المسلك في اتجاه **وهب** القصصي .

فعن نبي الله سليمان **(عليه السلام)** يورد **الثعلبي** عن **وهب** قوله : " بينما سليمان **(عليه السلام)** على ساحل البحر ، والريح من تحته ، والإنس عن يمينه ، والجن عن شماله ، والطير تظله ، فدعته نفسه أن يعلم ما في قعر البحر ، فأمر الريح فسكنت من تحته ، ثم قعد على كرسي ملكه ، ثم دعا رأس الغواصين ، فقال له اختر من أصحابك **مائة رجل** ، فاختار له **مائة رجل** ، فقال اختر لي من **المائة ثلاثين** ، فاختار له ثلاثين ، فقال له اختر لي من **الثلاثين** ، **عشرة** فاختار له **عشرة** ، فقال له اختر لي من **العشرة ثلاثة** ، فقال **لواحد** منهم غص حتى تنظرإلى قعر البحر وتأتني بالخبر فقال له سمعا وطاعة لك يا نبي الله فغاص في البحر وأبعد ، ثم خرج **فقال له سليمان** : ما الذي رأيت؟ قال يا نبي الله ما رأيت إلا أمواجا وحيتانا ، غير أني رأيت ملكا عظيما ، فقال لي أين تريد؟ فقلت له إن نبي الله **سليمان** أرسلني انظر له قعر هذا البحر ، فقال : ارجع إليه فأقرأ عليه مني السلام ، وقل له إن قوما ركبوا هذا البحر منذ **أربعين عاما** فعاب

عليهم مركبهم فخرجوا يصلحونه ، فسقط من أحدهم قدوم ، فهو يتجلجل في البحر ، ولم يبلغ قعره بعد ، فرجع إليه وأخبره بالخبر ، فتعجب نبي الله سليمان من ذلك " (28)

إن كون النبي سليمان (**عليه السلام**) سخرت له الريح وعلم منطق الطير ، ليس محل جدال وتشكيك للنص الصريح الوارد في القرآن الكريم ، ولكن أن يرسل النبي سليمان (**عليه السلام**) غواصا يستطلع له قعر البحر ليرجع بعد ذلك محملا بسلام ملك عظيم في البحر، ويقول على لسانه أن قادوما سقط في هذا البحر ، ولا يزال يتجلجل في البحر دون أن يبلغ قعره ، فهو أمر لا يمكن أن يصدق - إن صدقت رواية **وهب** أصلا - لأن البحر صار بحكم الزمن مجرد حي من الأحياء التي استطلعها العلم الحديث ووصل إلى أعماقها بل واستطاع التعرف على كل أسرارها وخفاياها .

ويورد **الثعلبي** عن **وهب** أنه لما دعا **سليمان بلقيسا** إلى الصرح قال لها : " ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة ، وهي معظم الماء ، فكشفت عن ساقيها لتخوضه إلى **سليمان** ، فنظر سليمان (**عليه السلام**) ، فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما ، إلا أنها كانت شعراء الساقين ، فلما رأى **سليمان** ذلك صرف بصره عنها " (29)

ففي هذا النص يصور **وهب** نبي الله **تعالى** سليمان (**عليه السلام**) تصويرا سيئا فهو - حسب روايته - شهواني لم تلفت نظره

عظمة الله **تعالى** في أن سخر له من خلقه من حقق معجزة إتيانه بعرش **بلقيس** كما هو من بعده ، إنما لفت نظره ساقا **بلقيس** المشعران ، وسرعان ما صرف بصره عنهما ـ **حسب رواية وهب** ـ عندما اكتشف أنهما بشعان بهذه الصورة وكأن سليمان **(عليه السلام)** ليس سوى ملك من ملوك زمانه الذين لم تشغلهم سوى النساء وملذات الحياة ، وهو الذي اختاره الله **تعالى** من بين من اختار من خلقه لتأدية رسالته ، للسمو بهم إلى المعاني الروحية والابتعاد بهم عن الانحطاط في براثن الشهوات الحيوانية والملذات الزائلة .

وينقل **ابن جرير الطبري** عن **وهب** في تفسير قوله **تعالى** "**ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب** " (30) قوله : " كان **لسليمان** مائة امرأة ، وكانت امرأة منهن يقال لها **جرادة** وهي آثر نسائه عنده وآمنهن عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها ، فجاءته يوما من الأيام ، فقالت : إن أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك ، فقال لها : نعم . فابتلي وأعطاها خاتمه ودخل المخرج ، فخرج الشيطان في صورته ، فقال لها : هاتي الخاتم فأعطته ، فجاء حتى جلس على مجلس **سليمان** ، وخرج **سليمان** بعد فسألها أن تعطيه خاتمه، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا وخرج من مكانه تائها ، قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما . قال : فأنكر الناس

أحكامه ، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم فجاؤوا حتى دخلوا على نسائه ، فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن **سليمان** قد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه ، وفي رواية فسألوهن عن أحواله فقلن : إنه يأتينا ونحن حيض . قال : فبكى النساء عند ذلك . قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ، ثم نشروا التوراة فقرأوا ، قال : فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب إلى البحر ، فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر ، قال : وأقبل **سليمان** في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع ، وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم . قال : إني **سليمان** ، فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجه ، فجعل يغسل دمه وهو على شاطىء البحر . فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه فقالوا : بئس ما صنعت حيث ضربته ، قال : إنه زعم أنه **سليمان** . قال : فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم ، ولم يشغله ما كان به من الضرر حتى قام إلى شط البحر فشق بطنهما فجعل يغسلهما ، فوجد خاتمه في بطن احداهما ، فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه " **(31)**

وبتأمل هذا النص يتضح أمامنا **مدى استخفافه ـ أي وهب ـ بعقول الناس** وهو يورد مثل هذا المقال في حق نبي من أنبياء الله **تعالى** ظنا منه أنه بالإمكان تصديق ذلك ، **إذ إن الشيطان لو قدر على التشبه في الصورة والخلقة بالأنبياء ، لما بقي اعتماد على شيء من**

الشرائع ، فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس في صورة محمد وموسى وعيسى **(عليهم السلام)** ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل إغواء الناس وإضلالهم ، ولما كان ذلك باطلا لأنه يؤدى إلى ابطال الدين بالكلية (32)

ويورد **ابن كثير** في كتابه **(البداية والنهاية)** عند قوله **تعالى** : " **حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يأ أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون** " (33) أن **وهبا** قال : " إن هذه النملة كان اسمها **جرسا** وكانت من قبيلة يقال لهم **بنو الشيصبان** وكانت عرجاء وكانت بقدر الذئب " (34)

يظهر **وهب** في هذا النص على علم بقبائل النمل وأجناسه ومسمياته ، **فمن أين ياترى جاء باسم هذه النملة؟ وكيف عرف أن للنمل قبائل كما للبشر حتى يذكر اسم قبيلتها ؟** وليس ذلك فحسب ، فقد بين أنها كانت عرجاء وأنها بقدر الذئب وعلى افتراض أننا صدقنا روايته فيما يتعلق باسمها واسم قبيلتها فكيف يمكن أن نصدق أن هناك نملة بحجم الذئب ، وللنمل أحجامه وأشكاله المعروفة التي لا يمكن أن تصل وإن كبرت إلى حجم الذئب .

وينقل **الخازن** في تفسيره **(لباب التأويل في معانى التنزيل)** عند تفسير قوله تعالى " **وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم**

معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين " (35) عن **وهب** قصة طويلة بها من الخرافة والأسطورة ما لا يصدقها عقل لما فيها من التعارض مع مقام النبوة دون أن يبدى ما ينتقدها لتأثره فيما يبدو **بالإسرائيليات**(36) ولعل من أبرز الأمور التي تضمنتها القصة مما لا يمكن للعقل أن يقبله ذكره للأمراض المنفرة التي أصابت أيوب **(عليه السلام)** وهو ما لا يصح إطلاقا في مقام النبوة ، **لأن النبي المرسل من عند الله بمثابة الاخصائي الاجتماعي الذي لا بد له من الغوص في أعماق المجتمع والتعرف عليه ومعالجة مشكلاته** ، وإصابته بالمرض المنفر يحول حتما بينه وبين القيام بهذه المهمة .

2 ـ تاريخ اليمن القديم

يندرج هذا الاتجاه عند **وهب** في إطار مدرسة اليمن التي كان من أهم أسباب ظهورها ذلك التنافس القديم بين **عرب الجنوب** العريقين في التوطن الحضاري ، وبين **عرب الشمال** الذين صاروا بعد الإسلام حديثي نعمة وحكم وحضارة ، ونفس عليهم الجنوبيون ما صاروا إليه من المجد فجعلوا يلهجون بسابق **مجد اليمن** ، يضاف إلى ذلك الرغبة في إثبات **الوجود اليمني** بجانب **الوجود القيسي** الشمالي في **العهد الأموي** وبعض الإشارات القرآنية إلى **اليمن** التي تحتاج إلى التفسير ،

ورغبة الموالي في معرفة كافة الجوانب من تاريخ العرب (37)

وقد أخذت هذه المدرسة منذ نشأتها على يد **كعب الأحبار** المنهج القصصي والأسطوري ، ولما كانت **اليمن موطن وهب** الذي عاش فيه جانبا من حياته ، جاء تأريخه فيه تاريخا خرافيا متأثرا بتلك المدرسة ، فكتب فيه كتابه **(الملوك المتوجة من حميروأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم)** وهو كتاب قصصي أدبي يمتلىء بالشعر والأساطير اليمانية الشعبية ، ويظهر فيه **اليمن** بمظهر السابقة في التوحيد وفي الشعر والفتوح والأدب والصنعة **(38)** ، والذي يتصفح هذا الكتاب يلاحظ أنه ليس كله **لوهب** وإنما تصرف فيه **ابن هشام** تصرفه في سيرة **ابن إسحاق** ، وإن كان لا يصرح بذلك كما فعل في السيرة ولذلك لا نستطيع أن نعرف مدى تصرفه ، غير أننا يمكننا أن نعرف الإضافات التي جلبها من روايات أخرى وصرح بسندها ؛ فهو يروي أخبارا عن **محمد بن إسحاق** عن طريق تلميذه **البكائي** ، ويروي عن **أبي مخنف** وعن **محمد بن السائب الكلبي** ، وعن **عبيد بن شرية** ، وعن بعض المحدثين ، ولكنه إلى جانب ذلك يروي مجموعة كبيرة من الأخبار التي لا يسندها إلى أحد وهي بالطبع ترجع إلى رواة مختلفين قد يكون منهم **وهب** نفسه . والأمر الجدير بالملاحظة أننا نرى جل الأخبار قبل الصفحة المئة من الكتاب منسوبة إلى **وهب** ، ولكنها تقل شيئا فشيئا حتى تكاد تنعدم بعد ذلك **(39)**

وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام (**1347هـ**) غير أن النص الكامل للكتاب ظل مجهولا ، حتى قدر له الظهور في طبعة مركز الدراسات والأبحاث اليمنية بهمة الدكتور **عبدالعزيز المقالح** وحماستة .

يصف الدكتور **المقالح** كتاب **(التيجان)** في مقدمته له بقوله " قرأته هذه المرة بعين وقلب الشاعر لا بعقل الباحث أو المؤرخ ، وقد أدهشني حقا وحملني إلى عوالم من الخيال والأساطير تتضاءل أمامها تلك الأفلام الغريبة المدهشة التي تمطرنا بها استديوهات هوليوود"**(40)** ويضيف الدكتور **المقالح** " أن كتاب **(التيجان)** يجمع بين الحادثة التاريخية والقصص الديني ، وبين الخرافة والأسطورة ،والاهتمام به ليس اهتماما بالتاريخ ، فهو لا يشكل مرجعا تاريخيا أو مصدرا علميا ، وإنما يأتي الإهتمام به والحرص عليه من أنه كتاب فني يسجل ميلاد فجر القصة العربية ، وطريقة روايتها " **(41)**

وفي كتابه (**في الرواية العربية**) يصفه **فاروق خورشيد** بأنه " المنبع الأول لما عرف العرب من أساطير حول نشأة الكون وقصص مبدأ العالم وظهور اللغات ونشأة اللغة العربية " **(42)**

ويكشف كتاب **(التيجان)** عن بعض خصائص **وهب** في الكتابة، فهو مثل الجاهليين مغرم بالشعر ، مكثر من روايته ، وأكثر هذا الشعر منحول سخيف ركيك **(43)** بعضه أورده منسوبا لأسماء لا علاقة لها

الشعر ، ولم يعرف عنها قول شيء منه ، حيث نسب بعض ما رواه إلى نبي الله تعالى آدم (عليه السلام) من ذلك نسوق على سبيل الاستدلال ما أورده في رثائه ـ أي آدم ـ لابنه هابيل حيث قال :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

وجاورنا عدو ليس يهدي لعين لا يموت فاستريح

أيا هابيل يا ثمر الفؤاد أبعد العين مسكنك الضريح

محل تخلق الأجسام فيه ويبلى عنده الوجه الصبيح

فعيني لا تجف عليك سحا وقلبي الدهر محزون قريح (44)

وفي كتابه (التيجان) تظهر عند وهب نزعة إسلامية واضحة ، فهو يعنى بجلب آراء العلماء المختلفين في بعض المواضع مثل اختلافهم في خلق الجنة وفي قتل قابيل هابيل ، حيث تأثر وهب بالقرآن الكريم في القصص التي ورد ذكرها فيه ، فحاول أن يتبع خطاه وأن يستند إلى آياته (45) مع بعض الإضافات الأخرى التي كان يتزيد بها على النص القرآني سواء مما كان يدعي استقاءه من الكتب القديمة ، أو من بعض إضافات خياله الأسطوري الخصب ، حيث يقول في وصفه الخلق : " فاضطرب الماء وهاج ، فاصطفق فأزبد فصار أرضا ، فخلق الله الحوت والبحر من ذلك الزبد ، ثم رفع الله السماء وهي دخان "فقال لها : وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتيا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين " وخلق الملائكة وأوحى في كل سماء أمرها،

أسكنهم السموات يسبحون ويهللون ويقدسون الواحد القهار ، لق الجبال في الأرض أوتادا " **(46)**

ونجد في تاريخ **وهب** ما وجدناه في مواعظه من إسرائيليات تنفذ إليه وتشيع فيه ولاسيما أن الموضوعات التي تناولها كانت تساعد على هذا الانتشار ، وأظهر ما تتضح هذه **الإسرائيليات** في الجزء الأول من الكتاب الذي يعالج فيه المؤلف كيفية خلق العالم وآدم وأولاده حتى نوح **(عليه السلام)** وأبنائه الثلاثة كما يشتد وضوحها أيضا في تناوله لقصة **بلقيس وسليمان** (47)

وإذا تصفحنا **(التيجان) لوهب بن منبه** ، فإننا نجد بلا شك ذكر الاسم وترجمته العربية ، من ذلك مثلا **(قينان)** الذي يترجمه **باللسان العربي من اللغة العبرانية** إلى **(مشترى)** (48) و**(مهليل)** الذي يفسره **باللسان العربي** من **العبرانية** إلى **(ممدوح)** (49) و**(مالالى)** الذي يترجمه من **السريانية** إلى **العربية** إلى **(مسيح الله)** (50) كما نراه يذكر بعض اللغات الأخرى مثل **الحميرية** حين يقول : " **وكان يقال لحمير (العرنجج) والعرنجج : (العتيق)** " **(51)**

ولا يختلف كتاب **(التيجان) لوهب** كثيرا عن كتاب **عبيد بن شرية** (52) في طريقة العرض ؛ فهما يطلقان لخيالهما العنان في تصوير الوقائع ، ويلونان الحوادث التاريخية بأطياف خيالية قد تخرج بها إلى حد الخيال والأسطورة ، كما يدخلان في تاريخهما كثير من

الحوادث التي لا أصل لها ، ولذلك يصدق عليهما اسم القصص التاريخي أكثر من أي نعت آخر . ونحن نعدهما امتدادا للحركة القصصية التاريخية التي كانت موجودة في الجاهلية . ولعل الذي نسخ الكتابين في نسخة واحدة رجل حكيم عرف منهما مواطن الشبه هذه ، التي تجعلنا لا نجد بينهما كبير فرق (53)

ونخرج من هذه الشواهد ونحن على ما يشبه الإطمئنان ـ **كما يقول حسين نصار** ـ من معرفة **وهب** باللغة **العبرانية والسريانية** ، ومما يزيدنا يقينا بمعرفته اللغات غير العربية ذلك القول في كثير من المراجع بأنه قرأ الكتب أو العدد منها ، وأن تفسيره للكلمات **العبرية والسريانية** كان صحيحا في أغلبه ، وربما استمد **وهب** بعض معارفه مما كان شائعا من قصص بين أهل الكتاب وإن لم يوجد في **إنجيل** أو **توراة** (54) .

3 ـ تاريخ الفتوح

وهو جانب من التاريخ الإسلامي المهم الذي نشأ بقيام الفتوحات الإسلامية وامتدادها التاريخي ، حيث يذكر صاحب (**كشف الظنون**) أن **لوهب** كتابا بعنوان (**كتاب الفتوح**) ويذكر أنه جمع المغازي (55) ، ومع ذلك فإننا لا نجد ذكرا **لوهب** مع رواة سيرة الرسول (ص) إلا أن **بيكر**(c . h . becker) وجد بين مجموعة أوراق

بردى شت رينهاردت (tt - reinhardt) المحفوظة الآن في **هيدلبرج،** مجلدا يرجح أنه يحوى قطعة من (**كتاب المغازى**) هـذا ، وتـاريخ نسـخ هذه القطعة عام (**228هـ**) ، فهى ليست بعد وفاة **وهـب** بـأكثر مـن مئـة عـام ، وتبدأ بالعبـارة " أخبرنـا **محمـد بن أبي بكر أبـو طلحـة** حدثنـا **عبدالمنعم** عن أبيه عن **أبـي إليـاس** عـن **وهـب** " ويتكـرر هـذا الإسـناد الذي ينسب ما في المجلد إلى **وهب** في أثناء النص فـي غـالب الأحيـان ولكن **وهبا** لا يصرح أبدا بأسماء من روى عنهم أخباره (**56**)

وكونـه لـم يصـرح عـادة بمـن روى عنهم يعنـي أن معلوماتـه يخالطها الدس والزيادة والتصرف حسبما يروق له لأن نسـبة المعلومـة لمصدرها يمكن أن تظهر الحقيقة كما هي بالرجوع إلى ذلك المصدر ، ومنهج **وهب** يقتضى في الغالب طمـس تلـك الحقـائق واعتمـاد مـا يـراه منها .

"وتبين لنا قطعة (**هيدلبرج**) أن **وهبا** لم يتناول المغازى بالمعنى الخاص ، فهى تحتـوى تـاريخ **العقبـة الكـبرى** وحديـث قريـش فـي **دار النـدوة** ، والاسـتعداد للهجـرة ، و**الهجـرة** نفسـها ، ووصـول النبـى إلـى المدينة ، وغزوة **بنى خيثمة** ، وإذا كنا قلما نجد فـي قطعـة (**هيدلـبرج**) شيئا جديدا لم نجده في **كتب السيرة والمغازى** التي وصلت إلينا كاملة ، فإنها تهمنا لأسباب ، منها أنها تؤيد ما يقـال مـن أن سـيرة النبـى كـانت تروى في عام (**100هـ**) أو قبل ذلك بقليـل ، كمـا فـي الكتـب المتـأخرة

بالضبط ، وأن **وهبا** لا يذكر رواته ، وإن كان يلتزمهم ، وأنه يقطع القصة النثرية بإدخال قصائد ينسبها للمشتركين في الحوادث أو لمعاصريهم ، كما كانت عادة قصاص العرب منذ قديم الزمن " **(57)**

ويتبن لنا من خلال هذا أن **وهبا** تناول الفترة المكية والمدنية من حياة الرسول **(ص)** ، وبذلك يكون قد تعدى المفهوم السائد في تلك الفترة فيما يتعلق بالمغازى ، حيث حفظت لنا **(حلية الأولياء) قطعتين لوهب** من المغازى تتناول **الأولى فتح مكة (58) والثانية وفاة النبي (ص) (59)** وفي كليهما يذكر الإسناد على غير عادته ، **ولعله** ـ إن صح هذا الإسناد ـ أراد من ذلك إيداع الطمأنينة في بعض مروياته حتى يتسنى له فيما عدا ذلك ترويج ما يراه ، وربما لصعوبة الدس في سيرة الرسول **(ص)** بحكم الاهتمام التاريخي الذي أولاه الأخباريون بها تدوينا وإسنادا .

يقول **وهب** في وفاة النبى **(ص)** : " فلما كان يوم الأحد ثقل في مرضه ، فأذن **بلال** بالأذان ثم وقف بالباب ، فنادى : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله ، الصلاة يرحمك الله ، فسمع رسول الله **(ص)** صوت **بلال** ، فقالت **فاطمة** : يا **بلال** ، إن رسول الله **(ص)** اليوم مشغول بنفسه . فدخل **بلال** المسجد ، فلما أسفر الصبح قال : والله لا أقيمها أو أستأذن سيدي رسول الله **(ص)** ، فرجع وقام بالباب ونادى : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله الصلاة يرحمك الله . فسمع

رسول اللـه (ص) صـوت بلال ، فقـال أدخـل ، إن رسـول اللـه(ص) مشغول بنفسه ، مر أبا بكر يصلي بالناس ، فخرج ويده على أم رأسه وهو يقول : واغوثاه بالله ، وانقطاع رجائي ، وانقصام ظهري ، ليتني لم تلدني أمي ، وإذ ولدتني ليتني لم أشهد من رسول اللـه (ص) هذا اليوم . ثم قال : يا أبا بكر ، ألا إن رسول اللـه (ص) أمرك أن تصلي بالناس . فتقدم أبوبكر للناس ، وكـان رجـلا رقيقـا فلمـا نظـر إلـى خلو المكان من رسول الله (ص) لـم يتمـالك أن خـر مغشـيا عليـه ، وصـاح المسلمون بالبكاء ... فلما كان في يوم الإثنين اشتد به الوجع ، وأوحى الله تعالى إلى ملك الموت (عليه السلام) أن أهبط إلى حبيبي وصفيي محمد (ص) في أحسن صورة ، وأرفق به في قبض روحه ، فهبط ملك الموت (عليه السلام) فوقف بالباب شبه أعرابي ، ثم قال السلام عليكم ، يا أهل بيت النبوة .." (60)

يعلق حسين نصار على هـذه الفقـرة بقولـه : " ولكـن قارئهـا لا يسعه إلا أن يشك فيها الشك الشديد ، فأسلوبها مما لا نألفه في أساليب تلك الفترة ، وعبارتها غريبة عن الرجل العربي الذي يعيش في ذلك العصر ، وقد لعب فيها الخيـال دورا كبيرا ، وذلـك إذا صحت نسبتها لوهب ، فإننا لا نستطيع أن نطلق عليه لفظ مؤرخ ، بل قصاص "(61)

وأسلوب القطعتين المتعلقة بوفاة النبي (ص) وتلك المتعلقة بفتح مكة ، هو عين أسلوب القصص الشعبي مع طابع أسطوري

واضح ، وقد جاءتنا عن طريق **عبدالمنعم بن إدريس** (62) الذي رواها عن **وهب** على غير عادته في الإسناد كما أشرنا آنفا ، وهي مع ذلك لا يشار إليها في كتب السيرة ولم ينظر إليها نظرة جدية . ووجهتها تختلف كليا عن وجهة **مدرسة المدينة** ، لقد كان **وهب بن منبه** ، كما لاحظنا ، قاصا قدم في **مبتدئه** وفي أخباره عن **اليمن** أقاصيص وأساطير أوردها وكأنها تاريخ . وبهذا ادخل عنصر القصة إلى حقل التاريخ كما يتبين من الروايات المأخوذة عنه ، في **ابن اسحاق واليعقوبي و ابن قتيبة و الطبري و المسعودي** كما أنه أثر في قصص الأنبياء كما في كتب **الكسائي والثعلبي** (63)

ويبدو أن القصاص سواء أكانوا شعبيين أم من الوعاظ أثروا في نبرة الكتابة عن السيرة أحيانا في فترات تالية بإدخالهم شيئا من الميل للمبالغة وللخيال ، ولكنهم على كل حال لم يعدوا مؤرخين ولم يوجدوا وجهة تاريخية في كتابة السيرة ولا يخفي أن القصص الشعبي عن السيرة وعن المسلمين الأولين هو امتداد للقصص القديم في أسلوبه، وهذا ما لم ترض به **مدرسة المدينة** للمغازي ، ويمكن التأكيد إذن على أن خطوط السيرة وموادها لم تأت عن طريق القصاص ، بل إن ذلك كان عمل أهل المغازي من المحدثين ومن سار على طريقتهم في المدينة (64)

وبهذا يتضح أمامنا أن ما رواه **وهب** في تاريخ الفتوح وما

يتعلق بالسيرة تحديدا لم يكن له أصل من مصدر صحيح يمكن الركون إليه ، إنما كانت كل تلك الأخبار التي رواها في هذا الصدد ـ وغيره ـ من قبيل الأساطير الإسرائيلية التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة ، وقد حاول **وهب** من خلال ذلك أن يلج إلى هذا المضمار الذي لم يرد عنه في كتب السيرة والفتوح أي شيء فيها .

(ب) آثاره :

يتضح لنا مما سبق **أن** مرويات **وهب** لا تستند إلى مصدر صحيح حتى يمكن إدراجها ضمن الكتابة التاريخية ، وهي وإن استندت إلى مصدر ، لا تعدو أن تكون معزوة إلى مصادر وهب المتمثلة في الكتب القديمة والعدد الهائل الذي ذكر أنه قرأه ، وهي كتب خالطها التزييف والتشويه ، وما صح منها فهو مليء بالتناقض الذي يحول دون الثقة بها والركون إليها .

وكثير من الأخبار التي رواها هي مجرد حكايات استمع إليها من الأقوام الذين عاصرهم **باليمن** ، وهي حكايات شعبية خرافية لا نستطيع تصديقها لعدم علاقتها بالتاريخ والكتابة التاريخية ، ونلاحظ من خلال تتبع مروياته المتناثرة هنا وهناك في المصادر التاريخية غلبة اللون القصصي الإسرائيلي على تلك المرويات ، فهو يعد مرجعا مهما في القصص الإسرائيلي (65) وأن أكثر **الإسرائيليات** الموزعة في

المؤلفات العربية ترجع في روايتها الأولى إليه (66) وقد نبه **ابن خلدون** في (**المقدمة**) إلى أن " **معظم أصحاب الإسرائيليات من مسلمة أهل الكتاب كانوا من يهود اليمن ، ويبدو أن يهود اليمن كانوا أصحاب عناية خاصة بأخبار الخليقة والأنبياء والملوك الأقدمين ، وأن من أسلم منهم قد برزت لديه هذه العناية** " (67) ويعني **ابن خلدون** بمن أسلم منهم **كعب الأحبار و عبدالله بن سلام و وهبا** الذي نحن بصدد دراسة آثاره .

ومنهج **وهب** هو منهج معاصريه وسابقيه في الترجمة بالمعنى، والتصرف بالاختصار أو التزيد ، حسبما يبدو للناقل أو مروج هذه **الإسرائيليات** . ويغلب عليه طابع التزيد فيما ينقل بما ينزع إليه من اصطناع ما يراه موافقا لأهواء المسلمين ، وليس لحقيقة عقائدهم ، مع خيال خصب كثيرا ما جمح به ، فأطاح ببعض الحقائق والأخبار الصحيحة وأبدلها بمفتريات من عنده **(68)**

ولعل المتأمل في الدراسات **التوراتية والتلمودية** لذلك العهد يجد فقرات كثيرة زعم **وهب** وآخرون أنها قراءات ـ أي ترجمات ـ أخذت من **التوراة والتلمود والمشنا** وغيرها من كتب اليهود ، أنها من تلك الكتب حقا وأنها ترجمات صحيحة فنكون قد حصلنا بذلك على نماذج قديمة المواضع من تلك الكتب قد تفيد في إرشادنا إلى ترجمات أقدم منها كما تعيننا في الوقوف على النواحي الثقافية للعرب في ذلك

العهد(69)

ولم يكن ـ على ما يظهر من الروايات المنسوبة إليه ـ يتورع من التلفيق ، ليثبت أنه كان صاحب علم بأحوال الماضين وبما سيكون شأنه في ذلك شأن زميليه **كعب الأحبار وابن سلام** اللذين يليهما بالمنزلة ، أقول ذلك على الرغم من تلك الصورة التي رسمها نفر من المحدثين له وأحيطت بهالة من التبجيل والاحترام ، وعلى الرغم من تلك النعوت التي جاد بها عليه نفر من أصحاب كتب الرجال ، على حين كانوا يبخلون بمنح بعضها أناسا أوثق منه وأصدق بمراتب ودرجات(70) ولا ندري ما هي تلك المقاييس التي استند إليها هؤلاء النفر من المحدثين لإحاطته بهالة التبجيل هذه ، وهم على معرفة بما كان يرويه من أساطير وخرافات لا أساس لها من الصحة ، وبخلوا على من هو أدق منه وأوثق في تقصي الحقائق وإظهارها بهالة التبجيل والاحترام التي أضفوها عليه ، وفي ذات الحين تعرض **وهب بن منبه** لسيل من النقد من قبل كتاب قدامى ومحدثين فقد ضعفه **عمرو بن علي الفلاس** وجاء في تفسير **رشيد رضا** لقوله **تعالى " فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين "** (71) ما نصه " وفي التفسير المأثور روايات في صفة الثعبان الذي تحولت إليه عصا موسى **(عليه السلام)** وفي تأثيره على **فرعون** ما هو إلا من **الإسرائيليات** التي لا يصح لها سند ولا يوثق فيها بشيء ، ومنها قول **وهب بن منبه** أما ان العصا لما صارت

ثعبانا حملت على الناس فانهزموا منها فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا وقام فرعون منهزما " (72)

وقد أشار رشيد رضا في (تفسير المنار) إلى دور وهب في دس الإسرائيليات في التفسير وذلك ضمن الدور الذي لعبه كعب الأحبار في نفس الاتجاه ، حيث نبه إلى أن رجال الجرح والتعديل قد اغتروا بهما وعدلوهما (73) كما أيد تضعيف عمرو بن علي الفلاس لوهب على توثيق الجمهور له وقال : " بل ان اسوأ فيه ظنا على ما روي من كثرة عبادته ، ويغلب على ظني أنه كان له ضلع مع قومه الفرس الذين يكيدون للإسلام وللعرب ، ويدسون لهم من باب الرواية ومن طريق التشيع " (74)

وإذا كان نفر من الفقهاء قد انبرى للدفاع عن وهب ، ونفي كونه أحد أهم مروجي الإسرائيليات في الفكر الإسلامي ، فإننا ومن خلال تقصينا لكثير من الأخبار التي وردت عنه لا نجد مبررا لنفي ذلك عنه ، فالمرويات التي أمامنا لا تنم عن وعي بحقيقة تلك الأخبار، ولا عن حس نقدي يعالج تلك المرويات ، بل إن ما رواه وتواتر بالنقل عنه ، لا يعدو أن يكون أساطير وخرافات إسرائيلية لا يمكن إدراجها ضمن حقائق التاريخ ، إنما هي من قبيل (الفلوكلور الشعبي) الذي استغله وهب في تمرير مخططه الذي يستهدف الإسلام والثقافة العربية .

كما أن هؤلاء النفر من الفقهاء الذين انبروا للدفاع عن **وهب** ، قد اعترفوا بشكل وبآخر بأنه كان واسطة من الوسائط التي نقلت المرويات الإسرائيلية إلى كتب التفسير والتاريخ ، حيث نجد **محمد أبوشهبة** ـ وهو أحد الذين انبروا للدفاع عن **وهب** ـ يقول : " ونحن لا ننكر أن بسببه دخل في كتب التفسير اسرائيليات وقصص بواطل ، ولكن الذي ننكره أن يكون هو الذي وضع ذلك واختلقه من عند نفسه، ولكنا مع هذا لا تخليه من التبعة والمؤاخذة إن كان واسطة من الوسائط التي نقلت هذا إلى المسلمين وألصقت بالتفسير إلصاقا والقرآن منها بريء وياليته ما فعل"(75)

ونلاحظ هنا أن **أبوشهبة** لم ينكر عليه أنه كان من وسائط نقل **الإسرائيليات** إلى الفكر الإسلامي وإن حاول في مقالته أن يزيل عنه التهمة نوعا ما ، غير أنه يعود فيؤكد مدى إسهامه في دس **الإسرائيليات** ودوره في نشرها في التفسير والتاريخ .

وذهب **محمد حسين الذهبي** إلى نفس ما ذهب إليه **أبوشهبة** وذلك للدفاع عن **وهب** بيد أنه يشير في كتابه **(الإسرائيليات في التفسير والحديث)** إلى أن وهب " أكثر من **الإسرائيليات** ونسب إليه قصص كثير فيه الغث والسمين والصحيح والعليل وما كان لي ولا لغيري أن ينكر إكثار **وهب** من رواية **الإسرائيليات** " (76) إلا أنه يعود ليشكك في نسبة تلك **الإسرائيليات** إلى **وهب** .

ومن هنا نخلص إلى أن **وهبا** كان مصدرا مهما من مصادر دس **الإسرائيليات في** الفكر الإسلامي ، وقد شكل مع **كعب الأحبار** ثنائيا أكمل به **وهب** دور **كعب** .

ويغلب على الظن أن توثيق بعض رجال الحديث لهؤلاء انما كان مبعثه تظاهره بالعبادة أولا ، وعدم اطلاع رجال الحديث هؤلاء على مصادر **الإسرائيليات** ثانيا ، ولا ينفع القول بأنهم لم يكذبوا على الرسول **(ص)** في رواياتهم ، وإنما رووها على أنها من **الإسرائيليات** ، وأي فائدة للمسلمين في ذلك الذي يعمل على بث الخرافات ونشر التنبؤات الكاذبة ، وكان الأجدر بهؤلاء الذين وصفوا بحسن الإسلام ووفرة العلم أن ينتفعوا بالإسلام الذي يحارب مثل هذه الأكاذيب والخرافات (77)

وإذا استعرضنا مصادر التراث سواء من كتب العلماء الثقات أو من الكتب التي تندرج في إطار **(الفولكور الشعبي)** التي تضم الخرافات والأساطير الإسرائيلية ، فإننا سنقف على كثير من الآثار التي تناقلتها تلك المصادر عن **وهب** والتي عادت في أغلبها إلى **التوراة والإنجيل** ، مع أننا وقفنا على كثير من التناقض بين ما أورده **وهب** معزوا إلى هذه الكتب ، وبين النصوص الأصلية التي نقل عنها وذلك بالدس عليها والتغيير فيها .

ففي " **كتاب الزهد** " من **(عيون الأخبار)** يورد **ابن قتيبة** كثيرا

من تلك النصوص وقد لفت نظرنا منها نصان من **التوراة** أحدهما نقله من سفر **(اشعياء)** ، والآخر نقله من سفر **(ارمياء)** وكلاهما كما هو معلوم من أنبياء بني إسرائيل ، وكتبة **التوراة** (78)

فالنص **الأول** المنقول عن **(اشعياء)** (79) هو ترجمة بالمعنى **للإصحاح الأول** من السفر المسمى باسمه **(اشعياء)** ولكن **وهب** لم يكتف بالترجمة فحسب ، إنما عمد إلى التزيد والاقتباس من مأثورات أخرى ، وإن كانت موافقة لمضمون النص الأصلى بعامة (80)

والنص الثانى الذي نقله عن **(ارمياء)** (81) موافق ـ أيضا ـ لأصله وإن لم يكن مطابقا في الترتيب ، إذ نجد جزءا منه في **الإصحاح الثانى** من سفر **(ارمياء)** كما نعرفه اليوم ، مع جزء من **الإصحاح الرابع** (82)وهذا النص ورد أيضا في **تاريخ الطبري** (83)

وما سلكه **وهب** في هذين النصين يطابق منهجه في المأثور عنه في سائر المنقولات التي نراها في **تاريخ الطبري** وتفسيره منسوب إليه ، وكذلك عند **ابن قتيبة** في مواليد آدم وأخبار الأنبياء من كتاب **(المعارف)** (84) ومثال ذلك ما أورده في خبر استزلال الشيطان **لآدم** وزوجه للأكل من الشجرة المحرمة ، كما نراه في **تاريخ الطبري** (85)نجد وهبا ينقل ما جاء في سفر **(التكوين)** من **التوراة** ، مطعما بشروح أهلها في زمنه ، مع تصرف من **وهب** في بعض الاستطرادات التي يلتفت فيها إلى الروح الإسلامية ، حسب ظنه ، وبقدر علمه ، أو

بالأحرى بقدر ما يجذب آذان سامعيه ، وإن ناقض الأصول الصحيحة(86)

ونقض **وهب** للأصول الصحيحة هو منهجه حسبما رأينا في أغلب ما روى عنه ، إذ إنه لا يتورع في نقدها دائما بقدر حرصه على اجتذاب آدان سامعيه والتأثير فيهم والاستحواذ على أفكارهم والسيطرة عليهم ، حيث استخرج **ابن قتيبة** بعض الخلاف بين بعض أخبار وهب وسفر **(التكوين)** الأصلي ، " ولكننا نرى فيما رواه **ابن هشام** بأية دقة يأخذ **وهب** النص من **الكتاب المقدس** . وتفسير مثل ذلك الاختلاف أنه إما أن تكون الأخبار التي جمعها **وهب** قد غيرها أولئك الذين نشروها فيما بعد ، وجعلوها على نمط أخبار القصاص الشعبيين وإما أن **وهبا** نفسه أجرى مثل هذا التغيير " (87)

وتناول **وهب** في رسالة خاصة (88) " **كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك** " وهو التاريخ القديم الخرافي لوطنه **اليمن** ، ولم تصل إلينا هذه الرسالة ، ولكن من الواضح أن **ابن هشام** استعار منها مقدمة كتابه **(كتاب التيجان)** ، ويتبع **وهب** في كتابته التي استغلها **ابن هشام** مصادر أهل الكتاب تماما في عرض تاريخ أصل الرجل ولا يذكر أسماء **سفر التكوين** وأشخاصه طبقا للنص العبرى الأصلى فحسب ، بل يلاحظ أيضا تحريفات الترجمة السريانية (89)

ونخلص من ذلك إلى أن **وهبا** قد نقل عن سفر **(التكوين)** في

قصة الخلق وقصة آدم **وحواء** في الجنة وقصص الأنبياء من بعد في بني إسرائيل ، وبسببه أسهم إسهاما عظيما في ضرب النصوص القرآنية وتحريف دلالالتها الحقيقية وفرض التناقض عليها ، كما نقل عن سفر **(العدد)** وسفر **(اشعياء)** وسفر **(ارمياء)** و**(مزامير داود)** ونقل أيضا عن **(الأناجيل)** وكان ينقل منها باعتبارها صحيحة وربما ألمح هو نفسه إلى اطلاعه على كتب أخرى عند النصارى لم يصرح بها ولا نعلمها الآن **(90)**

ويبدو أن **وهبا** أدرك في زمنه أنه كانت هناك كتب في اليهودية والمسيحية لها صفة السرية لا يطلع عليها إلا الخاصة ، وأنه تمكن من الاطلاع عليها ، ففي خبر عنه يقول : " قرأت نيفا وتسعين كتابا من كتب الله **عز وجل** سبعون أو نيف وسبعون ظاهرة في الكتابين ومنها عشرون لا يعلمها إلا القليل من الناس " **(91)** إذ أنه من الطبيعي أن تستغل عدم معرفة هذه الكتب الا للقليل من الناس في الافتراء على عامة الناس ، ولاسيما عندما يكون مع سبق الإصرار والتعمد لأجل التمويه والدس وتغيير الحقائق وصرفها عن غير وجهتها.

فمن النصوص التي نقلها من **(الإنجيل)** دون أن يشير إلى مصدره قوله : " **دخول الجمل في سم الخياط أيسر من دخول الأغنياء الجنة** " **(92)**حيث جاء هذا النص عن المسيح في إنجيل **(متى)** " **إن**

مرور جمل من ثقب ابرة ، أيسر من أن يدخل غني في ملكوت الله"(93)

وفي القرآن الكريم يورد الحق **تعالى** في سورة **الأعراف** ما ينقض هذا الخلاف في الروايتين حيث يقول الله **تعالى** " **ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط** " (94) ولا يمكن أن نفهم من لجوء **وهب** إلى غير النص القرآني - وهو الذي يدعي الإسلام وفهم القرآن - إلا لأجل شيء في نفسه إزاء الإسلام وهو ما يؤكد ما أشرنا إليه آنفا في منهج **وهب** .

ومن منقولات **وهب** من **(مزامير داود)** قوله : " **في مزامير آل داود** : طوبى لرجل لا يسلك سبيل الخطائين ، ولا يجالس البطالين ، ويستقيم على عبادة ربه . فمثله كمثل شجرة نابتة على ساقية فيها الماء يفضل بثمرها في زمن الثمار فلا تزال خضراء في غير زمن الثمار "(95) وهذه الترجمة صحيحة في نصف **(المزمور الأول)** وقد جاء هذا المزمور في الترجمة العربية " طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة المنافقين وفي طريق الخطأة لم يقف ، وفي مجلس الساخرين لم يجلس ، بل في شريعة الرب هواه ، وفي شريعة يهذ نهارا وليلا ، فيكون كالشجر المغروس على مجارى المياه الذي يؤتى ثمره في أوانه وورقه لا يذبل وكل ما يصنع ينجح " (96)

ويتضح لنا من خلال ما سبق **أن وهبا** كان لا يتورع في النقل

من أي مصدر يقع عليه وهو لايكتفي بالنقل فحسب إنما يعمد إلى ما هو أبعد من ذلك ، فيضيف ما يراه ويدخل من أساطيره وخياله ما يبدو له ، وحتى عندما يترجم من المصادر التي عودنا الرجوع إليها لا يلتزم بالترجمة الحرفية للنص إنما يتدخل بأسلوبه لترجمة النص حسب هواه .

وهي إجمالا ليست عادة **وهب** وحده فقد كان **كعب** من قبله ينهج نفس الأسلوب ، فهو لا يكتفي بالنقل عن مصادره ، إنما يتزيد من عنده ويضيف كذبا على المصدر الذي ينقل عنه بحجة أن لديه من العلوم ما ليس عند سواه .

هوامش الإحالات :

(1) انظر عبد العزيز الدوري ؛ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت: المطبعة الكاتولوكية .ط.بلا/1960م) ص 26

(2) انظر السخاوي ؛ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (بيروت:دار الكتاب العربي.ط/بلا 'ب . ت') ص 48

(3) انظرعبدالعزيز الدوري ؛ مرجع سابق . ص 26

(4) عبيد بن شرية الجرهمي راوية من المعمرين أدرك النبي واستحضره معاوية من صنعاء إلى دمشق فسأله عن أخبار العرب الأقدمين وملوكهم فحدثه فأمر معاوية بتدوين أخباره فأملى كتاب (الملوك وأخبار الماضين) طبع مع كتاب(التيجان وملوك حمير) تحت عنوان (أخبار عبيد بن شرية في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها) وتوفي عام (67هـ/ 686م) (الأعلام 4/ 189 فهرست النديم 89)

(5) انظر هملتون جب ؛ دراسات في حضارة الإسلام . تحقيق/ إحسان عباس و محمد نجم و محمود زايد(بيروت: مجهول الناشر.ط . بلا/1964م) ص144

(6) انظرعمر رضا كحالة ؛ معجم المؤلفين (بيروت : مكتبة المثنى ودارإحياء التراث العربي ط/بلا "ب . ت")ج13 ص 174

(7) انظرابن سعد ؛ الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر. ط/بلا 'ب . ت')ج7 ص47

(8) النديم ؛ الفهرست (بيروت : دار المعرفة .ط/بلا 'ب . ت') ص 138

(9) حاجي خليفة ؛ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بغداد ، مكتبة المثنى . ط/بلا'ب . ت') ج 5 ص 40 و ج 4 ص 518

(10) انظر عبدالعزيز الدوري ؛ مرجع سابق . ص 107

(11) انظر محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني ، من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة وتوفي سنة (151هـ/ 768م) (خيرالدين الزركلي ، الأعلام.ج6 ص28)

(12) يكنى أبا هشام وتوفي باليمن سنة عشر ومائتين للهجرة(ابن سعد،الطبقات الكبرى.ج5ص548)

(13) انظر:لسان الميزان ج2 ص73 تهذيب التهذيب ج1 ص315 ابن سعد ج5 ص395

(14) انظر : مادة وهب في دائرة المعارف الإسلامية

(15) انظر جواد علي ؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت ، بغداد : دار العلم للملايين و مكتبة النهضة . ط .2/ 1978م) ج1 ص 86

(16) انظر شاكر مصطفي؛التاريخ العربي والمؤرخون(بيروت:دارالعلم للملايين ط2/1980م)ج2 ص138

(17) انظر سيدة إسماعيل كاشف؛ مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه(بيروت : دار الرائد العربي ط.بلا/1983م) ص 36

(18) سيد حسن الشقرا ؛ احذروا الإسرانيليات (القاهرة: مطبعة مصطفي إبراهيم تاج،ط/بلا 'ب . ت') ص 11

(19) ابن قتيبة ؛ المعارف (القاهرة: دار المعارف.ط.6/1993م) ص 15

(20) المصدر السابق . ص 19

(21) سورة العنكبوت الآية (14)

(22) الثعلبي؛قصص الأنبياء(مكة:دار التعاون. ط/بلا 'ب . ت')ص 178

(23) السيد نعمة الله الجزائري ؛ النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين (بيروت : دار الأندلس ط /بلا"ب . ت") ص 65

(24) الاصبهاني؛حلية الأولياء (بيروت:دار الكتاب العربي.ط .5/ 1987م)ج4 ص39

(25) ابن الأثير ؛ الكامل في التاريخ (بيروت : دار الكتاب العربي. ط . 3/ 1980م) ج 1 ص 44

(26) العهد القديم . سفر التكوين الاصحاح التاسع ص 15

(27) الثعلبي ؛ مصدر سابق . ص 157

(28) الثعلبي ؛ مصدر سابق . ص 169

(29) الثعلبي ؛ مصدر سابق . ص 30

(30) سورة ص الآية (34)

(31) الطبري ؛ جامع البيان عن تأويل آى القرآن(القاهرة : دار المعارف .ط/1957م)ج23 ص100 - 102

(32) عبدالوهاب النجار ؛ قصص الأنبياء (بيروت :دار الرائد العربي .ط/بلا) ص330

(33) سورة النمل الآية (18)

(34) ابن كثير ؛ البداية والنهاية (بيروت : مكتبة المعارف .ط.4 /1982م)ج2 ص19

(35) سورة الأنبياء الآيتان (83/ 84)

(36) الخازن ؛ لباب التأويل في معانى التنزيل (بيروت : دار محمد أمين دمج . ط/بلا 'ب . ت') ج 3 ص 273

(37) انظر شاكر مصطفي ؛ مرجع سابق . ج 1 ص 135

(38) انظر شاكر مصطفي ؛ مرجع سابق . ص 138

(39) انظر حسين نصار ؛ نشأة التدوين التاريخي عند العرب (بيروت : دار اقرأ.ط 2/ 1980م) ص 53

(40) انظر : مقدمة الدكتور عبدالعزيز المقالح لكتاب التيجان . ص 6

(41) المصدر السابق . ص 8

(42) فاروق خورشيد ؛في الرواية العربية(القاهرة:الدار المصرية للطباعة والنشر.ط. 1960م) ص 206

(43) انظر حسين نصار ؛ مرجع سابق . ص 54

(44) وهب بن منبه ؛ التيجان في ملوك حمير . تحقيق / مركز الدراسات والأبحاث اليمنية (صنعاء ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية .ط/بلا 'ب . ت')ص25

(45) انظر ين نصار ؛ مصدر سابق . ص 56

(46) وهب بن منبه ؛ مصدر سابق . ص 10

(47) انظر حسين نصار ؛ مرجع سابق . ص 58

(48) وهب بن منبه ؛ مصدر سابق . ص 28

(49) المصدر السابق . ص 29

(50) المصدر السابق . ص 29

(51) المصدر السابق . ص 65

(52) كتاب عبيد بن شرية طبع مع كتاب وهب بن منبه (التيجان) في كتاب واحد بعنوان (أخبار عبيد بن شرية في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها) ومنهج عبيد في الكتابة التاريخية هو ذات منهج وهب بن منبه في الإعتماد على الأساطير والخرافات .

(53) انظر حسين نصار ؛ مرجع سابق . ص 54

(54) انظر المرجع السابق . ص 59

(55) انظر حاجي خليفة ؛ مرجع سابق . ج 2 ص 1240

(56) انظر يوسف هوروفيتش ؛ المغازى الأولى ومؤلفوها . ترجمة/حسين نصار(القاهرة: مطبعة مصطفي البابلي.ط.1/1949م)ص35

(57) يوسف هوروفيتش ؛ مرجع سابق . ص 36

(58) انظر الأصبهاني ؛ مصدر سابق . ج 4 ص 71

(59) انظر المصدر السابق . ج 4 ص 73

(60) الأصبهاني ؛ مصدر سابق . ج 4 ص 73

(61) حسين نصار ؛ مرجع سابق . ص 50

(62) انظر عبدالعزيز الدوري ؛ مرجع سابق . ص 113

(63) انظر المرجع السابق . ص 113

(64) انظر عبدالعزيز الدوري ؛ مرجع سابق . ص 113

(65) انظر جواد علي ؛ مرجع سابق . ج 6 ص 565

(66) انظر شاكر مصطفي ؛ مرجع سابق . ج 2 ص 312

(67) انظر ابن خلدون ؛ المقدمة . (بيروت : دار الكتاب اللبنابي ومكتبة المدرسة.

ط.بلا / 1982م) ص787
(68) انظر حسني يوسف الأطير ؛ البدايات الأولى للإسرائيليات في الإسلام (القاهرة : مكتبة الزهراء . ط 1991/1م) ص 56
(69) انظر جواد علي ؛ مرجع سابق ج 1 ص 87
(70) انظر جواد علي ؛ مجلة المجمع العلمي العراقي ج 1 ص 143
(71) سورة الأعراف الآية (107)
(72) انظر رشيد رضا ؛ تفسير المنار(القاهرة : مطبعة محمد علي صبيح . ط.3 .ب.ت) ج 9 ص 44
(73) انظر المصدر السابق. ج 1 ص 9
(74) انظر المصدر السابق . ج 9 ص 44
(75) انظر محمد أبوشهبة ؛ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (القاهرة : مكتبة السنة . ط . 1408/4هـ)ص105
(76) انظر محمدحسين الذهبي؛ الإسرائيليات في التفسيروالحديث (دمشق: دار الايمان، ط .1985/2م)ص105
(77) صالح موسى درادكة ؛ العلاقات العربية اليهودية حتى عهد الخلفاء الراشدين (عمان : الأهلية للنشر والتوزيع . ط . 1/ 1992م) ص 418
(78) حسني يوسف الأطير ؛ مرجع سابق . ص 56
(79) ابن قتيبة ؛ عيون الأخبار (بيروت : دار الكتاب العربي . ط/بلا ،ب . ت،) ج 2 ص263
(80) حسني يوسف الأطير . مرجع سابق . ص 56
(81) ابن قتيبة ؛ عيون الأخبار . ج 2 ص 261
(82) سفر ارمياء الاصحاحان الثانى والرابع
(83) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك . ج 1 ص 548
(84) ابن قتيبة ؛ المعارف . ص 11 – 55

(85) االطبري ؛ تاريخ الرسل والملوك . ج 1 ص 89

(86) حسنى يوسف الأطير ؛ مرجع سابق . ص 57

(87) يوسف هوروفيتس ؛ مرجع سابق . ص 33

(88) انظر ياقوت الحموي ؛ معجم الأدباء(بيروت:دارإحياء التراث العربي.ط 1988/1م)ج7 ص 232

(89) يوسف هوروفيتس ؛ مرجع سابق . ص 33

(90) حسنى يوسف الأطير ؛ مرجع سابق . ص 60

(91) الأصبهانى ؛ مصدر سابق . ج 4 ص 56

(92) المصدر السابق . ج 4 ص 57

(93) متى ص 19/ 24

(94) سورة الأعراف الآية (40)

(95) الأصبهانى ؛ مصدر سابق . ج 4 ص 62و 63

(96) الترجمة الكاثولكية ص 1/ 1 - 2

الخاتمة

الخاتمة ونتائج البحث

حاولت هذه الدراسة التوصل إلى المفهوم الحقيقي **لماهية الإسرائيليات** ، والتعرف على **مصادرها** وهي التوراة والتلمود والأساطير **وطرق انتشارها** التي تمثلت في يهود شبه الجزيرة العربية والمنافقين ومسلمة أهل الكتاب وبعض الصحابة والقصاصين ، **وأبرز تلك الشخصيات التي تسللت بها إلى الفكر الإسلامي** وهي **كعب الأحبار** الذي لعب دورا خطيرا في دس كثير من الخرافات الإسرائيلية في التفسير وحاول أن يستحوذ على اهتمام بعض الصحابة ليمرر من خلاله تلفيقاته عن الرسول الكريم **(ص)** ويقنع بعضهم أنها من أقوال الرسول **(ص)** ، كما لعب أيضا دورا سياسيا خطيرا في حياة الخليفة الراشد **عمر بن الخطاب** أدى في نهاية المطاف إلى اغتيال **الخليفة عمر** وإشعال فتيل الخصومة السياسية ، **وعبدالله بن سبأ** الذي برز بنشاطه المزدوج في السياسة والفكر ، فبدأ بتخريب البناء السياسي للدولة العربية الإسلامية الذي اختط له الخليفة **عمر بن الخطاب** مبدأ الاختيار المتمثل في الشورى استلهاما للقرآن الكريم الذي جاءت آياته لتعزيز هذا المبدأ ، وانتهى إلى اشعال نار الانقسام والتفرقة بين المسلمين ليتحولوا إلى فرق ومذاهب تتناحر من أجل الأفكار والعقائد التي أدخلها عليهم باسم الإسلام ، و **وهب بن منبه** الذي جاء لاستكمال

مهمة سلفه **كعب الأحبار** في الدس اليهودي على تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي والتاريخ العربي والسيرة النبوية ، وهو لم يكتف ببث تلك الأفكار عن طريق رواته ، بل عمد إلى وضع بعض الكتب التي مرر من خلالها مخططه التدميري للثقافة العربية والفكر الإسلامي .

وبعد دراسة هذه الموضوعات يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية :

1ـ إن الإسرائيليات هي **(مجموع الأفكار والآراء والتفسيرات والقصص الخرافية والأساطير، التي دست في التفسير والحديث والتاريخ ، بقصد تشويه التراث الإسلامي ومسخه ، سواء كان مصدر هذا الدس يهوديا ، أو نصرانيا ، أو من خيال القصاص وأساطيرهم)** ولما كان أغلب ما وصل إلينا من هذه **الإسرائيليات** مصدره اليهود ، فإن أغلب العلماء الذين عرضوا لمشكلة هذه المرويات ذهبوا إلى نعتها **بالإسرائيليات** إلا أن **الدكتورعلي فهمي خشيم** والمستشرق الفرنسي **(ريجي بلاشير)** انفردا في نعتها بتسميات أخرى ، ففي دراسته عن **(الجذور التاريخية للغزو الفكري)** يشير إليها الدكتور **خشيم** بعملية " **الالتفاف الثقافي** " أو "**المسخ الفكري** " ، الذي استخدم ضمن خطة تتضمن التسرب الثقافي والتخريب العقائدي ، بينما يطلق عليها **(بلاشير)** " **أشكال الميول الشعبية** " وأحيانا " **القصص الشعبية** " وأحيانا أخرى "**التفسير الشعبي**"

2- السبب في تغلب **مصطلح الإسرائيليات** على المرويـات التـي جـاءت عن طريق اليهود ، راجع إلى ثلاثة أسباب وهي :

أ - إن معظم هذه المرويات المدسوسة في الفكر الإسلامي ، كـان اليهـود هـم مصدرهـا ، حيث سبقوا غيرهم مـن الأمم في اختـلاق الأكـاذيب والمزاعـم الباطلـة وإذاعتهـا ونشرها بين المسلمين .

ب - حرص اليهـود علـى تغييب العقل وتجهيل الأمـم ، لتمرير مخططهم الذي يهدف إلى نشر تلك الأنماط من الأساطير والخرافات ، لتحقيق هذا الهدف .

ج - استيطان قبائل اليهـود فـي شـبه الجزيـرة العربيـة ، ولاسيما يثرب - المدينة فيما بعد - التي تجاوروا فيها معا ، والتي بدأت فيها أولى صلات الجـيرة الحقيقيـة، حيث استهدفهم الرسول (ص) بدعوته إلـى الإسـلام ، ودخـل معهـم فـي حـوار مباشـر ، عـرض مـن خلالـه بعض الموضوعات المتعلقة بالغيبيـات وأخبـار الأمـم السابقة .

3 - إن الآراء التـي سقناها مـن خـلال هـذه الدراسـة حـول **ماهيـة الإسرائيليات** وسر تغلبها على أنماط المرويات الأخرى التي جاءت من غير اليهود ، تتوقف بنا عند الملاحظات **التالية** :

أ ـ التعريفات التي أوردناها لبيان **مصطلح الإسرائيليات** لا تبتعد عن بعضها ولاتختلف إلا من ناحية تحديدالشمول ، باستثناء رأى الدكتورة **عائشة عبد الرحمن** ، الذي قلل من أثرها، واعدوها مجرد زيادات هامشية وإضافات من أهل الكتاب .

ب ـ لم يتم تناول **الإسرائيليات** من قبل المتقدمين بدلالاتها عند الباحثين المحدثين ، وإن كان المتقدمون قد أوردوها في ثنايا مؤلفاتهم وتصنيفاتهم في التفسير والحديث والتاريخ، وحذروا من روايتها ، إذ لم تكن **الإسرائيليات** عندهم إلا مجرد روايات جاءت عن طريق أهل الكتاب ، **فما وافق منها الشريعة أخذوه، ومالم يوافقها رفضوه ، ومنها ماسكتواعنه**، لعدم وجود ما يوافقه أو يخالفه .

ج ـ لايمكن أن ينظرإلى **الإسرائيليات** إلا كلون من ألوان **الفولكلور الشعبي** الذي جاء مزيجا من الأساطير والخرافات والمأثورالشفهي ، الذي زج به اليهود في الفكرالإسلامي مدعين أنه مما قرأوه في كتب الله السابقة ، التي لم يكن للعرب المسلمين أي علم بها ، وإذا نظرنا إلى **ماهية الفولكلور** في التراث الانساني والتي تعني جميع ثقافة الشعوب ، التي لا تدخل في نطاق الدين الرسمي ولا التاريخ،

لتبين لنا أن الإسرائيليات التي أدخلها اليهود في الفكر الإسلامي ، لا تخرج عن كونها ترثا شعبيا أنتجته الثقافة اليهودية ، غير أن اليهود أدخلوه في نطاق الدين ، وجعلوا منه شريعة منزلة ، وأحكاما ملزمة التنفيذ ، وعدوها جانبا منه تاريخا مقدسا .

4 ـ الاتجاهات التي تسير في إطارها هذه المرويات الإسرائيلية التي داعت وانتشرت في الفكر الإسلامي ، تتدرج في المسارات **التالية** :

أ ـ الأساطير والخرافات التي تناقلها القدامى عن مصادر يهودية، والتي تشمل أصل الخليقة، وحكايات الأمم الغابرة والأنبياء السابقين .

ب ـ الرواية الخرافية الكاذبة التي نسبت إلى الرسول (ص) واستغلت في تفسير بعض الآيات القرآنية التي جاءت مجملة .

ج ـ الحكايات والأخبار المتعلقة بأمور الدين والحياة ، يغلب عليها الطابع الوعظي الإرشادى ، وهي ما عرفت به المرويات الواردة عن النصارى .

د ـ الفتن والنزاعات الطائفية التي أثارها المغرضون والذين في قلوبهم زيغ ضد المسلمين ، والأكاذيب **والافتراءات التي استهدفت الإسلام .**

5 ـ إن **التوراة** التي هي بأيدي اليهود ، والتي عدت مصدرا من مصادر **الإسرائيليات** ليست هي توراة موسى **(عليه السلام)** فعصر **موسى** على الأرجح حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد ، وأن معظم **سفري التكوين والخروج** ، قد ألفا حوالي القرن التاسع قبل الميلاد ، أي بعد **موسى** بنحو خمسة قرون أو ستة قرون ، وإن **سفرالتثنية** قد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، وأن **سفري العدد واللاويين** قد ألفا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد أي بعد النفي البابلي وهو إجلاء بني إسرائيل إلى بابل سنة 587 قبل الميلاد ، وأن جميعها مكتوبة بأقلام اليهود ، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل .

6 ـ إن الواقع التاريخي ينفي كون **التوراة** التي بأيدى اليهود هي من كتب الله القديمة ، التي نزلت على **موسى** ، ذلك أنها كتبت ـ كما أشرنا ـ بعده بمراحل وعلى فترات مختلفة ، وجمعت ما لاحد له من الخرافات والأساطير المختلفة ، وهو ما لايدع مجالا للشك في كونها فعلا من افتراءات اليهود على اللهِ . ولو رجعنا إلى القرآن الكريم، لوجدنا إشارات صريحة إلى التوراة الحقيقية التي حملت الهدى والنور إلى اليهود ، قال **تعالى** : " **انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور** " كما نجد في ذات الوقت اشارة صريحة إلى التزييف والتحريف والتشويه

الذى تعرضت له **التوراة** وفي أكثر من آية ، قال **تعالى** : " **فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به** " كما أن **التلمود** بكتابيه **المشناه و الجمارا** وبقسيمه **البابلي والفلسطيني الأورشليمي** هو مركب عجيب الآراء ملئ بالتناقضات ، وفيه من الكلام البذيء الذي يصل إلى حد الكفر والإلحاد ، الأمر الذي يجعلنا نستبعد تماما أن يكون من عند الله، أى أن موسى (**عليه السلام**) تلقاه عن ربه كما زعم اليهود .

7 - إن أغلب ما كان يرويه الأحبار بدعوى أنه من كتب الله القديمة ، لم يكن سوى أساطير وخرافات توراتية وتلمودية عملوا باتجاههم اليهودي على التوغل بها في الفكر الإسلامي ، وقد استطاعوا أن يتسللوا من خلالها إلى التراث العربي الإسلامي بشكل كبير، حتى غدت مصدرا ومرجعا يعود إليها كل من كتب عن تاريخ بدء الخليقة وأحوال الأمم الغابرة وقصص الأنبياء السابقين ، والغيبيات ، وغير ذلك من الأخبار التي لم يكن للمسلمين علم بها.

8 - يتضح من المحاورات التي أجراها يهود شبه الجزيرة العربية مع الرسول (**ص**) ، أنهم كانوا يهدفون إلى تهويد العرب وسلخهم عن تراثهم وثقافتهم ، بما يحملون معهم من رصيد ثقافي ، وقد اتخذوا لهم من الجزيرة العربية مواضع عديدة لهذا الشأن عرفت بين الجاهلين **بالمدراس** ، كما نجد أن بعضا من مشركي قريش كانوا تلاميذ لليهود

وللثقافة الإسرائيلية ، حتى إنهم هم الذين يسعون إليهم بالسؤال فيحرضهم اليهود على سؤال النبي ، ومن بين هؤلاء التلاميذ **النضر ابن الحارث وعقبة بن أبي معيط** ، ومن ثم أصبح هؤلاء اليهود رافدا كبيرا من الروافد التي أسهمت في تمرير المخطط اليهودي الذي استهدف الثقافة العربية والفكر العربي قبل الإسلام ، وتعاظم مده إلى الفكر الإسلامي فيما بعد بالهزيمة الساحقة التي لحقت بهم وحدت من تمادي خطرهم واستفحال دسائسهم على يدى الرسول **(ص)** ، الذي أرسله الله لإنقاذ العقل الإنساني من الهيمنة والتضليل .

9 ـ إن **حركة المنافقين** قد شهدت **بعبدالله بن سبأ** ـ الذي يدعي الإسلام ـ تناميا كبيرا ومؤثرا وشكلت بتحالفها مع اليهود قوة استطاعت أن تنهل من المنابع اليهودية أفكارا ومبادىء عملت على تأكيدها من خلال تظاهرها العلني بالإسلام واختفائها بين صفوف المسلمين ، فمثلت تلك الأفكار والمبادىء التي تلقاها المنافقون عن اليهود طريقا من أخطر الطرق التي روجت **للإسرائيليات** خلال القرن الأول الهجري والتي استهدفت بسعيها الدائب النيل من الإسلام وإحداث الفتن والقلاقل فيه ، ولو أمعنا النظر في تلك الأفكار التي عمل **منافقو المدينة** وفي طليعتهم **ابن سبأ** ، على ترويجها بين صفوف المسلمين ، لتبين لنا بكل وضوح أنها ذات منابع وأصول يهودية خالصة .

10 ـ إن أصحاب **الإسرائيليات** من مسلمة أهل الكتاب ، كانوا في

أغلبهم من يهود اليمن الذين يبدو أنهم كانوا أصحاب عناية خاصة بأخبار الخليقة والأنبياء والملوك الأقدمين، وأن من أسلم منهم برزت لديه هذه العناية ، وكان من أبرز مسلمة أهل الكتاب الذين أسهموا في اختلاق **الإسرائيليات** ونشرها في الفكرالإسلامي **عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وتميم الداري ووهب بن منبه** حيث كانت هذه الشخصيات أكثر الأسماء ترددا وأغزرها رواية في مصنفات التفسير والتاريخ ولاسيما في تفسير وتاريخ **محمد بن جرير الطبري** ، الذي يروي عادة القصص والحكايات الإسرائيلية دون أن يهتم كثيرا بالتعقيب عليها ونقدها .

11 - إن القول **بعدالة الصحابة** لم يكن مطلقا، ذلك أنه يجوز على الصحابة ما يجوز على غيرهم من الغلط والنسيان والسهو والهوى، وماهم إلا بشر يقع منهم ما يقع من غيرهم ، مما يرجع إلى الطبيعة البشرية ، حيث ثبت عن **عمر وعلي وعثمان وعائشة** وغبرهم أنهم كانوا يتصفحون على إخوانهم في الصحبة ، ويشكون في بعض ما يروونه عن الرسول **(ص)** ويردونه على أصحابه ، مما يؤكد أن مسألة عدالتهم إجمالا ليست مطلقة ، فكل شييء جائز عليهم ، وقد كان رسول الله**(ص)** ذاته وهو الذي أرسله الله **تعالى** بالحق وزكاه في الكتاب العزيزيقول على نفسه " **إنما أنا بشر** " ، بمعنى أنه ليس معصوما عن الخطأ ، لأنه من البشر وذلك في الأمور المتعلقة بالحياة

وما ليس فيه وحي من الله **تعالى** ، ومن هنا لا يمكن أن نؤمن بعدالة الصحابة العدالة المطلقة ، وقد عرفنا منهم ومن خلال آيات القرآن الكريم ووقائع التاريخ الكاذبين والمنافقين والمرتدين أيضا .

والقول **بعدم عدالة الصحابة** في العموم لا ينفي بلا شك عدالة أغلبهم ممن بقي على العهد وواصل مسيرة الدعوة إلى الحق والجهاد في سبيل الله من بعد وفاة الرسول**(ص)** حتى مات ، وإنما يعني الإشارة إلى دور الصحابة الذين لم تثبت عدالتهم في ترويج روايات أهل الكتاب ونقلها إلى الفكر الإسلامي .

12 - إن **القصاص** أسهموا بشكل كبيرجدا في الترويج للأساطير والخرافات الإسرائيلية ، سواء تلك التي رجعوا في مصادرها إلى **التوراة والتلمود** أو التي اختلقوها من خيالهم الخصب ، حتى راج مع الأسف في أمات المصادر الإسلامية وصار مع الزمن من التراث الإسلامي ، مع أنه دخيل ومتناف تماما مع منهج القرآن الكريم في القصص الذي اعتمد جانب العبرة والعظة بالأساس .

13 - إن **غلبة طابع البداوة** على العرب وعدم معرفتهم لأسرارالوجود وبدء الخليقة وتشوقهم إلى معرفة مثل هذه التفاصيل ، كانت أهم أسباب تغلغل **الإسرائيليات** في التفسير والحديث أما اليهود الذين أخذوا عنهم تلك المعارف فليسوا سوى بدو مثلهم لم يكن لهم الاطلاع الذي يؤهلهم لتقديم المعارف الصحيحة عن تلك الأمور التي كانت أنفس العرب

تتشوق إليها .

14 - تضخم التفسير بالإسرائيليات في عصر التابعين لأسباب عديدة منها :

أ - إقامة كثير من القبائل اليهودية في المدينة وما جاورها، حيث حملوا معهم ما حملوا من ثقافات مستمدة من كتبهم وما يتصل بها من شروح ، إلى جانب الرحلات العربية التي كانت تنطلق في التجارة إلى الشام واليمن لتحدث لقاءات بين العرب واليهود، حيث تسربت كثير من الإسرائيليات عن طريقها .

ب - دخول العديد من الأحبار إلى الإسلام ممن كانت لهم ثقافة واسعة استغلت في تفصيل ما كان مجملا في القرآن ، وهو ما كانت تتشوق إليه الصحابة بحكم بداوتهم وعدم اطلاعهم على الكتب القديمة ، وعدم معرفتهم للعبرية لغة التوراة ، التي ترجمها أحمد بن عبدالله ابن سلام لتقدم مادة خصبة للإسرائيليات ، استعان بها المفسرون والمؤرخون في كتاباتهم .

ج - الكم الهائل من التراث اليهودي الذي حدث به عبدالله ابن عمرو ، من الزاملتين اللتين أصابهما عقب اليرموك .

15 ـ دخول كثير من الإسرائيليات إلى الفكر الإسلامي عن طريق الحديث النبوي لعدة أسباب من أهمها :

أ ـ الخصومات السياسية بين عدد من الصحابة والخلافات الكلامية والفقهية بين عدد من المذاهب ، وقد أدت إلى اختلاق كثير من الأحاديث التي تدعم رأى كل فريق ضد الآخر.

ب ـ عدم قبول العلم الا فيما يتصل بالكتاب والسنة اتصالا وثيقا ، إلى جانب شيوع عامل الترغيب والترهيب الذي شجع على وضع الكثير من الأحاديث المتصلة بفضائل الأشخاص أو الأمكنة أوالأزمنة حتى من لم يرهم الرسول (ص) كوهب بن منبه .

16 ـ إن **كتب الحديث المتداولة** الآن ضمت كثير من تلك الروايات الإسرائيلية التي وضعت على الرسول **(ص)** ونسب بعضها إلى الصحابة ، وقد ضمت من الأساطير والخرافات مالا يمكن لعاقل أن يقبله أو يصدق شيئا منه ، وهي بلا شك قد وضعت من ناحية لخدمة أهداف محددة ومرسومة من قبل اليهود ، ومن ناحية أخرى لاستغلالها في تحقيق بعض الأهواء السياسية التي حملتها بعض تلك الفرق المنشقة عن الإسلام .

17 - إن **كعب الأحبار** لم يدخل الإسلام عن اقتناع بل تظاهر به ، ليتخذه مطية للتسلل إلى الإسلام بعد أن أصبح على اقتناع بأن تنفيذ مخططه الرامي إلى تخريب الإسلام لا يمكن أن يتم إلا بالتظاهر بالإسلام والتودد إلى المسلمين ، وبعد أن فشل فشلا ذريعا في النفاذ إلى الإسلام من خارجه ، حيث سارع بعض الصحابة إلى التحلق حوله والإنصات إليه والرواية عنه حتى أصبحت الفرصة مواتية أمامه ليقذف بأساطيره وخرافاته في نفوسهم المتشوقة كما علمنا إلى تلقف التفاصيل التي كان يرويها عن قصص التنزيل مدعيا ورود بعضها في **التوراة** مطابقا لما جاء به القرآن الكريم ، ومصبغا على بعضها الآخر طابع الحديث النبوي الذي ينسب إلى الرسول **(ص)** كذبا ودسا عليه .

18 - إن **علماء الجرح والتعديل** الذين يرجع لهم في تعديل الرجال وتجريحهم ، قد ذهبوا إلى توثيق **كعب** دون أن يعيروا لرأي الصحابة الذين عاصروه والتقوا به أية أهمية ، كما لم يكلفوا أنفسهم أي عناء في الاطلاع على رواياته وتفحصها ونقدها والبحث عن مدى مطابقتها للنصوص الصحيحة ، وفي المقابل فإننا لم نجد له أي ذكر في كتب الضعفاء والمتروكين ، إذ امتنع كثير من الصحابة عن الأخذ عنه ، ولجأوا إلى ترك رواياته بعد تأكدهم من كذبها ، وعدم مصداقيتها ،

ومن بينهم الخليفة **عمر بن الخطاب** الذي توعده بالنفي إلى **أرض القردة** ويعني بها **اليمن** .

وإذا كنا **لانتهم أحدا من علماء الجرح والتعديل** ، فإننا نرى أن مقاييسهم في تعديل **كعب** كانت خاطئة جدا ولا تستند إلى شيء من الحقيقة ، لكنهم فيما يبدو انخدعوا بإسلامه الظاهري وبتقربه من **الخليفة عمر** ، الذي كان أول من تفطن إلى كيده ومؤمراته حيث وصل به الأمر إلى أن هدده بالنفي .

19 - إن **كعبا** قد وجد بغيته في **أبي هريرة** - الذى يزعم أنه أحفظ الناس لحديث رسول الله **(ص)** ، والذي امتلأت كتب الحديث النبوي برواياته - وأنه نعم التلميذ النجيب الذى يحمل عنه ما يريد بثه مما يفسد عقائد المسلمين ، وبذلك أصبح الدور الذى يتصدى له **كعب** سهلا وميسورا على أساس أنه وجد من يعينه على تأديته ومن المسلمين أنفسهم ، وقد بلغ من دهاء **كعب الأحبار** واستغلاله لغفلة **أبى هريرة** أن كان يلقنه ما يريد بثه في الدين الإسلامى من خرافات وأساطير حتى إذا رواها **أبو هريرة** ، عاد هو فصدق **أبا هريرة** ليؤكد هذه **الإسرائيليات** ، وليمكنها من عقول المسلمين كأن الخبر قد رواه **أبوهريرة** عن النبي ، وهو في الحقيقة عن **كعب الأحبار**.

20 - إن **كعبا** كان مشاركا في مؤامرة **اغتيال عمر** وما دار بينه وبين **عمر** قبيل وفاته بثلاثة أيام لم يكن مجرد تكهن ، بل كان نوعا من

الوقاية لنفسه ، فإن نجحت المؤامرة - وهو ما كان يتمناه - يكون قد برأ نفسه ، ودفع التهمة عنه أو الشك فيه ، وإن فشلت المؤامرة يكون قد أخلى مسؤليته ، ودفع عن نفسه أية تهمة قد تلحق به ، على أساس أنه أحاط **عمر بن الخطاب** بما كان يدبر له ، إذ لو كان مشاركا فيها لما أخبر **عمر** بذلك .

أما **مقتل عمر** فلم يكن مجرد محاولة فردية انتقامية من رجل ساءه موقف من **عمر** ، بل هو مؤامرة مخططة تخطيطا ذكيا ومدروسا اشترك فيها الدخلاء على الإسلام من اليهود والعجم وعهد بتنفيذها إلى **أبي لؤلؤة المجوسي** .

21 - إن **عبدالله بن سبأ** شخصية حقيقية عرفت **(بابن السوداء)** وهو غير **(ابن وهب الراسبي)** ، وأن منكريه يرمون إلى نسف أخبار السبئية قطعا لما زعم عن صلة بينها وبين التشيع ، وردا على المؤرخين الذين يزعمون أن أصل التشيع مأخوذ من اليهودية ، وبعض هؤلاء المنكرين ولاسيما المستشرقون منهم كانوا من اليهود الذين يظهرون نزعتهم العرقية إزاء هذه المسألة ، وقد كان هدفهم من ذلك الإنكار ادعاء أن الفتن إنما هي من عمل الصحابة أنفسهم ، وأن نسبتها إلى اليهود أو الزنادقة تعد نوعا من الدفاع عن الصحابة لجأ إليه الأخباريون والمؤرخون المسلمون ليعلقوا أخطاء هؤلاء الصحابة على عناصر أخرى .

22 ـ كان **ابن سبأ** ذا نشاط مزدوج تمثل في السياسة والدين ، فعنده نجد السياسة امتزجت بالدين ، وكلا منهما استغل لتدمير الآخر ، إذ استخدم الظروف السياسية لنشر أفكار دينية تأييدا لموقف ومعارضة لآخر ، واستعمل هذه الأفكار الدينية ذاتها لتحريك الفتن السياسية وتأليب المجتمع الإسلامي بعضه على بعض ، **وبذا يمكنه أن يحقق غايتين : التخريب السياسي والتحريف الديني في آن واحد** ، وإذا كان دوره السياسي قد انتهى بنفيه ، أو بوفاة **علي بن أبي طالب** ، فإن أفكاره ظلت بعد ذلك عند أتباعه واتصل وجودها مع الزمان .

23 ـ إن **مبادىء السبئية** لم تكن معروفة لدى العرب المسلمين في تلك المرحلة ، ولم تكن معهودة ، بل هي أفكار دخيلة على العرب بعامة استطاع **ابن سبأ** بمكره ودهائه المعهودين أن يستخلصها من اليهودية ليبثها في أوساط المجتمع الإسلامي ، وقد كان نفيه إلى **المدائن** وطوافه بعدد من الأمصار الإسلامية فرصة سانحة لتسريب أفكاره إلى عامة الناس مستغلا إياها في تحريضهم على التآمر على قتل **عثمان بن عفان** وإحداث الفتن بعد أن حقق هدفه الأكبر في إفساد عقائد المسلمين . وقد توزعت **السبئية** بين مجموعة من الفرق التي تسمت بأسماء عديدة ، واختطت لها مذاهب وأفكارا ومعتقدات، حملت علي عاتقها ذات المهمة التي كان **ابن سبأ** وأتباعه يعملون على تحقيقها، وهي مهمة إفساد عقائد المسلمين وتشتيت قواهم .

24 - إن عثمان الذى تآمر عليه السبئيون وقتلوه قد ساعد على تنامي مد خطر **السبئية** وانتشارها وذلك من خلال سياسته في الحكم التى سهلت للسبئيين مهمة انتشار مبادئهم في الأمصار الإسلامية . فسياسة **عثمان بن عفان** كانت عاملا مساعدا على تحقيق السبئية لأهدافها وتمرير مخططها التآمري على الإسلام والكيد له ، ذلك أن سياسته كانت سياسة قبلية أراد من خلالها **عثمان** أن يستحوذ على مقاليد السلطة بأبناء عمومته من **الأمويين** وبذلك ساعدت سياسته على تنفيذ مؤامرة السبئية في الكيد للإسلام سواء من خلال اثارتها الفتنة وانقضاضها على **عثمان** ، أو من خلال مناداتها **لعلي** وتشيعها له ونشرها لكثير من الأفكار التي نادت بها ثم تآلبها عليه فيما بعد .

وبما أن **السبئية كانت حركة يهودية بالأساس** ، مستهدفة النيل من الإسلام ودولته ، فإنه لم يكن بوسعها أن تنمو وتمتد إلى هذا الحد الذى وصلت إليه ، لتضرب بمخالبها على **عنق عثمان** لو أنها لم تجد المناخ ملائما أمامها لتوسيع نشاطها .

25 - إن ما ادعاه **ابن سبأ** وأتباعه من اليهود ، ومن انساق وراء أفكارهم ، - في الحقيقة - تراث يهودي حاول به **ابن سبأ** أن يشوه صورة الإسلام ، ويتسلل من خلاله إلى عمق فكر هذا الدين لتقويض بنيانه ، وهو بما ادعاه وأتباعه من اليهود وروج له من فكرة **الوصية والرجعة وتأليه علي** يكون دعي للإسلام ، ذلك أن المسلم الحق لا

يجرؤ على القول بهذا ، ناهيك عن إشاعته لتسلط **أبي بكر وعمر** ـ كما يدعي ـ على سدة الخلافة التي لم يكونا بأحق بها من **علي** ، وتأليبه للناقمين على **عثمان** ، ثم إشعاله لنار الفتنة بين من ألبهم على **عثمان** حتى غدا بعضهم يضرب أعناق بعض ويطالب كل فريق بالخلافة وهو يراقب ذلك الصراع ويأجج أواره .

26 ـ **إن وهبا كان مجرد قاص اخباري** لا يمكن عده من المؤرخين الذين يسردون الأخبار من مصادرها مراعين ثقة المصادر ، ناظرين بأعينهم الناقدة إلى ما يروون من أخبار وما يصل إليهم من قصص ، وهو بهذا الاتجاه يكون قد خالف **مدرسة المدينة** التي لم تعن بهذا النمط من قبله ، وأن كتبه كانت بعيدة كل البعد عن الكتابة العلمية التاريخية ، بل هي مجرد أخبار وقصص بعضها استقاه من الكتب القديمة ، وبعضها الآخر كان من اختراعه وخياله ، ولذلك فلايمكن الاعتماد عليها أو اعتمادها مصدرا من مصادر التاريخ .

27 ـ التناقض الذي يلاحظه المتتبع **لروايات وهب** في كتب التاريخ هو بالأساس نابع من تناقض روايات **وهب** نفسه التي لم ينظر اليها بحس نقدي تاريخي لانعدامه لديه ، والظاهر أنه وجد نفسه ضعيفا في التاريخ وفي أخبار العرب ، فمال إلى شيء آخر مرغوب فيه ولايدانيه فيه أحد وهو القصص الاسرائيلي وما يتعلق بأقوام ماضين ذكروا في القرآن الكريم ، أما النصوص المعزوة له والتي تناولت جانبا من القصص

المتعلقة بأنبياء الله آدم **وإدريس ونوح وداود وسليمان وأيوب وزكريا** ففيها تطاول واضح على مسألة العصمة التي نؤمن بها في حق الأنبياء **(عليهم السلام)** .

28 ـ لم يصل إلينا من الكتب التي نسبت إلى **وهب بن منبه** غير كتاب واحد وهو كتاب **(التيجان)** الذي حوى أساطير وخرافات كثيرة تعود أصولها إلى اليمن البيئة التي عاش فيها وأسهمت في تكوين ثقافته ، ومع ذلك فإن مروياته انتشرت بشكل كبير بين المفسرين والمؤرخين حتى صارت مادة رئيسية لدى كثير ممن تصدوا لتفسير القرآن الكريم وكتابة التاريخ .

29 ـ لم نجد في أي من المصادر التي عدنا إليها أية اشارة إلى أن هناك أي صلة بين **كعب الأحبار و عبدالله بن سبأ** ، بيد أن الوقائع التاريخية والأحداث التي قاما بها تنبيء عن استلام أدوار بعضهم بعضا، فمهمة **كعب الأحبار** في الدس على التفسير والحديث وزرع بذور الفتنة ، وتأليه **عمر** ، ثم التآمر على قتله ، من بعد ، واصلها **عبدالله بن سبأ** من خلال إشعاله نار الفتنة والخلاف بين صفوف المسلمين ، ونشره لأفكار **الوصية والرجعة** ، وعاود نفس الدور مع **علي** في تأليهه له ، والانقلاب عليه ، وتأجيج نار الثورة ضده حتى أدى إلى اغتياله في نهاية المطاف ، وجاء **وهب بن منبه** من بعدهما ليواصل دورهما . وإن اختلفت الطرق ، فإن الهدف العام كان واحدا ،

مع اتفاق **الثلاثة (كعب و ابن سبأ و وهب)** في مسألة الاتجاه نحو الفكر ، وربما هذا الاتجاه هو الأكثر بروزا لدى وهب بن منبه .

..... **وفي خاتمة الخاتمة أقول** ، إنها مجرد محاولة باحث متواضع ، حاول من خلالها أن يكشف عن جانب من جوانب الغزو الفكري والتآمر السياسي الذي لعبه بعض اليهود إزاء الثقافة العربية والفكر الإسلامي ، من أجل تدمير البناء الشامخ الذي أسسه الإسلام لهذه الأمة العظيمة ، حيث كشفت عن حقيقة الجذور الأولى لهذا الغزو الذي يعد أول غزو بهذه القوة تواجهه الثقافة العربية على امتداد تاريخها .

ولست أزعم أنني أعطيت هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة والنقد ، لكنني أشعر بالرضا لأنني بذلت فيه كل جهدي من أجل أن أسهم بقدر بسيط ومتواضع في الكشف عن بعض جوانب صراعنا - نحن العرب المسلمين - في مواجهة عدونا القديم المتجدد عبر مراحل التاريخ .

المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المصادر

(1) القرآن الكريم

(2) الكتاب المقدس

(3) ابن الأثير: أبوالحسن علي بن أبي الكرم الشيباني

- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**

القاهرة ، دار الشعب . 1970م

- **الكامل في التاريخ**

بيروت ، دار الكتاب العربى . الطبعة الثالثة . 1980م

(4) الأسفراييني : أبوالمظفر طاهر بن محمد

- **التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين**

تقديم / محمد زاهد الكوثري

مطبعة الأنوار . الطبعة الأولى . 1940م

(5) الأشعري : أبوخلف سعد بن عبدالله

- **المقالات والفرق**

طهران ، مجهول الناشر . ط . بلا/ 1963م

(6) الاصبهاني: أبونعيم أحمد بن عبدالله

- **حلية الاولياء**

بيروت ، دار الكتاب العربى . الطبعة الخامسة . 1987م

(7) أعشى همدان : عبدالرحمن بن عبدالله

- **ديوان الأعشى**

تحقيق/ حسن عيسى أبوياسين

الرياض ، دار العلوم .ط . بلا/ 1983م

(8) **الأيجي** : عضدالدين عبدالرحمن بن أحمد
– **شرح المواقف في علم الكلام**
بيروت ، عالم الكتب . ط/بلا ـ 'ب . ت'
(9) **البغدادي** : أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر
– **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**
تحقيق / طه عبدالروف سعد
القاهرة ، مؤسسة الحلبي وشركائه . ط/بلا ـ 'ب . ت'
(10) **البلاذري** : أحمد بن يحيى بن جابر
– **أنساب الاشراف**
تحقيق / محمد حميد الله
القاهرة ، دار المعارف . ط . بلا/1959م
(11) **الترمذي**: أبوعيسى محمد بن عيسى بن سوره
– **سنن الترمذي**
تحقيق/ أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبدالباقي
القاهرة ، مطبعة البابلي الحلبي .ط . بلا/ 1937م
(12) **ابن تيمية** : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام
– **مقدمة في أصول التفسير**
الكويت و بيروت ، دار القرآن الكريم ومؤسسة الرسالة
الطبعة الثانية . 1972م
(13) **الثعلبي**: أبواسحاق أحمد
– **قصص الانبياء (المسمى بالعرائس)**
مكة ، دار التعاون . ط/بلا ـ 'ب . ت'
(14) **الجاحظ** : أبوعمرو عثمان بن بحر
– **البيان والتبيين**
بيروت ، دار الفكر للجميع . ط .بلا/ 1968م
(15) **ابن أبى الحديد :عزالدين أبوحامد**
– **شرح نهج البلاغة**
بيروت ، دار الاندلس . ط . بلا/ 1996م
(16) **ابن الجوزي** : أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد
– **القصاص والمذكريين**

تحقيق / قاسم السامرائي
الرياض ، دار أمية . الطبعة الأولى . 1983م
(17) ابن حبيب : أبوجعفر محمد بن حبيب الهاشمي
- المحبر
تحقيق / ايلزة ليختن شتيتر
بيروت ، دار الآفاق الجديدة .ط/بلا . 'ب . ت'
(18) ابن حجر : شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن علي العسقلاني
- فتح البارى بشرح صحيح البخاري
تحقيق / محمد فؤادعبدالباقى ومحب الدين الخطيب وقصي محب الدين الخطيب
القاهرة ، دار الريان للتراث . الطبعة الأولى . 1987م
- لسان الميزان
بيروت ، دار الفكر. ط .بلا/1993م
- تهذيب التهذيب
حيدر أباد ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية . ط .بلا/1326هـ
(19) ابن حزم : أبومحمد علي بن أحمد الأندلسي
- الفصل في الملل والأهواء والنحل
بيروت ، دار المعرفة . ط .بلا/1986م
(20) الحموى: شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله
- معجم الأدباء
بيروت ، دار إحياء التراث العربى. الطبعة الأولى 1988 م
(21) الحميري : ابوسعيد نشوان بن سعيد
- الحور العين
تحقيق / كمال وصفي
القاهرة ، مطبعة السعادة ومكتبة الخانجي ومكتبة المثنى بغداد ط . بلا/ 1947م
(22) ابن حنبل : أحمد بن حنبل الشيباني
- فضائل الصحابة
تحقيق / وصى الله بن محمد عباس
بيروت ، مجهول الناشر . ط . بلا/1983م

(23) **الخازن** : علي بن محمد
- **لباب التأويل في معاني التنزيل**
بيروت ، دار محمد أمين.دمج .ط/بلا ـ "ب . ت"
(24) **الخزرجي** : صفي الدين
- **خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال**
القاهرة ، الطبعة الأولى . 1903م
(25) **ابن خلدون**: ولي الدين أبوزيد عبدالرحمن بن محمد
- **المقدمة**
بيروت , دار الكتاب اللبنانى ومكتبة المدرسة . ط . بلا/1982م
(26) **ابن خلكان** : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
- **وفيات الأعيان**
تحقيق / إحسان عباس
بيروت ، دار الثقافة . ط/بلا ـ "ب . ت"
(27) **الدميرى**: محمد بن موسى بن عيسى
- **حياة الحيوان**
دمشق : دار طلاس . الطبعة الأولى . 1989م
(28) **الذهبي** : أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان
- **تذكرة الحفاظ**
بيروت ، دار احياء التراث العربى .ط/بلا ـ "ب . ت"
- **المشتبه في أسماء الرجال**
تحقيق / علي محمد البجاوي
القاهرة ، دار احياء الكتب العربية . الطبعة الأولى . 1962م
- **تاريخ الإسلام**
تحقيق / عمر عبدالسلام تدمري
بيروت ، دار الكتاب العربي . الطبعة الثانية . 1989م
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**
تحقيق / علي محمد البجاوى
القاهرة ، دار المعرفة للطباعة والنشر. الطبعة الأولى . 1963م
(29) **ابن سعد** : محمد بن سعيد بن منيع
- **الطبقات الكبرى**
بيروت ، دار صادر. ط/بلا ـ 'ب . ت'

(30) **السمعاني** : أبوسعد عبدالكريم بن محمد
- **الأنساب**
تحقيق / محمد عوامه
بيروت ، نشر محمد أمين دمج . الطبعة الأولى .1976م
(31) **السيوطى**: جلال الدين عبدالرحمن
- **الاتقان في علوم القرآن .**
بيروت ، عالم الكتب . ط/بلا - 'ب . ت'
- **تاريخ الخلفاء**
القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية . ط/بلا - 'ب . ت'
(32) **الشاطبي** : أبواسحاق إيراهيم بن موسى بن محمد اللخمي
- **الاعتصام**
القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى . ط/بلا - 'ب . ت'
(33) **الشربيني** : شمس الدين محمد بن محمد
- **السراج المنير .**
القاهرة ، المطبعة الاميرية . ط. بلا/1294 هـ
(34) **الشهرستاني** : أبو الفتح بن عبدالكريم بن أبي بكر
- **الملل والنحل**
تحقيق / محمد سيد كيلاني
القاهرة ، مكتبة ومطبعة مصطفي الحلبي .ط . بلا/ 1976م
(35) **الطبرى** : محمد بن جرير
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**
القاهرة ، دار المعارف . ط . بلا/1957م
- **تاريخ الأمم والملوك**
تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم
بيروت ، دار سويدان .ط/بلا - 'ب . ت'
(36) **ابن عبد ربه الأندلسي** :
- **العقدالفريد**
بيروت ، دار الفكر . ط/بلا - 'ب . ت'

(37) **ابن العربي** : القاضي (أبوبكر)
- **العواصم من القواصم**
تحقيق / محب الدين الخطيب
بيروت ، مكتبة اسامة بن زيد . ط . بلا/1979م
(38) **ابن عساكر** : علي بن حسن بن هبة الله الشافعي
- **تاريخ دمشق**
دمشق ، مجهول الناشر . ط . بلا/1349هـ
(39) **ابن العماد** : أبوالفداء عبدالحي بن أحمد
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**
بيروت ، دار المسيرة . الطبعة الثانية . 1979م
(40) **الفرزدق** : همام بن غالب
- **الديوان**
بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر. ط . بلا/ 1980م
(41) **ابن قتيبة** : أبو محمد عبدالله بن مسلم
- **المعارف**
تحقيق / ثروت عكاشة
القاهرة ، دار المعارف. الطبعة السادسة . 1993م
- **تأويل مختلف الحديث**
بيروت , دار الكتاب العربى . ط/بلا ـ 'ب . ت'
- **عيون الاخبار**
بيروت , دار الكتاب العربى . ط/بلا ـ "ب . ت"
(42) **القمي** : سعد بن عبدالله أبوخلف
- **المقالات والفرق**
تصحيح وتقديم / محمد جواد مشكور
طهران ، مطبعة حيدري . ط . بلا/ 1963م
(43) **ابن كثير** : إسماعيل بن عمر ابو الفداء
- **تفسير القرآن العظيم**
بيروت ، دار المعرفة . ط . بلا/1980م

- **البداية والنهاية**

بيروت ، مكتبة المعارف . الطبعة الرابعة . 1982م

(44) ابن ماجة : أبوعبدالله محمد بن يزيد

- **سنن الحفاظ**

القاهرة ، مطبعة البابلي الحلبي .ط . بلا/ 1953م

(45) المالقي : محمد بن يحيى بن أبي بكر

- **التمهيد والبيان في قتل الشهيد عثمان**

تحقيق / محمد يوسف زايد

بيروت ، دار الثقافة . ط . بلا/1954م

(46) المروني : محمد بن عبدالملك

- **الثناء الحسن على أهل اليمن**

بيروت ، دار الندى . الطبعة الثانية . 1990م

(47) المسعودي: أبوالحسن علي بن الحسين بن علي

- **مروج الذهب**

تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد

القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى . الطبعة الرابعة . 1964م

- **التنبيه والاشراف**

بيروت ، مكتبة الهلال . ط . بلا/1981م

(48) مسلم: مسلم بن الحجاج

- **صحيح مسلم بشرح النووي**

بيروت ، دار الريان للتراث .ط . بلا/1987م

(49) المعري : أبو العلاء

- رسالة الغفران

تحقيق / بنت الشاطيء

القاهرة ، دار المعارف . الطبعة السادسة . 1977م

(50) المقريزي : تقي الدين أبوالعباس أحمد بن علي

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

القاهرة ، دار التحرير للطبع والنشر .ط . بلا/ 1968م

(51) الملطي : أبوالحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن

- التبيه والرد على أهل الأهواء والبدع

تقديم / محمد زاهد الكوثري

بغداد ، مكتبة المتنى . ط . بلا/1968م

(52) ابن منبه : وهب

- التيجان في ملوك حمير

تحقيق / مركز الدراسات والأبحاث اليمنية

صنعاء ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية . ط/بلا ـ 'ب . ت'

(53) ابن منظور: محمد بن مكرم

- لسان العرب

بيروت ، دار صادر. ط/بلا ـ 'ب . ت'

(54) الناشيء الأكبر : عبدالله بن محمد

- مسائل الامامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات

تحقيق وتقديم / يوسف فان اس

بيروت ، دار النشر فرانتس شتاينر بقيسبادن .ط . بلا/ 1971م

(55) **النديم** : محمد بن اسحاق

- **الفهرست**

بيروت ، دار المعرفة . ط/بلا ـ 'ب . ت'

(56) **النوبختي** : أبومحمد الحسن بن موسى

- **فرق الشيعة**

تصحيح / هـ . ريتر

استانبول ، مطبعة الدولة . ط . بلا/1931م

(57) **ابن هشام** : أبومحمد عبدالملك بن هاشم

- **السيرة النبوية**

تحقيق / عمر عبدالسلام تدمرى .

بيروت , دار الكتاب العربى . الطبعة الرابعة . 1993م

(58) **الهمداني**: أبومحمد الحسن بن أحمد بن يعقوب

- **الاكليل**

تحقيق / محمد بن علي الأكوع

بيروت ، منشورات المدينة . الطبعة الثالثة . 1986م

(59) **الواقدي** : محمد بن عمر بن واقد

- **المغازي**

تحقيق / مارسدن جونس.

بيروت ، عالم الكتب . ط/بلا ـ "ب . ت"

(60) **اليعقوبي** : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر

- **تاريخ اليعقوبي**

بيروت ، دار بيروت . ط . بلا/1970م

ثانيا : المراجع

(1) أمين : أحمد

- فجر الإسلام

بيروت.دار الكتاب العربى, الطبعة الحادية عشرة . 1979م

(2) سوسة : أحمد

- العرب واليهود في التاريخ

القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية الطبعة العاشرة. 1992م

(3) المجنوب : أحمد علي

- المستوطنات اليهودية

القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية . الطبعة الرابعة . 1992م

(4) العربي : إسماعيل

- معجم الفرق والمذاهب الإسلامية

بيروت ، دار الآفاق الجديدة . الطبعة الأولى . 1993م

(5) دلو : برهان الدين

- جزيرة العرب قبل الإسلام

بيروت ، دار الفارابي . الطبعة الأولى . 1989م

(6) لويس : برناند

- أصول الاسماعلية والفاطمية والقرمطية

ترجمة / حكمت بلحوق

راجعه وقدم له / خليل أحمد خليل

بيروت ، دار الحداثة .ط . بلا/ 1980م

(7) مسعد : بولس حنا

- همجية التعاليم الصهيونية

بيروت ، المكتب الإسلامي . ط/بلا - 'ب . ت'

(8) نقرة : التهامي

- سيكولوجية القصة في القرآن

تونس ، الشركة التونسية للتوزيع . الطبعة الثانية . 1987م

(9) علي : جواد

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

بيروت وبغداد،دار العلم للملايين ومكتبة النهضة.الطبعة الثانية . 1978م

(10) بوست : جورج

- قاموس الكتاب المقدس

بيروت ، المطبعة الامريكانية .ط . بلا/ 1894م

(11) جولدزيهر

- العقيدة والشريعة في الإسلام

ترجمة / محمد يوسف موسى ، علي حسن عبدالقادر ، عبدالعزيز عبدالحق

القاهرة وبغداد ، دارالكتب الحديثة ومكتبة المثنى.الطبعة الثانية. 1959م

(12) خليفة : حاجي

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

بغداد ، مكتبة المثنى . ط/بلا - 'ب . ت'

(13) **حسن** : إبراهيم حسن

- تاريخ الإسلام

القاهرة . دار النهضة المصرية . الطبعة السابعة . 1964م

(14) **الباش** : حسن

- الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب الثوراتي

دمشق ، دار الجليل . الطبعة الأولى . 1988م

(15) **صادق** : حسن

- جذور الفتنة في الفرق الإسلامية

القاهرة ، مكتبة مذبولي . ط . بلا/1988م

(16) **ظاظا** : حسن

- الشخصية الاسرائيلية

دمشق ، دار القلم . الطبعة الثانية . 1990م

(17) **نعمة** : حسن

- ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة

بيروت ، دار الفكر اللبناني .ط . بلا/ 1994م

(18) **الأطير** : حسني يوسف

- البدايات الأولى للإسرائيليات

القاهرة ، مكتبة الزهراء . الطبعة الأولى . 1991م

(19) **نصار** : حسين

- نشأة التدوين التاريخي عند العرب

بيروت , دار اقرأ . ط . بلا/1980م

(20) الزركلي : خير الدين

- الأعلام

بيروت ، دار العلم للملايين . الطبعة الخامسة . 1980م

(21) نعناعة : رمزي

- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير

دمشق وبيروت،دار القلم ودار الضياء . الطبعة الأولى .1971م

(22) رونلدسن

- عقيدة الشيعة

القاهرة ، مطبعة الخانجي . ط/بلا ـ 'ب . ت'

(23) حسن : سعد محمد

- المهدية في الإسلام

القاهرة ، دار الكتاب العربي . ط . بلا/1953م

(24) الأفغاني : سعيد

- عائشة والسياسة

القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر .ط . بلا/ 1947م

(25) العودة : سليمان

- عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام

الرياض ، دار طيبة . الطبعة الثالثة . 1412هـ

(26) خليل : السيد أحمد

- نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن

مجهول الناشر . ط . بلا/1954م

(27) **الشقرا** : سيد حسن

- **احذروا الإسرائيليات**

القاهرة ، مطبعة مصطفى إبراهيم تاج . ط/بلا ـ 'ب . ت'

(28) **الجزائري** : السيد نعمة الله

- **النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين**

بيروت ، دار الأندلس . ط/بلا ـ 'ب . ت'

(29) **كاشف** : سيدة إسماعيل

- **مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه**

بيروت ، دار الرائد العربي .ط .بلا/ 1983م

(30) **مصطفي** : شاكر

- **التاريخ العربى والمؤرخون**

بيروت ، دار العلم للملايين . الطبعة الثانية . 1980م

(31) **طعيمة** : صابر

- **الأسفار المقدسة قبل الإسلام**

بيروت ، عالم الكتب . الطبعة الأولى . 1985م

- **التاريخ اليهودي العام**

بيروت ، دار الجيل . الطبعة الثالثة .1991م

(32) **درادكة** : صالح موسى

- **العلاقات العربية اليهودية حتى عهد الخلفاء الراشدين**

عمان ، الأهلية للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى . 1992م

(33) **الصالح** : صبحي

- **علوم الحديث ومصطلحه**

بيروت ، دار العلم للملايين. الطبعة الحادية عشرة . 1979م

(34) **الخالدي** : صلاح

- **اسرائيليات معاصرة**

عمان ، دار عمار . ط . بلا/1991م

(35) **الزاوي** : الطاهر أحمد

- **ترتيب القاموس المحيط**

طرابلس وتونس،الدار العربية للكتاب.الطبعة الثانية . 1980م

(36) **النفوسي** : أبوطاهر إسماعيل

- **قناطر الخيرات**

تحقيق / عمرو خليفة النامي

القاهرة , مكتبة وهبة , الطبعة الأولى . 1965م

(37) **حسين** : طه

- **الشيخان**

القاهرة ، دار المعارف . الطبعة الثامنة . 'ب . ت'

- **الفتنة الكبرى**

القاهرة ، دار المعارف . الطبعة الثامنة . 1970م

- **الإسلاميات**

بيروت ، دار العلم للملايين . الطبعة الثالثة . 1981م

(38) **خان** : ظفر الإسلام

- **التلمود تاريخه وتعاليمه**

بيروت ، دار النقائس . الطبعة الثانية . 1972م

(39) **عبدالرحمن** : عائشة

- **الإسرائيليات في الغزو الفكري**

القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ودار غريب . 1975م

(40) **بدوي** : عبدالرحمن

- **مذاهب الإسلاميين**

بيروت ، دار العلم للملايين . الطبعة الثالثة . 1973م

(41) **الدوري** : عبدالعزيز

- **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب**

بيروت ، دار المشرق . الطبعة الثانية . 1993م

(42) **لاشين** : عبدالفتاح

- **لغة المنافقين في القرآن**

بيروت ، دار الرائد العربي . الطبعة الأولى . 1985م

(43) **السامرائي** : عبدالله سلوم

- **الغلو والفرق الغالية**

العراق ، دار واسط . ط/بلا ـ 'ب . ت'

(44) **الفياض** : عبدالله

- **تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة من نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري**

بيروت ، مؤسسة الأعلمي . الطبعة الثالثة . 1975م

(45) **النجار** : عبدالوهاب

- **قصص الأنبياء**

بيروت ، دار الرائد العربي . ط/بلا ـ 'ب . ت'

(46) النشار : علي سامي

- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام

القاهرة ، دار المعارف . الطبعة الرابعة . 1969م

(47) وافي : على عبدالواحد

- اليهودية واليهود

القاهرة ، دار نهضة مصر . ط/بلا ـ 'ب . ت'

(48) حماز : علي محمد

- التعريف برواة مسند الشاميين

بيروت ، دار الكتب الثقافية . الطبعة الأولى . 1989م

(49) الوردي : علي

- مهزلة العقل البشرى

بغداد ، مطبعة الرابطة . ط . بلا/1955م

- وعاظ السلاطين

لندن ، دار كوفان . الطبعة الثانية . 1995م

(50) الطالبي : عمار

- آراء الخوارج

الاسكندرية ، المكتب المصرى الحديث . ط/بلا ـ 'ب . ت'

(51) كحالة : عمر رضا

- معجم المؤلفين

بيروت ، مكتبة المثنى و دار إحياء التراث العربي .ط/بلا ـ "ب . ت"

(52) فريج : غازي محمد

- النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة

بيروت ، دار النفائس . الطبعة الأولى . 1990م

(53) حمادة : فاروق

- مصادر السيرة النبوية وتقويمها

الدار البيضاء ، دار الثقافة . الطبعة الأولى . 1980م

(54) خورشيد : فاروق

- في الرواية العربية

القاهرة ، الدار المصرية للطباعة والنشر. ط . بلا/1960م

(55) جمعة : فاطمة

- الاتجاهات الحزبية في الإسلام

بيروت ، دار الفكر اللبناني . ط/بلا - "ب . ت"

(56) فلوتن : فان

- السيادة العربية والشيعة والاسرائيليليات

ترجمة / حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم

القاهرة ، دار النهضة المصرية . الطبعة الثانية . 1993م

(57) الزغبيي : فتحي

- غلاة الشيعة

طنطا ، مطبعة غباشي . ط/بلا - 'ب . ت'

(58) فلهاوزن

- أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة

ترجمة / عبدالرحمن بدوي

الكويت ، وكالة المطبوعات . الطبعة الثالثة . 1978م

(59) حميد : فوزي محمد

– **عالم الاديان بين الأسطورة والخيال**

طرابلس ، جمعية الدعوة الإسلامية . ط . بلا/1991م

(60) وهبه : مجدي ، **والمهندس** : كامل

– **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**

بيروت ، مكتبة لبنان . ط . بلا/1979م

(61) خلف الله : محمد أحمد

– **الفن القصصي في القرآن**

القاهرة ، مجهول الناشر . ط/بلا ـ 'ب . ت'

(62) امحزون : محمد

– **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة**

الرياض ، دار طيبة و مكتبة الكوثر . الطبعة الأولي . 1994م

(63) مهران : محمد بيومي

– **دراسات تاريخية من القرآن الكريم**

بيروت ، دار النهضة العربية . الطبعة الثالثة . 1988م

(64) عبد العال : محمد جابر

– **حركات الشيعة المتطرفين**

القاهرة ، دار المعرفة . ط . بلا/1967م

(65) **الذهبي : محمد حسين**

- **الإسرائيليات في التفسير والحديث**

دمشق ، دار الايمان . الطبعة الثانية . 1985م

- **التفسير والمفسرون**

القاهرة ، دار الكتب الحديث . الطبعة الثالثة . 1976م

- **الاتجاهات المنحرفة في تفسير القران الكريم**

القاهرة ، مكتبة وهبة . الطبعة الثالثة . 1986م

(66) **رضا : محمد رشيد**

- **تفسير المنار**

القاهرة ، مطبعة محمد على صبيح.الطبعة الثالثة .'ب . ت'

(67) **أبوزهرة : محمد**

- **الحديث والمحدثون**

القاهرة ، المكتبة التوفيقية . ط/ بلا ـ 'ب . ت'

(68) **السعدي : محمد**

- **حول موثوقية الإنجيل والتوراة**

طرابلس ، جمعية الدعوة الإسلامية . الطبعة الأولى . 1986م

(69) **العوا : محمد سليم**

- **في النظام السياسي للدولة الإسلامية**

القاهرة ، المكتب المصري الحديث . الطبعة السادسة . 1983م

(70) **طنطاوي : محمد سيد**

- **بنو اسرائيل في القرآن والسنة**

بنغازى ، دار مكتب الاندلس . الطبعة الثانية . 1973م

(71) أبوشهبة : محمد

- **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**

القاهرة ، مكتبة السنة . الطبعة الرابعة . 1408م

(72) عرجون : محمد الصادق

- **الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان**

دمشق وبيروت , مكتبة الغزالي . الطبعة الأولى . 1978 م

(73) خان : محمد عبد المعيد

- **الأساطير والخرافات عند العرب**

بيروت ، دار الحداثة . الطبعة الرابعة . 1982م

(74) قطب : محمد على

- معارك النبي مع اليهود

القاهرة ، مكتبة مدبولي . الطبعة الأولى . 1985م

(75) عمارة : محمد

- **الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية**

بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . الطبعة الأولى . 'ب . ت'

(76) الخطراوي : محمد العيد

- **المدينة في صدر الإسلام**

المدينة ودمشق و بيروت ، دار التراث و مؤسسة علوم القرآن . الطبعة الأولى . 1984م

(77) وجدي : محمد فريد
- دائرة معارف القرن العشرين
القاهرة ، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين .ط . بلا/ 1023م
(78) الغزالي : محمد
- ركائز الايمان بين العقل والقلب
بيروت ، مجهول الناشر . ط . بلا/1967م
(79) أبورية : محمود
- أضواء على السنة المحمدية
القاهرة ، دار المعارف . الطبعة الخامسة 1980م
- شيخ المضيرة
القاهرة ، دار المعارف . الطبعة الثالثة . "ب . ت"
(80) الطحان : محمود
- تيسير مصطلح الحديث
الرياض ، دار مكتبة المعارف . الطبعة الثامنة . 1987م
(81) العسكري : مرتضى
- عبدالله بن سبأ
القاهرة ، دار الكتاب العربى . ط/بلا . "ب . ت"
(82) حسين : مصطفي وآخرون
- ندوة السيرة النبوية
طرابلس ، جمعية الدعوة الإسلامية . الطبعة الأولى . 1986م

(83) الشيبي : كامل مصطفي

- الصلة بين التصوف والتشيع

القاهرة ، دار المعارف . الطبعة الثانية . 'ب . ت'

(84) معروف : نايف

- الخوارج في العصر الأموي

بيروت ، دار الطليعة . الطبعة الثانية . 1981م

(85) نيكلسون

- تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام

ترجمة وتحقيق / صفاء خلوصي

بغداد ، المعارف .ط . بلا/ 1969م

(86) جب : هملتون

- دراسات في حضارة الإسلام

تحقيق/ احسان عباس و محمد نجم و محمود زايد

بيروت ، مجهول الناشر . ط . بلا/1964م

(87) هوتسما : م ث . و هود غسون : م - ج

- الموسوعة الإسلامية

(88) ديورانت : ول

- قصة الحضارة

ترجمة / محمد بدران

القاهرة ، جامعة الدول العربية . ط/بلا - 'ب . ت'

(89) العش : يوسف

- الدولة الأموية

دمشق ، دار الفكر . الطبعة الثانية . 1985م

(90) هورفتيش : يوسف

- المغازي الأولى ومؤلفوها

ترجمة / حسين نصار

القاهرة ، مطبعة مصطفي البابلي . الطبعة الأولى . 1949م

ثالثا : الدوريات

(1) مجلة المنار محمد رشيد رضا العدد 27

(2) مجلة الرسالة (**الفتنة الكبرى**) محمود محمد شاكر . السنة (16) العدد (763) سنة 1948م

(3) مجلة المجمع العلمي العراقي (**ابن سبأ**) جواد علي . العدد (السادس) سنة 1959م

(4) النشرة الزيتونية للشريعة وأصول الدين (**أثر التراث الشرقي في المذهب السبئي**) علي الشابي . العدد (الأول) سنة 1971م

(5) مجلة كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية (**منهج المحدثين في الدفاع عن الحديث وبيان الدخيل**) أبوالعلا على أبوالعلا . جامعة قاريونس . العدد الثاني (74/ 75)

(6) مجلة عالم الفكر. الكويت . (**جوانب من الأسطورة**) الياد .المجلد (16) سنة 1985م

(7) مجلة عالم الفكر. الكويت . (**الأسطورة في الأدب الفرنسي المعاصر**) . سامية أسعد. المجلد (16) سنة 1985م

(8) مجلة الثقافة العربية.. ليبيا (**الجذور التاريخية للغزو الفكري في صدر الإسلام**). علي فهمي خشيم العدد (السادس) السنة (التاسعة) يونيو 1982م

وجهات نظر

للأستاذ الدكتور/ محمد مصطفى بن الحاج

سعدت كثيرا بمناقشة هذا العمل الجاد الذي يتقدم به الأخ الأستاذ عبدالله مليطان إلى المكتبة العربية ، وكان لي الشرف في مشاركة أستاذنا الكبير الدكتور عمر التومي الشيباني في تلك المناقشة التي كانت على درجة عالية من الجدية والحيوية والخصوبة ، والحرارة أيضا .

سعدت حقا بإسهامي المتواضع في تقليب جنبات الموضوع ، وبما غنمته من فائدة علمية مهمة برجوعي الاضطراري إلى عدد كبير جدا من المصادر والمراجع القديمة والحديثة . ولقد هالني طابع التنوع الذي اختاره الباحث حتى بلغ بي الأمر أن جئته ذات صباح لأعتذر إليه عن عدم استطاعتي مناقشة هذا العمل وتحمل ما بدا لي فيه من وجهات نظر ومنهجية تبعث على الحيطة والحذر . وكان هذا الاعتذار صدمة له ، خشيت عليه منها ، حتى إنني وجدت نفسي مضطرا إلى قبول الأمر كما هو ، وعلى أن أصارح الباحث من بعد بما أراه غاية المصارحة وهذا ما كان يوم المناقشة .

كانت ملاحظاتي موزعة بين المنهجية والمسائل العلمية المحضة والمآخذ اللغوية والإملائية والشكلية . ونظرا لكثرة تلك الملاحظات ، وهو دليل ـ في جانب من جوانب الموقف ، على أهمية الموضوع وثرائه ، فقيمة العمل العلمي الرصين الجيد هو بمقدار ما

يثيره من قضايا وإشكالات ، لا بمقدار ما يقدمه من مسلمات مقبولة وأفكار مكررة لاخلاف حولها ـ نظرا لكثرة الملاحظات لم أتمكن إلا من مناقشة الباحث في نماذج قليلة منها ، على أن يلتزم بها جميعا ، فيأخذها مباشرة من نسختي الخاصة ويصلح أطروحته على ضوئها إصلاحا شاملا . ومرت أسابيع اتصل بي بعدها الأخ الباحث ليقول لي: لقد أخذت بكل الملاحظات إلا الملاحظات الموضوعية التي تمثل وجهات نظرك فيما ذهبت إليه من آراء وأحكام ، ومن ثم فأنا منتظر ردك الذي وعدت به لينشر رفقة الأطروحة نفسها .

وهأنذا أحاول أن أستجمع شتات ما بقي في ذاكرتي من انطباعات وملاحظات مختلفة ، وفاء لحق الأمانة العلمية وإبراء للذمة أمام الله سبحانة .

في أهمية الموضوع

يمثل موضوع الإسرائيليات هنا إسهاما مهما في سبيل إيجاد مشروع ثقافي شامل يراجع علميا تراث أمتنا ويعيد كتابة تاريخها ، كما يعيد النظر في كثير من المسلمات الشائعة،التي هي في حاجة ماسة إلى مراجعة وغربلة وتمحيص . هذا الإسهام هو مطلب حيوي واستراتيجي معاصر أمام مشروعات الصهيونية الثقافية وخططها الواسعة في احتواء المواقف الدولية وكسبها إلى جانبها بأي ثمن وبأي أسلوب . ويحضرني هنا ما تقوم به الجامعة العبرية في إسرائيل منذ ما يقارب

ربع القرن من أبحاث ودراسات عن القرن الهجري الأول ، بمساعدة عدد من المستشرقين المتخصصين في مجالات الحضارة العربية والثقافية الإسلامية ، سعيا لمحاولة زعزعتها من الجذور .

واستنادا إلى هذه الحقيقة فإن هذا الموضوع الذي درسه الباحث هنا قد تناولته أقلام كثيرة في عدد من اللغات الحية ، ولو راجع الباحث مثلا ما يسمى بالفهرست الإسلامي الذي يصدره الأستاذ بيرسون (**bearson**) في جامعة لندن ، لوقف على دراسات كثيرة في هذا المجال، إضافة إلى ما ورد في الموسوعة الإسلامية للمستشرقين الصادرة عن مكتبة برل (**brill**) في هولندا ، وما ورد في عشرات الكتب والدوريات الإستشراقية القديمة منها والحديثة . وفي الحق ، يعد غياب هذه المراجع من دراسة الأخ الباحث نقصا فادحا لا يستطيع منطق البحث أن يغض الطرف عنه .

إن تفاصيل الدراسة التي بين يدي القارئ قد تطرقت إليها أقلام كثيرة باستقصاء أوسع ، وتحر أدق وأكثر اتصالا بمصادر الموضوع الأولى مباشرة . ومن ثم ، فقد كان من المتوقع أن يكون تناول الباحث لهذا الموضوع تناولا تحليليا لدراسة النصوص الإسرائيلية ذاتها في أبعادها التاريخية والنفسية والسياسية والفكرية بعامة ، بل في الأبعاد الاجتماعية التي زرعتها الإسرائيليات وما تزال حية في سلوك المواطن المسلم بعامة والعربي بخاصة وفي معتقداته وعاداته . كان المنتظر

ذلك ، على شاكلة ماكتبه المفكر الفرنسي المسلم (روجيه غارودي) في دراسته القيمة المعروفة " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " التي أثارت عليه أحقاد الصهيونية فأرغمت الحكومة الفرنسية على محاكمته وازعاجه والتضييق عليه .

إن الغزو الثقافي لأمتنا يتمثل في أشكال متعددة وتيارات مختلفة تمتد جذورها لا إلى الإسرائيليات فقط في مفهومها التقليدي ، بل إلى ثقافات وثنية مشرقية وأوربية قديمة ، اختلطت بأخبار كتابية مشوهة ومختلقة ، تشابكت جميعا وأفرزت هذه الملل والنحل التي عرفتها شعوب المنطقة العربية قديما ، ثم ظلت تتسلل عبر الأجيال والأزمان حتى يومنا هذا .

هيكل الدراسة

لقد حرم هيكل الدراسة بوضعه الحالي . حرم الموضوع من تناول أكثر نفعا وجدة . فقد انطلق عل نمط ما ساد كثير من الدراسات السابقة لعدد من الأساتذة : رمزي نعناعة ، ومحمد حسين الذهبي ، ومحمد أبوشهبة ، حيث استوحى الباحث في بابه الأول أسلوبهم أو بالأحرى مساراتهم الأساسية في طرح القضايا بغض النظر عن وجهات نظرهم الخاصة فيها ، فلما انتقل إلى الأبواب الثاني والثالث والرابع حيث خصصها لدراسة شخصيات محددة هي : كعب الأحبار وعبدالله بن سبأ ووهب بن منبه ، اعتمد كليا تقريبا على منهج فريق

آخر من الكتاب المحدثين كأحمد أمين ، ورشيد رضا ، ومحمود أبورية، متكئا على آرائهم واجتهاداتهم المبثوثة في كتبهم التي هي مجرد مصادر ثانوية أي مراجع لما ورد في المصادر الأمهات القديمة . من هنا يستطيع القارىء لهذه الدراسة أن يفهم بكل يسر ووضوح أن الباحث دخل على موضوعه دخول المترصد السابق الإصرار على إدانة تلك الشخصيات الثلاث المدروسة ، وهو الأمر الذي أدى بالدراسة إلى ابتعادها عن التناول الموضوعاتي على شكل قضايا . ومنطق البحث العلمي يدعونا دائما إلى تقليب خطة البحث منذ البداية على عدة وجوه ، ومحاولة ايجاد أكثر من طرح بديل للموضوع . ولو فعل باحثنا هذا مع موضوعه ، لاستطاع أن يقدمه دراسة بنمظور مختلف لما هي عليه الآن .

ولهذا السبب اقترحت على الباحث خلال مناقشته العلنية تصورا بديلا كنت شخصيا أفضله على الموجود هنا . هذا البديل يقدم دراسة موضوعاتية في نصوص الإسرائيليات خلال العلوم الإسلامية المعروفة : التفسير ، والحديث ، وعلم الكلام ، والسيرة والتاريخ ، والتصوف ، والأدب ...إلخ ، دراسة تعتمد على مسح دقيق للمادة العلمية وتحليلها على ضوء مختلف الآراء الإسلامية القديمة والحديثة ومن بينها آراء المستشرقين ، آخذة في حسبانها المصادر المتعددة للغزو الثقافي الذي استهدف المجتمع المسلم عبر العصور ، من

زرادشتية ومانوية ومزدكية وهندوسية ووثنية ويهودية ومسيحية متداخلة ، وتنتهي الدراسة برصد النتائج الفكرية والسياسية والاجتماعية التي كانت ومازال تخلل حياتنا حتى الآن .

قضايا منهجية

انضباط المنهجية في الأطروحات الجامعية أمر نسبي على كثرة ما يحرص الأساتذة وينبهون ويحذرون . ولئن كانت أطروحتا الماجستير والدكتوراة تجربتين عمليتين في الكتابة العلمية الملتزمة ، فإنهما من الطبيعي أن تكونا مجالا للأخطاء والمآخذ المنهجية بصورة خاصة ، ولاسيما إذا تم الإشراف عليهما شكليا وأجيزتا تحت ضغوط السرعة والمجاملة . وتبقى بعد هذا أخطاء ومآخذ هي من لازمات العقلية العربية العامة بسبب عوامل كثيرة معقدة منها النشأة والتربية والثقافة والسن والخبرة والقدرة العقلية الخاصة . وعلى كل حال ، سأكتفي بإشارة إلى أهم ما نبهت إليه الأخ الباحث من ملحوظات منهجية :

1 ـ التفريط في دقة النقل الحرفي ، وأحيانا التفريط في وضع علامة التنصيص .

2 ـ الاعتماد على مراجع حديثة دون الرجوع إلى المصادر القديمة وهي موجودة ومتيسرة .

3 ـ الاكتفاء بالإشارة في الهامش وبإيجاز إلى مراجع الرأى المقابل أي

الذي يتعارض مع ما يراه الباحث ويميل إليه ، عل حين يمكن للآراء التي يتبناها والتي توافق وجهات نظره فيعطيها الفرصة كاملة للعرض والتمثيل . يقول مثلا في (ص117) بعد أن عرض آراء الطاعنين في كعب الأحبار بما يحقق صحة ما يراه الباحث وما يميل إليه ، يقول :

" وقد انبرى لتفنيد هذا الطعن في كعب عدد من الكتاب المحدثين الذين حاولوا الدفاع عن كعب ورواياته مؤكدين عدالته وصدق رواياته " ثم يحيل القارىء في الهامش رقم (36) قائلا : من الذين جزموا بصدق كعب ودافعوا عنه : محمد أبوزهرة في كتابه (الحديث والمحدثون) ومحمد السيد الذهبي في كتابيه (الإسرائيليات في التفسير والحديث) و (التفسير والمفسرون) ومحمد أبوشهبة في كتابه (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير) ثم يسارع الباحث في المتن قائلا: وبمعزل عن كل تلك الآراء التي ناقشها مفندو الطعن في كعب يمكن القول .."

وهكذا هو الباحث في معظم ما جاء عن الشخصيات الثلاثة المذكورة ، وهو موقف لا يرضاه منطق ولا منهج . فالحق يقتضي أن نسمح في عرض أية قضية لكل الآراء وأن نعطي الفرصة لكل وجهات النظر بأن يكون لها حضور بكل إنصاف وحياد وسعة صدر ، ثم علينا أن نعتمد على البراهين العلمية الأصلية من مصادرها الأولية عند تحليل كل الآراء سواء منها ما نقبله أو ما نرفضه ونبطله ، حتى نكون

في موضع الإقناع والعدالة والإنصاف .

4 - تبني الباحث آراء عدد من الكتاب المعاصرين غير المتخصصين كأحمد أمين ، ومحمود أبورية ، ومحمد أحمد خلف الله ، وعلي الوردي ، وهي أسماء معروفة بمواقفها من قضية الحديث النبوي وتأثرها بأفكار المستشرقين وذوي النزعات التشكيكية من يساريين وعلمانيين عرب . أما أمثال الأساتذة محمد حسين الذهبي ، ورمزي نعناعة ، ومحمد أبوشهبة ، ومحمد أبوزهرة ، فهم في نظر الكاتب تقليديون متعصبون ، فالمجموعة الأولى تنطلق من منطلق التشكيك وتفتعل الوسائل وتفترض مختلف الفروض حتى الوهمية منها في سبيل إثبات وجهة نظرها المقررة مقدما ، والتي تقود في مجموعها إلى زعزعة الثقة في تراث المسلم في علوم الحديث وما يترتب عنها من مواقف وسلوك ، على حين أن منهج المجموعة الثانية يعتمد على تأصيل المسائل واستقراء مضانها لدى المتخصصين القدماء ثم الاجتهاد حيالها بالقبول أو الرفض أو على الأقل التوقف الذي يقرره منطق البحث العلمي الملتزم .

إن من أبجديات ما نعلمه طلابنا في الدراسات العليا عبر محاضرات المنهجية ، تنبيههم إلى ما يعرف بعيوب التفكير الإنساني ومن بينها التأثر بالأفكار والأحكام الشائعة حول أمر منها ، والتسليم بها دون مراجعة وتمحيص . وما حدث في دراسة صديقنا هنا هو أنه وقع

ضحية أحكام سابقة وجاهزة كونتها لديه ورسختها في ذهنه قراءات صورت له أن فلانا أو علانا هو من المتنورين التقدميين ، وأن هذا أو ذاك من الفريق الآخر وهم المتخصصون المتعمقون ، هو من التقليديين الرجعيين .

إن موضوعية البحث العلمي تعني أن النتائج مجهولة لا نكتشفها إلا بعد التقصي والبحث والمقارنة في الأصول دون التأثر بالأحكام الجاهزة ، لا أن تكون النتائج محددة منذ البداية ، وما نقوم به إنما هو لتثبيتها والتصديق عليها . وهذا معناه أن العلم لا يهمه أن يبرأ كعبا أو وهبا أو أن يحكم عليهما بالإدانة لأنهما يهوديان دخلا الإسلام بل دور الباحث العلمي ، أن يقرر الحقائق ويجتهد بحذر ولتكن النتائج ما تكون .

وجدير بالإشارة هنا أن هناك دراسات حتى بين المحدثين تخصصت في تمحيص ما أثاره الباحث من مشكلات حول كعب وابن منبه بالذات ، لكنه لم يبحث عنها ، وربما تعرف على بعض منها ، لكنه همشها أو زهد في الاستعانة بها ، لأنها تمثل في نظره نموذجا من نماذج التقليدية المغلقة التي يترفع البحث التحرري المتقدم في نظره أن يستأنس بها . من هذه الدراسات كتاب قيم لعالم نذر حياته كاملة لعلوم الحديث رواية ودراية ، وقد تصدى في دراسة نفيسة بعنوان (الأنوار الكاشفة) للرد على أوهام محمود أبورية في كتابه المعروف (أضواء

على السـنة المحمديـة) هـذا العـالم المتخصـص هـو العلامـة المتمكـن : عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليمـاني . والـذي أرجحـه أن البـاحث لـم يعمل بملاحظتي هذه ، فلـم يبحـث عـن الكتـاب ، ليتـأكد مـن حقيقـة مـا سطر في دراسته هذه ، نقلا عن أبي رية ومن علـى شـاكلته ، والدليـل على ذلك إصرار الباحث علـى آرائـه دون أي تعديـل ، وإبلاغـي بهـذا الإصرار .

آراء وأحكام

1 ـ رواية ابن عباس عن كعب الأحبار :

جاء في (ص38) قول الباحث : "بيد أن ابن عباس لم يلبـث أن انحرف عنه ـ أي عن رفضه رواية الإسرائيليات ـ ليجلس فيما بعد إلـى كعب الأحبـار ويسـمع منـه ، ويـروي عنـه حتـى عد مـن أشــهر رواة الإسرائيليات رغم الموقف المعارض الذي كان قد اتخـذه فـي البدايـة "

المشكلة هنا هي في هذا الإطلاق المتسرع في قولـه (انحـرف) و (الموقـف المعـارض) . وواقـع الأمـر هـو أيسـر مـن كـل ذلـك ، ولا تناقض في موقف ابن عباس ، فهو وغيره من الصحابة كـانوا يسـألون من أسـلم مـن اليهـود ، لا فـي قضايـا العقيـدة وأصـول الديـن وفروعـه وتشريعاته ، وإنما فيما جاء فــي القـرآن عامـا غـير مفصـل مـن أخبـار الأولين ، مما لا يفسد عقيدة ولا يغير واقعا أو أمر في الحـاضر ، ولـم يكن ابـن عبـاس ولا غـيره بالسـذج أو المتنـاقضين فـي مواقفهـم ، ولـم

يكونوا ليقبلوا كل ما يروى لهم على أنه صواب لا يتطرق الشك إليه .

إن مثل هذا اللبس في الفهم والتخريج كان سيتضح لو أن باحثنا هنا راجع ما كتبه محمد الذهبي وغيره ولم ينظر إليه نظرة شك وإنقاص .

2 ـ وهب بن منبه متآمر يبطن الكفر :

جاء في (ص62) قول الباحث عما ألفه وهب بن منبه إنها أساطير وخرافات يهودية " عمل باتجاهه اليهودي على التوغل بها في الفكر الإسلامي ..."

والملاحظ هنا هو إصرار الباحث على إلصاق تهمة التآمر المبطن لهذا الرجل ، كأنما قد اطلع على دخائل ضميره ، وقرأ حقيقة معتقده ، ولا سبيل للباحث أو لغيره إلى هذا الافتراض ، وليته ساق ذلك افتراضا بل كرره مرات في هذه الدراسة على أنه يقين قاطع بأن وهبا متآمر يضمر العداء وأن إسلامه كان مزورا . والمسألة هنا أن الاسلام لن يخسر شيئا لو كان كعب متآمرا حقا ، وتوافرت الأدلة القاطعة على ذلك ، ولكن ما بال باحثنا يصر على أمر هو مجرد افتراض لا يسنده برهان ولا دليل ؟ !

3 ـ تقريع ابن خلدون :

تأسيا ببعض المحدثين الذين يقدمون العربة على الحصان كما يقال ، وينطلقون في دراسة التراث من الوهم والتخيل ، يقول الباحث :

" وبالرغم من الأثر الكبير الذي تركه مسلمة أهل الكتاب في الفكر الإسلامي ، فإن ابن خلدون الذي أفاض في هذا الموضوع لم يوجه لهم أدنى اتهام بسؤ النية ، مع أن الكثيرين من باحثينا المعاصرين قد اتهموهم واعتبروهم دسيسة يهودية على الإسلام ، ومن هؤلاء الباحثين جواد علي ، ورشيد رضا ، وأحمد أمين ، ومحمود أبورية " (ص74) من الأطروحة ، وهنا ملاحظات على هذا النص :

أ ـ ابن خلدون في سعة علمه وقربه الزماني وحاسته النقدية أمام ذلك التراث ، يؤاخذ على موقفه ويلام لأنه لم يمتلك عبقرية هؤلاء المتأخرين من معاصرينا ممن أغرموا بالبحث في الغرائب وافتراض الفروض الوهمية ! وهذ غريب من الأخ الباحث لأن ابن خلدون ـ كسائر القدامى ـ لم يهولوا أمر هؤلاء المسلمة من أهل الكتاب وكانوا يذركون تماما أن موضوع الإسرائيليات واضح محسوم لا يحتاج إلى تضخيم ولا تقليب .

ب ـ يبدو أن بعض المستشرقين اليهود ـ وهو افتراض يحتاج إلى دراسة ـ قد غاظه أن يكون من بين الصحابة من أصله يهودي فأوحوا بفكرة أن هؤلاء دخلوا مندسين ومتآمرين ، ثم أعجب بهذا الافتراض أحد أولئك المعجبين فنقله ، ثم تتابع النقل والتكرار في النهاية واحد كما يبدو . وكأن باحثنا يلوم ابن خلدون على انه لم ينفق سنوات من عمره الثمين ليفترض

رجما بالغيب كذب مسلمة أهل الكتاب وتآمرهم ضد الإسلام ، أو ربما ليقطع يقينا بذلك !!

ج - إن ما أميل إليه هو أن ابن خلدون كان يمثل الحياد الموضوعي والتحوط العاقل دون الانزلاق في الافتراضات المبنية على الأوهام ، من أجل مرام غامضة ، يقول سبحانة " ستكتب شهادتهم ويسألون "

4 ـ مسلمة أهل الكتاب خونة متآمرون :

كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام بالتحديد جميعهم متآمرون ، قد أعلنوا إسلامهم شكليا ، واضمروا التآمر أي أنهم ظلوا على يهوديتهم . هكذا يصر الباحث على هذه الإدانة ، وقد اجتهد في سوق الأدلة ، أدلة المعاصرين المفضلين لديه طبعا ، لتلبيس هذه التهمة لهم دون أن يقدم دليلا واحدا مقنعا على كل ذلك . وقد تكرر هذا الإصرار في صفحات كثيرة من الدراسة " إن تقلب كعب على هذا النحو الذي عرفناه يجعلنا نجزم بأن إسلامه لم يكن صادقا .." ومن المهم هنا أن نتذكر أن علماءنا الأفذاذ حذروا من جرح الرجال بغير تثبت وبرهان ، تسرعا في الحكم ، أو استنادا إلى آخرين في نفوسهم حاجة . يقول ابن الصلاح : " على الآخذ في ذلك أن يتقي الله تبارك وتعالى ، ويتثبت ويتوقى التساهل ، لكي لا يجرح سليما أو يرمي بريئا " ونقل القاسمي ما نصه " أعراض المسلمين حفرة من حفر النار" فأمام

هذا التحذير الشديد لا يصح تجريح شخص ما إلا بأدلة ناصعة ثابتة .

5 ـ الخليفة ابن الخطاب وتميم الداري :

روى ابن الأثير وغيره ـ كما يشير الباحث في (ص81) أن تميما الداري كان أول من ابتدع القص بعد إذن عمر بن الخطاب له بذلك . هذه المعلومة ـ وهي مما يتعارض مع الاصرار المسبق لدى الباحث لإدانة تميم ، ولو كانت تدينه أصلا لاعتمدها وتبناها ـ نجده يقول بشأنها " ومع أن غير ابن الأثير قد عزز هذه الرواية ، فإننا لا نرى أن صحابيا له موقفه الواضح والشديد من الإسرائيليات كعمر بن الخطاب يأذن لقاص أن يحدث المسلمين ويقص عليهم من قصصه التي لا شك أنها من المرويات الأسطورية المختلقة "

أقول هنا ـ وقد نبهت الباحث إليه ـ إن مثل هذه المسألة لا سبيل إلى اثباتها أو نفيها بمجرد الاجتهاد الشخصي ، بل لا بد من الاستناد إلى حقائق تاريخية موثقة وقرائن صحيحة ، ثم هل سماح ابن الخطاب لتميم بالقص يعني اطلاع ابن الخطاب على نوايا تميم ، وهل كل ما كان يقصه تميم ، هو من الأساطير المختلقة كما يعمم الباحث ؟ المسألة دقيقة جدا وليست بهذه السهولة .

6 ـ زرعة القصاص ووالدة أبي حنيفة :

يصف الباحث إقبال الناس على مجالس القصاص الذين كان لهم دور كبير في إشاعة الإسرائيليات بأنه " فاق التوقع والخيال لدرجة

أنه أفقد العوام الثقة في كثير من العلماء " هكذا يطلق باحثنا لقلمه العنان فيتجاوز الدقة والتحديد العلمي ويبالغ بما يخرجه عن حدود البحث العلمي وشروطه . ثم يستطرد قائلا : "فقد ذكر ابن الجوزي : "أن أم أبي حنيفة أرادت أن تستفتي في شيء ، فأفتاها أبوحنيفة ، فلم تقبل . وقالت : لا أقبل إلا ما يقول زرعة القاص " أي أن زرعة القصاص بالنسبة إليها كان أوثق علما من ولدها أبي حنيفة المعروف بفكره واجتهاده ، وما ذلك إلا لتأثير هؤلاء القصاص وسيطرتهم على الناس "

كم كانت والدة أبي حنيفة هذه ـ على افتراض صدق الراوي ـ تمثل نسبة مئوية في المجتمع الإسلامي آنذاك ؟ إن تأثير القصاصين كان ملموسا بوضوح ، لكنه لم يتجاوز طبقة العوام لا أكثر ، وهي ظاهرة تصدق على كل عصر وفي كل أمة . ومن هنا فليس من العلم ولا المنهجية أن نعممها ونبالغ في وصفها ونرتب عليها الأحكام .

7 ـ قصة الجساسة :

يقول الباحث (ص83) : " وفي كتاب الفتن وأشراط الساعة من صحيح مسلم ، تبرز قصة الجساسة كأحد (كذا) أشهر القصص الخرافية التي دسها القصاص في تراثنا الإسلامي ، وهي قصة لا يمكن لعاقل أن يقبلها ، كما أنها تتنافى مع العقيدة الإسلامية ، إذ لم يرد في القرآن الكريم أي ذكر لها كما لا توجد أي احالة لها في أي من آياته "

أقول أولا إن عدم وجود خبر ما في القرآن الكريم أو أية إحالة إليه ، لا يستلزم نفي وجوده خارج النص القرآني في حديث نبوي أو في أي علم آخر ، فما أكثر ما ورد من أحداث ووقائع في الأحاديث الصحيحة الموثقة لا وجود له في كتاب الله .

أما ثانيا ، فإن هذا الذي يقوله الباحث هو ترديد لكلام رشيد رضا صاحب المنار ، ومحمد أبورية وغيرهما .

وأما ثالثا ، فإن حديث الجساسة روى من طرق متعددة ، وأخرجه غير واحد من أئمة الحديث ، وذلك أمارة قوته ، وهو يوافق كثيرا مما جاء في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ، من ذلك ذكر الدابة وتكليمها الناس ، في قوله تعالى " وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون "

8 ـ روايات كعب الأحبار :

يقول الباحث في (ص113) " أما هذا المروي عن كعب والمذكور في كتب من كان يعنى بجمع القصص ... فليس في استطاعتنا التصديق بأن كله صادر من فم كعب ، إذ يجوز أن يكون من رواية أناس آخرين ثم حمل عل كعب ، ولكن بحكم تواترها عن كعب ، فإننا لا نملك إلا أن نحملها إياه ونعالجها على أساس كونها صادرة عنه "

وأول نقطة في هذا النص هي كيف علم الباحث ، أو كيف فهم

أو استنتج بأن ما نسب إلى كعب لا يصدق كله ، وأن بعضه قد يكون حمل عليه ؟ إن كان ذلك اعتمادا على مجرد الحدس أو الافتراض الشخصي فهذا يحتاج إلى دليل ، وإن كان ذلك بناء على نصوص ، فما ذنب كعب حتى يتحمل جرائرها وهي ليست له . منطق الحق يقتضي أن المرء لا يحاسب بجريرة غيره . وإذا سلمنا مع الباحث أن جزءا مما نسب إلى كعب هو منحول عليه ، فالمنطق أيضا يقتضي بأن ما وصفه به الباحث من نوايا وتخطيط وتآمر هو محل نظر ، بل موضع شك ، وما كان في درجة الشك ، لزم أن يحتاط فيه ويتريث قبل أن يضع الرجل في قفص الإتهام دون وجود براهين صحيحة .

وفي (ص114) يقول الباحث " وإذا كان في القرآن الكريم شيء مما يرويه فقد كان أولى بروايته الصحابة الذين كانوا يعرفون جيدا معاني القرآن ويفقهون ما فيه من قصص وأخبار ، كما أنهم لم يكونوا في حاجة إلى كعب كي يحدثهم بما في القرآن من معارف "

والسؤال هنا : ما المانع أن يروي كعب عن رسول الله عليه السلام كسائر الصحابة ؟ ثم إن ما كان لدى كعب وسائر الأحبار الذين أسلموا كوهب وعبدالله بن سلام ، هو تفاصيل لما جاء مجملا في القرآن الكريم عن الأمم السابقة والأنبياء والرسل من بني إسرائيل ، وهو ما كان يتطلع الصحابة العرب إلى معرفته بحكم غريزة حب المعرفة واستزادة العلم بمضمون القرآن ، وقد أشار الباحث نفسه إلى

هذا في مواضع سابقة عن هذا الموضع .

ويستطرد الباحث قائلا : " يتضح لنا أن مرويات كعب يكتنفها شيء من الخلط بين صحيح لا نعرف أين هو في رواياته ، وبين أمور اختلقها هوَ نفسه لا نعلمها "

ونسأل صديقنا الباحث هنا كيف اكتشف أن هناك صحيحا إلى جانب المختلق ؟ بل كيف ثبت لديه أن هذا صحيح وهذا مختلق ؟ أليس هذا دليلا واضحا على ضعف الموقف ووهن الفروض التي بنى عليها الباحث ما أدان به كعبا من تهم ؟

وينقل الباحث في (ص116) استشهاد رشيد رضا بما جاء في صحيح البخاري عن معاوية في شأن كعب ، وهو قوله : " إنه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب " والملاحظة المباشرة في هذا الكلام أن الكتاب المعاصرين أمثال رشيد رضا ممن يفتعل الفروض ويصطاد في الماء العكر ، لا يتوقفون عند صور هذا الكلام الذي يشهد للرجل بالصدق ، وأنه الغالب عليه بل يتجاهلونه عمدا ، ويتشبثون بآخر النص لتجريحه واسقاط مكانته وثقته ، يقول العلامة المعلمي اليماني في الرد على هذه الشبهة التي رددها أبورية نقلا عن رشيد رضا ـ سامحه الله ـ ما نصه " وقد بين أهل العلم أن مقصود معاوية بالكذب الخطأ ، **(راجع فتح البارى 282/13 وتهذيب التهذيب)** والسياق يوضح ذلك " **الأنوار الكاشفة**

ص 127) . وبالرجوع إلى ابن حجر في فتح الباري المذكور هنا يتبين لنا أن عددا من أساطين العلم أكدوا أن مراد معاوية وصف بعض مرويات كعب عن أهل الكتاب بأنها كذب أي خطأ ، وليس مراده رمي كعب نفسه بالكذب ، وإلا لكان معناه أن معاوية يناقض نفسه في عبارته ، وهو محال ، ولمزيد راجع (**الذهبي ، الإسرائيليات في التفسير والحديث . ص137 ـ 139**) .

ويستمر الباحث في تأكيد رأيه في كعب على امتداد صفحات طويلة إلى أن يقول " فإننا لا نرى ذلك إلا من بعض خدعه التي حاول أن يوهم المسلمين بها " ومرة ثانية وثالثة وألفا نطالب أخانا الباحث : ما الدليل الساطع على أن ذلك كان مخادعة ؟

أما في (ص124) فنجده يقول " والغريب في الأمر أن علماء الجرح والتعديل ، قد ذهبوا إلى توثيقه دون أن يعيروا لرأي الصحابة الذين عاصروه والتقوا به أي أهمية ، كما لم يكلفوا أنفسهم أي عناء في الاطلاع على رواياته وتفحصها ونقدها ومطابقتها بالنصوص الصحيحة، بالإضافة إلى أننا لم نجد له أي ذكر في كتب الضعفاء والمتروكين بالرغم من ترك كثير من الصحابة لرواياته وامتناعهم عن الأخذ عنه بعد تأكدهم من عدم مصداقية رواياته وكذبها "

أقول إن توثيق العلماء كعبا لم يكن من باب المجاملة ولا المداهنة ، ولو كان ذلك صنيع واحد منهم ، لظننا به السهو أو الخطأ ،

أما أن يكون ذلك رأي كل المتكلمين عنه ، فهذا دليل على صحة رأيهم ثم من أين للباحث أن يتهمهم بإهمال آراء الصحابة فيه ؟ فالطبيعي أنهم وقفوا على تلك الآراء ، ولكنهم نظروا إليه نظرة حياد دون أن يكون لديهم سبق ترصد وإصرار، كما هو الأمر لدى من ذكرنا من المتحاملين ، وفهموا ما وجدوه من نصوص على الوجه السليم دون لى أو تشويه . ثم كيف تأكد الباحث بأن أولئك العلماء لم يطلعوا على مرويات كعب ومقارنتها بغيرها ؟ هل استقرأ كل كنوز التراث في هذا المجال ؟ أم هل استحضر أرواحهم واستنطقها وتأكد من اهمالهم المزعوم ؟

دور كعب في مقتل ابن الخطاب

يرى الباحث أن كعبا ضليع في جريمة مقتل الخليفة عمر ، وأنه " لم يقدم على ارتكاب هذه الجريمة من تلقاء نفسه ، بل كانت وراءه دون أدنى شك جمعية سرية كانت تمهد لقتل عمر " ونبحث عن الأدلة التي بنى على أساس حكمه القطعي (دون أدنى شك) فلا نجد منها شيئا ، وهذا أمر بديهي لأن فاقد الشيء لا يقدمه كما يقال ، ولأن المسألة نابعة من التوهم والرجم بالغيب لأدنى ملابسة . ثم يقول الباحث : " إن الناظر إلى هذه الحادثة التي رواها الطبري ووافقه عليها غيره من المؤرخين " وكان جدير بالباحث أن يحدد لنا هؤلاء المؤرخين ، وأن يقارن بين أقوالهم ويتثبت منها أولا ، ومع أنه

استطرد بعد عدة أسطر قائلا : " إن هناك من المحدثين من طعن في الطبري وغيره من المؤرخين واتهموهم بعدم إلتزام الصحة فيما ينقلون " ثم استعرض الأدلة التي تنفي عن كعب تلك التهمة الخطيرة ، مع ذلك نجد الباحث يصر على موقفه ويرجح رأى الطاعنين بثلاثة أدلة إذا تأملها المنصف وجدها تشير إلى وجود مؤامرة مدبرة ولكنها لا تشير أبدا إلا بتحامل شديد إلى توريط كعب فيها ، وقد استعان الباحث في حكمه وترجيحة على ما استنتجه طه حسين في كتابه (الشيخان) وهو كتاب في حد ذاته يحتاج إلى غربلة موضوعية من كثير من الأوهام .

وفي الختام أحب أن أؤكد للقراء الكرام أنني لست ممن يدافع عن مسلمة أهل الكتاب ، لكونهم من الصحابة ، أو لكونهم منزهين عن النقد والتمحيص ، وإنما دافعت وناقشت واستشرت المصادر والمراجع المختلفة من أجل الحقيقة لا أكثر ، ومن أجل تقديم بحث علمي مجرد ملتزم ، ولكم تمنيت أن ينتفع الباحث من ملاحظاتي المنهجية والعلمية ، ولكنه لم يرتض هذا ، بل أصر على إبقاء كل شيء على ما هو عليه .

أتمنى لأخي الكريم الأستاذ عبدالله مليطان مستقبلا علميا زاهرا ، وستعلمه الحياة أضعاف أضعاف ما حاولت ملاحظاتي هذه أن تقوله هنا .

د / محمد مصطفى بن الحاج

طرابلس 2 / 8 / 1998م

الفهرس

الفهرس

المؤلف في سطور

الإسم : عبدالله سالم مليطان

تاريخ ومحل الميلاد : 3 مارس 1964 مصراته ـ ليبيا

المؤهل العلمي :

- ليسانس (تاريخ) ـ كلية التربية . جامعة الفاتح .
- ماجستير (دراسات اسلامية) ـ كلية العلوم الاجتماعية . جامعة الفاتح .

الصحف والمجلات التي نشر بها :

- الطالب . الفجر الجديد . الشمس . الجماهيرية . الزحف الأخضر . الدعوة الإسلامية . الشمس الثقافي . الإذاعة . الكفاح العربي اللبنانية . أخبار الأدب المصرية . العرب اللندنية .

الوظائف الثقافية والإعلامية التي شغلها :

- أمين اللجنة القيادية لفرقة الشباب الثائر للمسرح بمصراته
- أمين قسم التأليف والترجمة بالدار الجماهيرية للنشر
- أمين القسم الثقافي بصحيفة الشمس
- مدير تحريرصحيفة الشمس الثقافي
- أمين وحدة البرامج الثقافية بإذاعة الجماهيرية المسموعة
- مدير تحرير مجلة الإذاعة
- أمين تحرير مجلة الإذاعة
- أمين مجمع الفتح الثقافي
- أمين تحرير صحيفة الفتح الثقافي

العضويات بالمؤسسات العلمية والثقافية :

- عضو رابطة الأدباء والكتاب بالجماهيرية
- عضو اتحاد الكتاب العرب
- عضو نقابة الصحفيين بالجماهيرية
- عضو الإتحاد العام للصحفيين العرب
- عضو اتحاد المؤرخين العرب
- عضو منظمة الصحفيين العالمية بتشيكوسلوفاكيا

المؤلفات المطبوعة :

1- المثقف العربي والتحديات — الدار الجماهيرية 1990م

2 - قضايا وموضوعات — الدار الجماهيرية 1998م

3 - قراءة في الانتماء — الدار الجماهيرية 1998م

المؤلفات المخطوطة :

1 - أمم أخرى أمثالنا (محاولة لاستخراج معجم للحيوان من نصوص القرآن)

2 - معجم الأدباء والكتاب الليبيين ج1

3- طائر الأحلام (مقالات في ادب الطفل) بالاشتراك مع الكاتب / خليفة حسين مصطفى

4 - أولياء الله وأولياء الطاغوت

الشركة العامة للورق والطباعة
مطابع الوحدة العربية ـ الزاوية

هذا الكتاب ... وهذا الكاتب

هذه الصفحات بها شهادة وشاهد . شهادة اجتاز بها الدارس الباحث مرحلة تدفعه إلى مراحل ، والمواصلة على درب المعرفة والعطاء الفكري . وشاهد على تمكنه واستعداده ، ودلالة على شغفه العلمي وتطلعه إلى آفاق فساح .

وقد برهنت هذه الدراسة على تأصل الروح العلمية لديه ، فهو نهم ، جم النشاط ، متنوع الاهتمامات في المجال الثقافي والاذاعي والنشاط الصحفي الأدبي ، لكنه بجانب هذه البراعة ها هو يقدم لنا عملا علميا جامعيا في دراسة متأصلة . نراه يمسك الغربال والمجهر ، ويستقي من المناهل والمنابع ، ويقتحم مجال " الوضاعين " ويكشف خباياهم ونواياهم ويتعرف على مؤثراتهم وآثارهم وصدى ما احدثوه في مجال وساحة الفكر والثقافة الإسلامية من عهود الصحابة الأجلاء والتابعين الأكرمين .

استعمل الدارس الباحث غرباله المصفي ، واستعان بمجهره الكاشف يوضح الحقائق ، ويتعرف على تلك الآثار والمؤثرات ، وهو جهد كما تكشف هذه الصفحات رؤية تدل على التثبت والتحقق والتجرد والموضوعية . وأوضح الأستاذ الدارس عبدا لله سالم مليطان في دراسته هذه عدة جوانب من الدخيل والوضع أو الترهات التي تسللت إلى مجال التاريخ أوالسيرة النبوية العطرة ، وايضا إلى علوم التفسير وما انساب وطفح على صفحات التراث المروي والشفاهي والمكتوب والمتداول والوافد ، كان من سدنة ذلك كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدا لله بن سبأ ومن على شاكلتهم ، وقد أوضح مواقف ومؤثرات شخصيات قامت بدور خطير في "هز" الوضع الثقافي في تراثنا الإسلامي .

موضوع واسع الأطراف ، متسع الأرجاء ، استطاع الكاتب أن يركز على جانب له أهميته وربطه بالتصور الثقافي والتاريخ السياسي لتلك المرحلة .

اذن ليس هو مجرد بحث تراثي " اكاديمي " بل بجانب ذلك ربط واتصال بقضايا الفكر والانسان المعاصر وبقضية القضايا ما يحيط بالعالم الاسلامي من مخططات لتشويه عرقلة المسار الفكري ، والأستاذ مليطان هنا في بحثه ليس مجرد مؤرخ سارد ، [illegible] متحنط النصوص ، بل هو دارس باحث ، لة رؤية واستنباط ومعرفة الخبايا ودوافع الشخصيات الأسطورية الوضاعة وما قامت به من ادوار .



Bibliotheca Alexandrina
0506424

طبعت بمطابع الوحدة العربية . الزاوية